PJ
7862
H2T3

قيمة النسخة خمس ليرات

الغنائم . آخر واثمن ما غنمه ابو الطيب طوال حياته ...

وها نحن نغمض العيون على الدموع ولا نستطيع صم الآذان عن سماع ابي الطيب يقول وهو يجود بانفاسه الاخيرة :

ردي حياضَ الردى يانفس واتّركي
حياض خوف الردى للشاء والنعم
ان لم اذرك على الارماح سائلة
فلا دعيت ابن ام المجد والكرم

وهكذا تنطلق الانفاس العطرة متغلغلة في ذرات الاثير الازلي ، وينبعث صوتٌ ما زال يدوي في رحاب الارض ؛ صوت يقول :

انك لم تمت ولن تموت يا ابا الطيب ، بل انت باق في الافكار ابد الدهور .

الخيل والليـل والبيداء تشهد لي
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فيلوي ابو الطيب عنان فرسه مرتداً على القـوم وقـد ابت عليه كبرياؤه انكار اقواله ، كما ابى القدر الا ان يسيل دمه مع ما كان في صـدر هـذا النابغة من روائع البيان ...

وائن نقصنا خبر الشاهد العيان لهذه المعركة التأريخية الجلّى ، فان ما التقطناه من هنا وهناك في مجال المعركة ، قد قادنا الى تخيّل النهاية المفجعـة لسيد الشعراء في عصره ، ومعلم من تعاقب بعدهم بتعاقب العصور ...

فها نحن نبلغ المكان وابو الطيب العظيم يقارع بوهن بالغ صعلوكاً من صعاليك فاتك الاسدي ، فـــيما كان يردد مصراعاً من البيت الذي كان السبيل الى مصرعـه ...

المشهد السادس

المتنبي - [لاهثاً وهو يقارع صعلوكاً] والسيف .. والرمح .. والقرطاس [ثم يسمع من بعيد صوت ابنه مُحسّد يقول] لقد طُعنتُ يا ابتاه .. وهـا مفلح بجانبي قتيل .. الوداع .. ابتاه .. [ويحفزه الالم ، ويستدعي البقية الباقية من عزمه فيطعن الصعلوك ويرديه ولا يكاد يتجه للثأر لولده ، حتى يلتقي بفاتك وجهاً لوجه. فيُقسر على مقارعته والوهن يغت في عضده . ويقول فاتك وهو يقارعه ما كان اغناك عن النيل من عرض اختي ايها الزنديق ، ثم يسدد الى قلبه قائلا : خذها من يد فاتك .. ويتهالك ابو الطيب والسيف في يـده ، بينا ينطلق فاتك ليرعى جمع

الجبلي ـ لاحول ولا قوة الا بالله

المتنبي ـ مالي اراك كالنائم يابن حمزة !؟

ابن حمزة ـ والله يا ابا الطيب . اشعر بتوعك داهمني فحط قواي

المتنبي ـ عجباً لهذا المرض المفاجيء

الجبلي ـ يفعل الله مايشاء يا ابا محسّد

المتنبي ـ لعلك قاعد عن السير معنا !؟

ابن حمزة ـ اراني في حاجة الى الراحة بعض الوقت

المتنبي ـ لا بأس ياعلي .. تبقي في ضيافة ابي نصر

الجبلي ـ تمنيت لو تمكث عندي حتى يستجم علي وتسير

المتنبي ـ لقد عزمت على الرحيل في الفجر . ولم يسبق لي ان تراجعت عن امر عزمت عليه

الجبلي ـ فليكن ما عزمتَ عليه ، وان الله فاعل ما يريد

المتنبي ـ .. بقي ان اغفو بعض الوقت استعداداً للرحيل .

• • •

ويمضي المتنبي الى قدره ، سالكاً في سيره الى بغداد طـــريق النعمانيه ، جرجرايا ، دير العاقول . وعندما قارب الصافية ، وهي على ستة عشر فرسخاً من بغداد ، وكان ذلك في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة التقى بجماعة فاتك الاسدي فوقعت بين الطرفين معركة حاميـة انتهت بالقضاء على المتنبي واعلب من معه . ولقد قيل فيما قيل عن هذه المعركة ، ان ابا الطيب عندما شعر بتغلب اعدائه ، طلب الفرار ناجياً بنفسه ، غير ان غلامـه مفلح ناداه قائلا : أتفرّ وانت القائل :

تسير بصحبة بعض الرجال

المتنبي ـ لكن ، ابا نصر ... ارى ان تلويحك ينبىء بشيء . فهلا عرّفتني بجلية الامر

الجبلي ـ الامر هو ان فاتكاً الاسدي قد مرّ بي قبل ان تحط رحالك عندي .

ابن حمزة ـ فاتك ، خال ضبّة ؟

الجبلي ـ بعينه ، وهو يا ابا محسّد ما زال متقداً غضباً عليك

المتنبي ـ وما قيمة هذا الصعلوك

الجبلي ـ لقد كان في خمسين من بني عمه وجميعهم يأكلون النار اكلا

المتنبي ـ لكن من تظنني يا ابا نصر

الجبلي ـ الرأي السديد ، ابا محسّد ، هو ان تأخذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك

المتنبي ـ لا والله . لا كان هذا . ولا ارضى ان يتحدث الناس عني بأني سرت يوماً في خفارة احد غير سيفي

ابن حمزة ـ اذن يوّجه إثرك قوماً من قبله

المتنبي ـ أمن عبيد العصا تخاف علي !؟

الجبلي ـ لقد رأيتُ ان تأخذ بعض الحيطة

المتنبي ـ انهم كلاب عاوية ، ابا نصر . ولن يمسوا شعرة مني

الجبلي ـ قل انشاء الله

المتنبي ـ هذه كلمة مقولة ، لاتدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً

ولو قلنا فـدي لك من يساوي
دعـونا بالبقـاء لمن قـلا كا
وآمنـا فـداءك كـل نفس
وان كانت لمملكة ملا كا
ومن يظن نثر الحب جـــوداً
وينصب تحت ما نـــثر الشبا كا

[يدخل الجبلّي]

الجبلي ـ اما تزالان في تمحيص وتنقيح

المتنبي ـ دعنا من هذا السجل ياعلي

الجبلي ـ ... اما زلت مصراً على الرحيل يا ابا محسّد

المتنبي ـ اجل .. وسأرحل عند الفجر

الجبلي ـ انت وما تريد ياحمد .. لكني ارى ان يكـون معك جماعـــة من رجالنا

المتنبي ـ [مقطّباً حاجبيه] ولم تقول هذا يا ابا نصر !؟

الجبلي ـ الطريق امامك مخيف يا ابا محسّد ولا يضير ان تستأنس بهـذه الجماعة في الطريق

المتنبي ـ على رسلك ، ابا نصر ، فما دام في عنقي نجاد سيف فلا احتـاج الى مؤنس سواه

الجبلي ـ الرأي رأيك

المتنبي ـ واقد وددت لو ان لي اجنحه اطير بها الى الكوفة

الجبلي ـ اتمنى لك الوصول بخير ، اليها ، لكني اعود واعـرض عليك ان

تسير بصحبة بعض الرجال

المتنبي ـ لكن ، ابا نصر ... ارى ان تلويحك ينبىء بشيء . فهلا عرّفتني بجلية الامر

الجبلي ـ الامر هو ان فاتكاً الاسدي قد مرّ بي قبل ان تحط رحالك عندي .

ابن حمزة ـ فاتك ، خال ضبّة ؟

الجبلي ـ بعينه ، وهو يا ابا محسّد ماز المتقداً غضباً عليك

المتنبي ـ وما قيمة هذا الصعلوك

الجبلي ـ لقد كان في خمسين من بني عمه وجميعهم يأكلون النار اكلا

المتنبي ـ لكن من تظنني يا ابا نصر

الجبلي ـ الرأي السديد ، ابا محسّد ، هو ان تأخذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك

المتنبي ـ لا والله . لا كان هذا . ولا ارضى ان يتحدث الناس عني بانني سرت يوماً في خفارة احد غير سيفي

ابن حمزة ـ اذن يوّجه إثرك قوماً من قبله

المتنبي ـ أمن عبيد العصا تخاف علي !؟

الجبلي ـ لقد رأيتُ ان تأخذ بعض الحيطة

المتنبي ـ انهم كلاب عاوية ، ابا نصر . ولن يمسوا شعرة مني

الجبلي ـ قل انشاء الله

المتنبي ـ هذه كلمة مقولة ، لاتدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً

ولو قلنا فـدي لك من يساوي
دعـونا بالبقـاء لمن قـلا كا
وآمنـا فـداءك كل نفس
وان كانت لملكة ملا كا
ومن يظن نثر الحب جـــوداً
وينصب تحت ما نـــثر الشبا كا

[يدخل الجبلّي]

الجبلي ـ اما تزالان في تمحيص وتنقيح

المتنبي ـ دعنا من هذا السجل ياعلي

الجبلي ـ ... اما زلت مصراً على الرحيل يا ابا محسّد

المتنبي ـ اجل .. وسأرحل عند الفجر

الجبلي ـ انت وما تريد ياحمد .. لكني ارى ان يكـون معك جماعـــة من رجالنا

المتنبي ـ [مقطّباً حاجبيه] ولم تقول هذا يا ابا نصر !؟

الجبلي ـ الطريق امامك مخيف يا ابا محسّد ولا يضير ان تستأنس بهـذه الجماعة في الطريق

المتنبي ـ على رسلك ، ابا نصر ، فما دام في عنقي نجاد سيف فلا احتـاج الى مؤنس سواه

الجبلي ـ الرأي رأيك

المتنبي ـ واقد وددت لو ان لي اجنحه اطير بها الى الكوفة

الجبلي ـ اتمنى لك الوصول بخير ، اليها ، لكني اعود واعـرض عليك ان

حيث التقى خـدها وتفاح لبـ
ـنان وثغـــري على حميَّـاهـا

المتنبي ـ أبعِدْ ياعلي

ابن حمزة ـ :

وقـــد رأيت الملوك قاطبـــة
وسرت حـــتى رأيت مولاها

المتنبي ـ كفى كفى ، بالله . وامض الى مغاني الشعب

ابن حمزة ـ :

مغاني الشعب طيباً في المغـاني
بمنـزلة الربيـع من الزمان
ولكن الفـــتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
مـلاعب جنـــة لو سار فيهـا
سليمان لسار بترجمان
ابـــوكم آدم سن المعـاصي
وعلمكم مفارقـة الجنان

المتنبي ـ إنتقل بالله الي قصيدة الوداع ، واسوف نعود الى مراجعة كل ما قيل في فارس ، عندما نبلغ الكوفة

ابن حمزة ـ :

فدى لك من يقصّر عن مداكا
فلا ملك اذن الا فـــداكا

ابن حمزة ـ الا تصلي يا ابا محسّد

المتنبي ـ بعد قليل

ابن حمزة ـ اوَلا نأكل ايضاً !؟

المتنبي ـ يقدم لنا الطعام عندما يحين الوقت ثم أعلمُ انك مثلي غير صائم

ابن حمزة ـ الم تقنعني بان ليس على المسافر حرج

المتنبي ـ لكن مالي اراك فاتر الهمة

ابن حمزة ـ علمي بذلك على قدر علمي بتبدّل مزاجك كل التبدل فانت يا ابا محسّد ، لم تنقطع عن مخاطبتي بلهجة الآمر طوال اليوم

المتنبي ـ هل لك بقراءة القصيدة الاولى ياصديقي علي !

ابن حمزة ـ والله ماقصدت تقريعك يا ابا محسد ، الا اني ...

المتنبي ـ تمنيت لو تقرأ ياعلي

ابن حمزة ـ :

أوْهِ بديل من قولتي واها
لمن نأت والبديل ذكراها

اوه لمن لا ارى محاسنها
واصل واه وأوه مرآها

كل جريح ترجى سلامته
الا فؤاداً دهته عيناها

المتنبي ـ جز بالله ...

ابن حمزة ـ :

احب حمصاً الى خناصرة
وكل نفس تحب محياها

رجونا الذي يرجون في كل جنة
بأرجان حتى مايئسنا من الخلد
وان يكن المهدي من بان هديه
فهذا والا فالهدى ذا فما المهدي
يعللنا هذا الزمان بذا الوعـــد
ويخدع عمّا في يديه من النقـد
هل الخير شيء ليس بالخير غائب
ام الرشد شيء غائب ليس بالرشد

المتنبي ـ لكن مالي اراك تنحني كثيراً لتقرأ
ابن حمزة ـ ألسنا في بيت ابي نصر محمد الجبليّ ؟؟
المتنبي ـ ماذا بك يا ابن حمزة !
ابن حمزة ـ يلوح لي كأن هذا البيت يستقبل الليل قبل الغروب

[يدخل الجبليّ في يده سراج]

الجبلي ـ لقد تداركت لكما سراجاً ، والشمس تغيب
المتنبي ـ حسناً فعلت لأن ابن حمزة في حاجة اليه
الجبلي ـ أضعُ السراج وامضي للوضوء . لكن الا تأتي لصلاة المغرب ، ابا الطيب .

المتنبي ـ والله يا ابا نصـر ...
الجبلي ـ اراك منشغلا بالتدوينِ والتنقيـح .. لكن لا بأس ، لعلك مـدرك الصلاة قبل العشاء [يخرج]

المتنبي ـ أدْنِ السراج منك ، واطلب في السجل قصائدي في عضد الدولة

ظالم الجود كلما حل ركب
سيم ان يحمل البحر مزاده

ماسمعنا بمن احب العطايا
فاشتهي ان يكون فيها فؤاده

خلق الله افصح الناس طراً
في مكان اعرابه اكراده

المتنبي ـ امض الى قصيدة الوداع

ابن حمزة ـ :

نسيت وما انسى عتاباً على الصد
ولا خفرا زادت به حمرة الخد

ولا ليلة قصرتها بقصورة
اطالت يدي في جيدها صحبة العقد

ومن لي بيوم مثل يوم كرهته
قربت به عند الوداع من البعد

المتنبي ـ دع بالله النسيب واقرأ بيتاً من هنا وهناك
ابن حمزة ـ حسناً
المتنبي ـ واسرع بالقراءة

ابن حمزة ـ :

لنا مذهب العبّاد في ترك غيره
واتيانه نبغي الرغائب بالزهد

هذه النظرة التي نالها منـ
ـك الى مثلها من الحول زاده

نحن في ارض فارس في سرور
ذا الصباح الذي يرى ميـلاده

عظّمته ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حسّاده

مالبسنا فيه الاكاليل حتى
لبستها تلاعه ووهاده

عربي لسانه فلسفي
رأيه فارسية اعياده

المتنبي ـ دع ماقلت في وصف السيف الذي اهداني اياه

ابن حمزة ـ :

هل لعذري عندالامام ابي الفضـ
ـل قبول سواد عيني مداده

انا من شدة الحياء عليل
معكرمات المُعِلّه عواده

ما كفاني تقصير ما قلت فيه
عن علاه حتى ثناه انتقاده

انني اصيد البزاة ولكـ
ـن اجلّ النجوم لا اصطاده

ماتعودت ان ارى كأبي الفضـ
ـل وهذا الذي اتاه اعتياده

ان في الموج للغريق لعذراً
واضحاً ان يفوته تعداده

المتنبي ـ الا أُفٍ لهذا ... ولقد وددت لو تنسى القصيدة برَّمتها

ابو حمزة ـ ماذا افعل

المتنبي ـ امسك بالنهاية بالله

ابن حمزة ـ :

من مبلغ الاعراب اني بعدها
شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما
ردَّ الاله نفوسهم والاعصرا

المتنبي ـ لو اننا جزنا هذه القصيده الى سواها

ابن حمزة ـ لم نقرأ الا القليل من ابياتها

المتنبي ـ لقد دكَّ ابن العميد بمعول نقده اكثر ابياتها . وفي خاطري انشاء قصيدة اخرى على انقاضها

ابن حمزة ـ هل في نيتك إرجاء المراجعة

المتنبي ـ بل تقرأ تهنئتي بعيد النيروز

ابن حمزة ـ حسناً [يقلّب صفحات السجل]

المتنبي ـ في بعض ابيات هذه القصيدة جئت ابن العميد معتذراً عما ستجلب نقده للقصيدة تلك

ابن حمزة ـ :

جاء نيروزنا وانت مراده
وورت بالذي اراك زناده

ابن حمزة ـ أأبدأباولي القصائد !؟

المتنبي ـ لو خيّرتُ لأرجأت هذه المراجعة حتى نبلغ الكوفة

ابن حمزة ـ انت وما تريد يا ابا محسّد

المتنبي ـ لكن كيف اقضي النهار في جبّل هذه والنهار فيها يكاد لا ينتهي!

ابن حمزة ـ بذلك لا ارى مفراً من القراءة

المتنبي ـ فلتقرأ

ابن حمزة ـ أأبدأ بالاولى ؟

المتنبي ـ بالاولى

ابن حمزة ـ :

باد هـواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمعك او جرى

كم غرَّ صبرك وابتسامك صاحباً
لما رآك وفي الحشى ما لا يرى

امرَ الفؤاد لسانه وجفونه
فكتمنه وكفى بجسمك مخبرا

المتنبي ـ جز بالله الي ابعد ياعلي

ابن حمزة ـ :

واذا سكتَ فانت ابلغ خاطب
قلم لك اتخذ الاصابع منبرا

فدعاك محسّدك الرئيس وامسكوا
ودعاك خالقك الرئيس الاكبرا

وتمر الايام وهو قابع في داره ، سادر في اوهامه ، يجالس على مضض من يفد اليه من الادباء وطلاب العلم بين الحين والحين ..

وعندما بلغ به السأم اقصاه ، رأى نفسه منقاداً الى اغراء ابن جني فشد رحاله الى فارس مستصحباً معه ابن حمزة . راوية شعره . .

وفي طريقه الى عضد الدولة في فارس ، مرّ بأبي الفضل بن العميد في ارّجان فاقام في ضيافته قرابة الشهرين قصد بعدها عضد الدولة واقام لديه زهاء ثلاثة اشهر ثم قفل عائداً الى الكوفة تثقّل احماله بعطايا ابن العميد وعضد الدولة.

ونراه الآن في طريق العودة من فارس ، نازلاً في قرية جبّل في بيت ابي نصر الجبّليّ .

المشهد الخامس

ابن حمزة ـ [بين يديه سجل] .. أعيد قراءة اولى قصائدك بعضد الدولة .

المتنبي ـ افضّل يا ابن حمزة ان تعود الى مراجعة ما قلته بابن العميد ، إن كان لامفر من المراجعة هذا اليوم

ابن حمزة ـ حسناً

المتنبي ـ ثم اني لا ارغب بان اوخذ بهفوة في مديحي لهذا الاديب الكبير والشاعر الناقد ، ابن العميد

كأنك وحـــدك وحّدته
ودان البريـــة بابن واب

فليت سيوفك في حاسد ...

المتنبي ـ يكفي ، ابا الفتح

ابن حمزة ـ يالروعة البيان

المتنبي ـ دعك من المديح ياعلي ... ثم الى ان ابتّ في امري ، رأيت ان اعود الى الكوفة غداً ، وليفعل الله بعدها ما يشاء .

• • •

وغادر المتنبي بغداد والغيظ يمزق فؤاده والغل تغلي مراجله في نفسه . . .

ولقد ظن ، عندما قصد بغداد ، ان الادباء والشعراء سوف يتنافسون في تكريمه واجلاله ، ويتسابقون الى التقاط كل كلمة تخرج من فمه ، وان الخليفـــة سيهرع الى استقباله مرحباً ، ومعزّ الدولة سيسعى على الاقدام متقرباً ، وان الخلافة ، بعد ، ستخلي له على دجلة قصراً من قصور العباسيين ، ونتخذ منه وهو العلم في دولة البيان ، لواءً يجمع حولها اقطار العرب النافرة ، وداعية قاهـراً يعيد الاوطان المتمردة الى احضان بغداد ، لكنه ، وهو لم يصب مرة في تقدير يقدّره ، عاد الى الكوفة سيفاً مثلوماً ، واملا حائراً وفي طوايا نفسه انقاض آماله العراض .. ثم لعله في طريق العودة الى بيته ، كان لايفتر عن ترديد قوله :

وقت يضيع وعمر ليت مـــدته
في غـير امته من سالف الامم
اتى الزمان بنـــوه في شبيبته
فسرّهم واتينـاه على الهـــرم

المتنبي ـ علي ان افكر طويلا قبل ان احزم امري .. اليك كتابي الى سيف الدولة ، واحب ان يسمع منه ابن حمزة

ابن جني ـ [يأخذ الكتاب ويقرأ] :

فهمتُ الكتاب ابر الكتب
فسمعاً لأمر امير العرب
وطوعاً له وابتهاجاً به
وأن قصر الفعل عما وجب
وما عاقني غير خوف الوشاة
وان الوشايات طرق الكذب

المتنبي ـ جز بضعة ابيات

ابن جني ـ :

ايا سيف ربك لا خلقه
وياذا المكارم لا ذا الشُطب

المتنبي ـ امضِ الى آخر القصيدة

ابن جني ـ :

ارى المسلمين مع المشركين
اما لعجز واما رهب
وانتَ مع الله في جانب
قليل الرقادِ كثير التعب

ابن جني ـ اهجُ المهلبي اذن .. اهج معز الدولة ، ومثلك لا يهجو الا الملوك

ابن حمزة ـ لكن كيف يفعل ذلك ياعثمان وهو ان فعل لايجد له مسكناً على وجه الارض

ابن جني ـ ولمَ !!

ابن حمزة ـ لقد غاضب مصر وجافى الشام . فاذا ما حاول الفرار من العراق اين يذهب !؟

ابن جني ـ يذهب الى فارس ، واذهب اليها في ركابه طيّعاً

المتنبي ـ هذه فكرة تستدعي التأمل يا ابا الفتح

ابن جني ـ ولسوف ترى ان عضد الدولة يفتح لك ذراعيه على ملئهما

ابن حمزة ـ انك لفي وهم يا ابن جني ، اذ كيف يقبل عضد الدولة على من هجا عمه معز الدولة في بغداد

ابن جني ـ يصبر ابوالطيب عن هجاء معز الدولة ويكظم غيظه

المتنبي ـ يتراءى لي ياعثمان اني عائد الى سيف الدولة

ابن جني ـ عجباً يا ابا الطيب !!

المتنبي ـ لقد بعث الي رسولاً آخر يدعوني الى حلب

ابن حمزة ـ اهذا الرجل الذي جاءك الامس ..

المتنبي ـ انه رسول سيف الدولة الي . ولقد اعددت الردّ عليه ، وكنت في امر ذهابي اليه ، بين بين

ابن جني ـ في فارس ، ياابا الطيب ، تبلغ امانيك الضخام التي منعها عنك

ابن جني ـ :

ما انصف القوم ضبّة وامه الطـــرطبّة

المتنبي ـ دعني من هذا يا ابن جني

ابن جني ـ ولقد ترددت في ان اسلك هذه القصيدة في خرائدك

المتنبي ـ اني غير راغب في ان تدوّن هذه التي نزلت في قولها مرغماً ،عند رغبة للشريف الحسن العلوي

ابن حمزة ـ لقد علمت بامرها

المتنبي ـ لقد ارادني الشريف ذات يوم ان اركب مع من ركب في طلب ضبّة . فوصلنا وهذا القرمطيّ اللعين متحصن في حصن له . واذ كان لايجسر على الخروج الينا ، فقد اخذ يرشقنا باقذع الكلام واحطه . وعندئذ طلب الي الشريف ان اهجوه بمثل كلامه ، فانقدت للنزول عند رغبته

ابن جني ـ ولقد كانت قصيدة عجيبة

ابن حمزة ـ لعلها ادّبت اولئك القرامطة وصرفتهم عن غيّهم

ابن جني ـ ان اخشى مااخشاه هو ان تبلغ القصيدة اسماع فاتك

المتنبي ـ ومن فاتك هذا !؟

ابن جني ـ انه فاتك الاسديّ . خال ضبّة ، وهو اص بطّاش وغد

ابن حمزة ـ ولعله غير ساكت عن القذف باخته وثلم عـرضها

ابن جني ـ لذلك ، يا ابا الطيب ، ارى ان لاغضاضة في ان تهجـو ابن الحجاج ورفاقـه

المتنبي ـ الموت خير الف مرة من ان اجعل نفسي قريناً لامثالهم

المتنبي ـ (واقفاً) رافقة سيدي السلامة والعافية

الحاتمي ـ لعلنا ملتقيان وشيكاً

ابن حمزة ـ صحبتك السلامة ياسيدي [يشيعه حتى الباب ويعود] . . . احسب ان العاصفة قد مرّت بسلام

ابن جني ـ ولقد رأيتُ ان ابا الطيب قد القى بسلاحه عمداً

ابن حمزة ـ لكن الحاتمي ليس بمرتبة من وفد قبله !

المتنبي ـ .. مصائب قوم عند قوم فوائد

ابن جني ـ والامَ هذا الحلم يا ابا الطيب !. ولمَ لاتصفع اولئك الزعانف فتضعهم خارج الميدان

ابن حمزة ـ كلا يا ابن جني . ليس قولك من المشورة بشيء

ابن جني ـ ان بيتاً واحداً من الشعر يقوله ابو الطيب ، لكفيل بان يلتهم احابيلهم

ابن حمزة ـ لكن ..

ابن جني ـ انهم كالذباب على القذارة ، يكفي ان يمر بنعله عليهم ليسحقهم

المتنبي ـ امر واحد يصدني يا ابا الفتح .. ذاك اني اذا ماهجوتهم نزلت الي ان اكون من قرنائهم

ابن حمزة ـ تلك من شيمك الاصيلة يا ابا محسّد

ابن جني ـ لكن مايفعل المرء بقملة دبت على عقبه ، الا ان يسحقها . ثم، ابا الطيب ، الم تدفعك الامور ذات مرة الى ماهو ادنى من هذا !؟

المتنبي ـ الامَ ترمي يا عثمان !؟

وهو اسم الممدوح سيف الدولة

الحاتمي ـ أغضي عن توليتك الرّد علي ، وأسأل ما عمل البوقات والطبول دون السيف

ابن جي ـ لاعمل لهذه ياسيدي الا الجلبة والضجيج ، ولذلك شبّه الشاعر بها غير الممدوح من الملوك

الحاتمي ـ هل معزّ الدولة بوق وطبل !؟

ابن جني ـ لاادري ياسيدي ، لقد طلب الي ان افسّر شعراً وحسب

الحاتمي ـ ... اريد ان تجيبني يا احمد عن تجرّئك على سيف الدولة حين قلت في رثاء امه :

صـــلاة الله خالقنا حنـــوط
على الوجـه المكفّن بالجمـال

المتنبي ـ وما في هذا ياسيدي !.. اوَتستكبر ان توصف ام ملك بالجمال !؟ ام تظن جمالاً وصفتها به هو كجمال الراقصات والقيان ؟ اني ماعنيت إلا جمـال المهابة والجلال

ابن جني ـ ثم هذان البيتان الرائعان في القصيدة ، ياسيدي :

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفُضلت النسـاء على الرجـال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

الحاتمي ـ (وهو يقف منقبض الاسارير) لقد آن لي ان اذهب

المتنبي ـ (ملتفتاً نحو الحاتمي) كيف حال العلاّمة ابي علي

الحاتمي ـ (وقد كان يتميز غضباً) اني بخير لولا ماجنيت على نفسي من قصدك . فأجبني بالله ، ايها الرجل ، فيم تيهك وخيلاؤك وانت لاتعدو ان تكون شاعراً متكسباً .

المتنبي ـ رجائي اليك ياسيدي ان تخفض عنك وتستأني فان الاناة من شيم الفضلاء امثالك

الحاتمي ـ لقد كدتَ والله تخرجني عن وقاري بما بدأت من تصرّف لا يحمد . ولولا ان تعتذر ..

ابن حمزة ـ ابو الطيب ياسيدي يجل اسم الحاتمي الذي ملأ الاسماع

المتنبي ـ جئتَ ايها المفضال لاستطلاع حقيقة مايشاع عني ، كما قلت

الحاتمي ـ اسألك عن اشياء واراجعك في اشياء

المتنبي ـ افعل مايحلو لك

الحاتمي ـ اريد ان تحدثني عن قولك :

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة

ففي الناس بوقات لها وطبول

المتنبي ـ الامَ يرمي سيدي الفاضل

الحاتمي ـ أبمثل هذا تمدح الملوك !؟

المتنبي ـ اجب ابا الفتح عما يسأل الاستاذ

ابن جني ـ لا ارى في البيت الا ابداعاً وروعة ، وسيدي الحاتمي يعلم ان للجيش عُدد هي السيوف والبوقات والطبول ، وان السيف هو خير هذه العُدد ،

المتنبي ـ (واقفاً) وعليك السلام ايها المفضال

ابن حمزة ـ لقد تشرّف منزلي بحضور العلاّمة الاكبر واللغوي الاشهر

المتنبي ـ فليتلطف سيدي ويجلس

الحاتمي ـ لي في قدومي الى دارك مأربان

ابن حمزة ـ وطء سيدي بلاطَ داري منّة لاتنسى

الحاتمي ـ مأربي الاول والاهم ، ان اجتمع الى ابن حمزة المعروف بعلوّ كعبه في اللغة والحفظ .

المتنبي ـ ومأربك الثاني !؟

الحاتمي ـ مأربي الثاني هو السلام على المتنبي واستطلاع مايشاع عن ادبه وشعره

المتنبي ـ (يلتفت نحو ابن جني) البيت اذن هو :

حالفته صدورها والعوالي
لتخوُضن دونه الاهوال

ابن حمزة ـ جئتَ اهلا وحللت سهلا ياسيدي ابا علي

الحاتمي ـ (وقد اغاظه اعراض المتنبي عنه) لكن ..

المتنبي ـ الضاد في تخوضن مضمومة ، لأن الفعل مسند الى واو المذكرين مؤكد بالنون

الحاتمي ـ يا ابن حمزة !؟

ابن حمزة ـ ابا الطيب !!

المتنبي ـ الضاد كما قلت مضمومة لا مفتوحة كما قرأتها معتبراً ان الفعل مسند الى ضمير مؤنث . فالخطأ ...

ابن حمزة ـ بالله يا ابا الطيب

(يخرج الغلام)

المتنبي ـ من هذا ابو علي الحاتمي !؟

ابن حمزة ـ انه من علماء بغداد وكبار ادبائها ، واستاذ لكثير من شعرائها

المتنبي ـ وما تراه يريد مني

ابن حمزة ـ لا احسبه آتياً الا لمجاذبتك الحديث في الشعر و لادب

ابن جني ـ ان اسمك يا ابا الطيب يدوي في الاسماع دوي الرعود

ابن حمزة ـ أصغ يا ابا محسّد .. الحاتمي رجل مهيب رفيع المكانة في بغداد ، وهو ليس ممن يقابلون بما قابلت به ابن الحجاج ورفيقيه

المتنبي ـ هل تنسج في وصفك اياه على المنوال الذي نسجت عليه لاولئك الاوغاد !؟

ابن حمزة ـ كل رجائي اليك ، ان تبسط له من نفسك وحديثك ، فقد كفانا ان اصبحنا غرضاً لأدعياء الادب

المتنبي ـ سوف نحسن معاملة الحاتمي ما احسن الكلام والتزم جانب الادب

(الى ابن جني) خذ السجل والقلم

المشهد الرابع

الحاتمي ـ (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله

ان كان ذاك نبيـــاً
فالجـاثـليـق الـــــه

ابن حمزة ـ لقد حذرتك من مغاضبتهم يا احمد
المتنبي ـ (مبتسما) أمثل اولئك الزعانف تخشى يا ابن حمـزة !؟
ابن حمزة ـ الم تر !؟
المتنبي ـ لعمري كنتَ قد ارعبتني حين حـدثتني عنهم . اما الآن وقـــد سمعت اقوالهم وشعرهم ، فاني استطيع ان امد رجليَّ وانام ملء جفـنيَّ

ابن حمزة ـ لاينبغي لنا الاستهتار بهـم يا ابا الطيب
ابن جني ـ لقداستهان ابو الطيب بالملوك وفطاحل الشعراء ، فكيف يأبه لمثل هـذه الحثالة

المتنبي ـ اوَتحسب اولئك الزعانف شعراءً يا ابن حمزة !؟
ابن حمزة ـ والله يا ابا الطيب ..
المتنبي ـ الا رحم الله شعراء بغداد .. هنا كان النواسيُّ ومسلم وابو تمّام وقد جاءت هذه الحثالة تلبس اليوم ثيابهم وتتزيّا بزيّهم

ابن حمزة ـ لقد قضي الامر وانهار الامل بالمهلبي
المتنبي ـ لايزعجني امر يا ابن حمـــزة ، الا اني رُميتُ في نهـاية ايامي بمثل هؤلاء

غلام ـ (داخلا) ابو علي الحاتمي يامولاي
ابو حمزة ـ (واقفاً بلهفة) ياللبلاء .. تمهل ما استطعت بادخاله علينا

ابن الحجاج ـ وسل من شئت عن شعراء بغداد ينبئك من هم

ابن حمزة ـ لكن يا ابن الحجاج ..

ابن سكّرة ـ ان في جراب اشعارنا علاجا شافياً للمغرورين

ابن بقّال ـ ولقد خلقنا من الشعر ميسما يشوّه الوجـــوه الصلفة وتبقى ابد الدهر

المتنبي ـ [مبتسما] ايها المغرورون ... انكم لم تزيدوا على ان جعلتم الشعراء عصابة من قطاع الطرق ، فسحقاً لكم من شعراء تعس الشعر بهم

ابن سكّرة ـ إن تقصر تحفظ احتراماً ابقينا عليه لابن حمزه . والا ...

المتنبي ـ [وهو يقف بغضب] والله ان لم ترحلوا الساعة عرّفتكم من انتم

ابن الحجاج ـ هلموا بنا .. ثم اليك اول الغيث [يقذف نحو المتنبي طرساً ويخرجون]

ابن جني ـ [يسرع ويستولي على الطرس ويشرع بالقراءة]

ابن حمزة ـ ما الذي تقرأ ياعثمان

المتنبي ـ اسمعنا يا ابا الفتح

ابن جني ـ (يقرأ بلهجة الم)

ما اوقـــح المتنبي فيم حكى وادعاه
ابيح مالاً عظيما لما ، اباح .. قفاه

ابن حمزة ـ ياللاوغاد !

ابن جني ـ :

يا سائلي عن غناه
ذيّاك كان غناه

ومرحباً بهم

ابن الحجاج ـ لقد جئنا للسلام على ابي الطيب

ابن حمزة ـ جئتم اهلا ايها الاجواد

المتنبي ـ [دون ان يتحرك من مكانه] تفضلوا بالجلوس

[يجلسون وعلائم الامتعاض بادية عليهم]

ابن حمزة ـ والله ايها الكرام ، كان ابو الطيب ..

ابن الحجاج ـ [يرسل قهقهة طويلة]

المتنبي ـ [ناظراً اليه بازدراء] لمَ تضحك ايها الرجل !

ابن الحجاج ـ اضحك ياسيدي لخطأ ارتكبته بالامس وفطنت اليه الآن .

المتنبي ـ [ينظر اليه بعبوس]

ابن الحجاج ـ وذاك اني سخرت من رجل زعم انك كنتَ تطمع في ملك مصر . وقد ظهر لي الآن خطأي الجسيم ذاك

ابن حمزة ـ كيف ذاك يا ابن الحجاج !؟

ابن الحجاج ـ لأن جلوس هذا المتنبي بمثل هذا الصلَف وهذه النظرات الجافة ، لايصدر الا عن ملك عظيم

المتنبي ـ لكن مالك ولكل هذا ايها الرجل .. هل جئتَ لزيارتي ، ام لابداء سخفك

ابن سكّرة ـ ان هذه المقابلة التي صدمتنا بها ، لاتقابل الا بالسخرية والهزء .

ابن بقال ـ فافق ايها الشيخ من ثباتك ، فنحن شعراء بغداد

وصف المعزّ بالجمال والمهلبي بافضل الخصال

المتنبي ـ كلا ياصديقي .. ان امتدح المستهتر المغرور بعد ان بلوته ، ولن ابالي بكلابه المساعير

ابن حمزة ـ ذلك لك يا ابا الطيب . غير اني احذرك من ابن الحجاج وابن سكّرة وابن لنكك ... إجتنبْ الاشتباك معهم ، لأن قطّاع الطرق ولصوص الليل اشرف منهم نفساً واكرم خلقاً

المتنبي ـ والله ..

ابن حمزة ـ اما اذا دُفعتَ الى لقائهم ، فانهُ عليك ان تجاملهم وتتلطف معهم ... [يدخل غلام]

الغلام ـ ابن الحجاج ياسيدي ورفاق معه ، آتون زائرين

ابن حمزة ـ [بعد التفات نحو المتنبي وابن جني] حسناً ، ادخلهم علينا.. لاريب في انهم آتون لتحرش بك يا ابا الطيب

المتنبي ـ ولسوف القاهم بما يستحق الزعانف امثالهم

ابن حمزة ـ اني لأعيد نصحي بان تجاملهم قدر طاقتك

المتنبي ـ قدر طاقتي يا ابن حمزة .. [يدخل ابن الحجاج ورفاقه]

المشهد الثالث

ابن حمزة ـ [متقدماً لاستقبالهم] اهلا بشعراء بغداد الفحول ،

ابن جني ـ وهل ترى يا ابن حمزة ان ابا الطيب على شاكلتهم ليأبه لهم !؟ الم تسمعه يقول :

واتعب من ناداك من لاتجيبـــه
واغيظ من عاداك من لاتشاكل

ابن حمزة ـ لكن يا ابا الطيب ليس هؤلاء ممن يسهل اتقاء شرهم

ابن جني ـ لاتحسبهم اعظم شراً واحذق كيداً ممن لقيهم ابو الطيب في حلب ومصر

المتنبي ـ كلا . وليسوا ايضاً اشد رهبة من البيد والقفار التي صارعتُ اهوالها وتغلبت في النهاية عليها

ابن حمزة ـ ارى يا ابا الطيب ان من الخير ان تعود الى المهلبي وفي كمك قصيدة في مدحه

المتنبي ـ أمثلي يفعل ذلك !؟

ابن حمزة ـ نعم ، وفي عرفي ان ليس اجرأ منكم انتم الشعراء على المداجاة والاختلاق

المتنبي ـ اتنسب لي يا ابن حمزة المداجاة والاختلاق ؟!

ابن حمزة ـ اني عالم باخلاقك الرفيعة ياصديقي ، غير ان غايتي في المقام الاول ان يحظى المتنبي بما هو اهل له من التبجيل والعطاء

المتنبي ـ لكن ..

ابن حمزة ـ ثم ان من صاغ المديح لكافور ، يا ابا محمّد ، لايعجز عن

اما ابن حمزة فقد طال جلوسه مع ابي الطيب في محـــاولة لاقناعه بزيارة الوزير المهلبي . وقد مضى يصوّر له الامور بين معارض الاغراء والتفاؤل والسلطان حتى تمكن في النهاية من النفوذ الى موطن الضعف في ابي الطيب ، وذاك عندما قال له فيما قال :

انك يا ابا الطيب قد سقطت من سلّم الطموح مرتين ؛ مرة عندما غضبت على سيف الدولة ومرة عندما اغضبت كافوراً عليك . فاذا مامضيت في التعالي هذه المرة فانك قد تسقط سقوطاً لانهوض بعده ! ثم ان الظفر بمودة المهلبي هي الظفـر بما تحلم به ، من ولاية ومنصب رفيع .

وهكذا مضى المتنبي الى زيارة المهلبي ، غير ان التعالي الاصيـل في نفسه قد فوّت عليه الفرصة مرة اخرى ، فعاد من الزيارة وفي قلبه حقـد على المهلبي ، وعلى عاتقيه من نقمته الوقر الثقيل ، وها هو في دار ابن حمزة بعد الزيارة .

المشهد الثاني

المتنبي ـ ... ولقد حسب وزيركم اني من الشعراء الذين يُقمَعون حول مائدته لالتقاط فتاتها

ابن حمزة ـ لقد اضعت الفرصة يا ابا الطيب وسلّطت عليك اكبر مدرّب للضواري .

المتنبي ـ وما تقصد بقولك !؟

ابن حمزة ـ اقصد ان المهلبي سوف يرسل اليك عصابته لتنهش من عرضك

مهلبي ـ نعم ما اعددت يا ابن الحجاج

ابن سكّرة ـ ونحن لن نسكت ايضاً ولنا في الجائزة مطمع ولقهر المتنبي منزع

مهلبي ـ كل هذا فوق ما انا راج . لكن الا ترون الا نأخذ في هجو الرجل قبل ان نستدرجه بشيء من الملاحاة

ابن بقّال ـ اني ياسيدي من هذا الرأي

ابن الحجاج ـ وانه لرأي صائب

ابن سكّرة ـ ولكم انا مشوق الى مهارشة هذا المغرور

المهلبي ـ ... اية وسيلة ترون ان نتخذها لاستدراجه الى المهاترة

ابن بقال ـ .. نقصده في دار ابن حمزة

المهلبي ـ لقد اصبت

ابن سكّرة ـ واسوف نعتمد خطّة محكمة لاثارته

[يدخل ابو علي الحاتمي]

الحاتمي ـ السلام على الوزير الحكيم

المهلبي ـ وعلى ابي علي السلام

الحاتمي ـ لقد مرّ بي ابو الفرج وطلب الي الشخوص اليك

المهلبي ـ تفضل بالجلوس ياسيدي ، فان علينا التداول بشأن هذا المتنبي الاحمق .

[يجلس الحاتمي ويشرعون بتدبير المؤامرة]

• • •

المهلبي ـ هل تحفظ ابياتها

ابن الحجاج ـ :

الويـل له ابن امي كيف مالت
بـه الدنيـا الى خـــلق اللئام

رمى نسب الكلاب وكان زنياً
بعـار من مثـالبـــه وذام

يبيـع الشعر احمـــدُ لا يبـالي
واين لمثـــله خـوف الملام

غـــدا عبداً لكافور بمصر
وذل لآل تغـــلب في الشآم

سأنشده من الاشعـار بيتاً
له ان كان لا يرضى كلامي

« وآنف من اخي لأبي وامي
اذا مالم اجده من الكرام »

مهلبي ـ ارى هذا الشعر بليغاً محطماً

الحجاج ـ والوسيلة التي افكر بان اذيع بواسطتها هـذا الشعر هي اقوي على التحطيم

مهلبي ـ وما عساك اعددت !؟

الحجاج ـ لسوف اعلّق هذه القصيدة في عنق كلبـة هزيلة لديّ ، ثم اطلقها في المدينة موكلا بها احد عبيدي

الاصفهاني ـ التمس من مولاي الاذن بالذهاب

المهلبي ـ ولمَ يا ابا الفرج !؟

الاصفهاني ـ يدعوني داع قاهر للذهاب ، وما جسرت على الاستئذان من مـولانا معز الدولة

المهلبي ـ حسناً ابا الفرج . لك ان تنصرف . انما تمرُّ بابي علي الحاتمـــي وتدعوه لموافاتي في هذا المكان دون ابطاء .

[يخرج الاصفهاني] .. اما نحن فعلينا ان نُعدَّ لهذا المتغطرس الاحمق ما يمكّننا من القذف به الى هوّة سحيقة من الهوان

ابن سكّرة ـ ان شوقنا الى تحطيم هذا الدعي لايحده حد

المهلبي ـ هل تعلمون اين يقيم

ابن البقال ـ اجـل

ابن الحجاج ـ انه ينزل في دار علي بن حمزة اللغـوي في رَبض حُميـد بالجانب الغربي

المهلبي ـ أجعل الف دينار جائزة لمن ينشيء في هجائه عشرة ابيات من فحش الشعر

ابن البقال ـ والله لاتغرينا الجائزة بقـــدر ما يغرينا نيـل الشهرة بسبب هجائـه

ابن سكّرة ـ اي والله ، وانها لعمري شهرة تبقى الى الابد

ابن الحجاج ـ اني يامولاي قد اعددت ابياتاً لا احسب احداً سواي بالغاً بمثلها مازيد للمتنبي من هوان

تتزلّف اليه كما فعل سيف الدولة ومن ثم كافور

معز الدولة ـ ليس هذان الا مغرورين مأفونين

المهلبي ـ إن عليّ نُصْحَ مولاي بالانتظار ، حتى اذا ما جاء المتنبي الي قصره مستجدياً كما يفعل غيره من الشعراء ، ثم التمس الاذن بمديح مولانا ، فتح له الابواب واجزل العطاء

معز الدولة ـ واذا لم يفعل !؟

المهلبي ـ اذا لم يفعل ، تركنا لجواسيسنا ان تجعل اقامته في بغداد جحيم لايطاق

معز الدولة ـ لكن الا يوجد بين شعراء بغداد من في وسعه تحطيم صلف اهذا الدعي

المهلبي ـ إنا طامعون في ان يمدح مولانا معز الدولة .. الا اني على اي حال، التمس من مولاي ان يترك لي امر هذا المغامر الافاق

معز الدولة ـ ... لك ماالتمست .. غير اني اطلب ان تتشاور وهؤلاء الشعراء في هذا المكان

المهلبي ـ الا يرى مولاي ...

معز الدولة ـ تشرع الساعة في ما طلبت ، وينبغي ان تعمل على ان يفر الرجل من بغداد ، فرار الارنب الطريد [يخرج بنزق]

المهلبي ـ .. الا تعساً لهذا المتنبي المشئوم ، فلقد قدّرتُ ان بثير ورودُه بغداد ، سخط الامير

المهلبي ـ السلام على مولاي ..

معز الدولة ـ المتنبي في بغداد منـذ ايام

المهلبي ـ لقد علمت به ..

معز الدولة ـ فماذا ترى!؟. اليس في قصري من شعراء بغداد والمتطفلين عليها مايفيض عن الحاجة ؟

المهلبي ـ لقد ارسلت بعض الناس للتحرش به.

معز الدولة ـ ماعدتُ لأستطيع هضم اشعار المرتزقة . وهذه الاموال التي تبعثر كل عام ، اولى بها ان تذهب الى القـواد

المهلبي ـ رجائي الى مولاي ان يهديء انفعاله

معز الدولة ـ لن اهدأ والمتنبي في بغداد

المهلبي ـ لكن ، يامولاي ، ينبغي ان نتروى قبل الاقـدام على مشاكسة المتنبي ، فان هذا الرجل شاعر مرّ اللسان شائك الجانب ، قد يخـرج عن جادة الادب ان لم تملأ فمه بعطاياك . وشعر هـذا اللعين له اجنحـة لاتكـل عن التحليق والطيران .

معز الدولة ـ (يميل الى الهدوء) لقد عرّض بي هذا السفيه وكاد يهجوني في بعض مدائحه لهذا المفتون الذي يدعو نفسه سيف الدولة

المهلبي ـ ليس المتنبي يامولاي ، ممن يستهان بهم ، اذ لقد بلغ من المجـــد الشعري منزلة ينبغي ان نخضع لها راضين كارهين

معز الدولة ـ لامجد الا مجد البطش والقتال

المهلبي ـ الذي اشير به هو الا تباديء الرجل بالعدوان ، لكن ينبغي الا

المشهد الاول

ندخل مجلس معز الدولة وهو في اوج غضبه . فنسمعه يقـول :

معز الدولة ـ ولم يقوَ احدكم على التصدي لهـذا الدعي المتغطرس فيصدع كبرياءه ويقذف به الى الوكر الذي تسلل منه

السريّ الرّفاء ـ لقد سمعته في مجالس سيف الدولة و ..

معز الدولة ـ أطبق هذا الفم على ذكر الاهوج الارعن

الاصفهاني ـ لعـل الاخ السريّ ...

معز الدولة ـ اصمت .. فلستَ الآن في نظري ابا الفرج الاصفهاني

اصفهاني ـ اني يامولاى ..

معز الدولة ـ وما دمنا بصدد المتنبي الافّاك ، تبقون جميعكم متساوين لدي. انت ، والرفاء وابن الحجاج هذا وابن البقال وابن شكّرة .

اصفهاني ـ لكن ..

معز الدولة ـ ولن ينبس احدكم بحرف . واني والله لقادر على صلبكم جميعاً ان لم تنزلوا بالمتنبي المغرور اشد المهانة والاذلال

(يدخـل المهلّبي)

معز الدولة ـ وها وزيرنا المهلّبي يقبـل بهـدوء واتزان كأنه لم يعلم بمـا حدث

ابن جني ـ نذهب لتعلّم ادعياء الفكر فيها ، ان الشعر شيء غـــير نظم الكلام . ثم اني لا استبعد ان تنال بعد ذلك كل ماتصبو اليه نفسك

المتنبي ـ ... لعلك على صواب يا ابا الفتح

ابن جني ـ ولسوف ترى معزّ الدولة مقبـــلا عليك داعياً اياك الى قصور الخلافـة .

المتنبي ـ [وقد عمر صدره بالاماني العراض ينـادى غلامه مفلح ليقـول له] تُعِدُّ الخيل والابل فانا راحلون الى بغداد في السحر .

• • •

ويصل ابو الطيب بغداد في اصيل يوم من ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ... وكانت بغداد في ذلك الحين لاتزال محتفظة ببقية من عظمة العباسيين وحضارتهم ومجدهم الاثيل رغم كل ما اصابها من ظلم معزّ الدولة واقطاعه جنـده القرى جميعها ومصادرته الغاشمة للامـوال .

وكانت بغداد برغم ذلك ايضاً موئل العلماء والادباء والشعراء وملتقى أمم الارض من كل افق ودين . وكانت الى جانب ذلك تذخر بالجواسيس واصحـاب الاخبار ، يعملون لمعزّ الدولة وكافور وسيف الدولة وحـــتى لعضد الدولة ملك فارس ، وللفاطميين ملوك المغرب . فلذلك ما كاد ابو الطيب يحط رحاله في بغـداد حتى تشمم الجواسيس خبره ونقلوه الى معز الدولة الذي استشاط منه غضباً فاسرع في عقد مجلس للشعراء المرتزقة ، كما ارسل في طلب وزيره المهلبي .

والي ـ واحسبك يا ابا الطيب ، غير باخل على الخلافة ورجالها ببعض ما نثرت على تابعيها

المتنبي ـ لسوف انظر في الامر ياسيدي

والي ـ بالله يا ابا الطيب ، قد ينالني لوم من دار الخلافة اذا لم تسرع اليها بدورك .

المتنبي ـ ان الامور مرهونة باوقاتها ياسيدي

والي ـ [وهو يقف] الشكر لك يا ابا محسّد ، واني لاستودعك الله

المتنبي ـ صحبتك السلامة ياسيدي . [يصافحه الوالي ويخرج]

الشريف ـ ونستأذنك للانصراف بدورنا يا ابا الطيب

المتنبي ـ تمنيت لو طال مجلسنا ياسيدي الشريف

الشريف ـ لن ينقضي يوم دون ان ازورك فيه ، ان شاء الله

المتنبي ـ الى اللقاء يا ابا الحسن .

[يودع الجميع ويخرجون]

ابن جني ـ ... لقد سمعتَ يا ابا الطيب .. ان بغداد تتشوف الي لقائك ؛ الخليفة ومعزّ الدولة والوزير المهلّبي والشعراء والعلماء .

المتنبي ـ اوتحفزني للمضي الي بغداد

ابن جي ـ والله يا ابا الطيب ..

المتنبي ـ الم تنصحني قبل حين بان اتجنب مصاحبة كبار الساسة !؟

ابن جني ـ اريدك ان تذهب الى بغداد ، لا الى من ذكرتَ من الناس

المتنبي ـ وما افعل في بغداد ان لم اقصد اولي امرها ، عساني انال ما فاتني

الشريف وهذا بيت لم يأت بمثله شاعر منذ عُرفت القوافي والاوزان

والي ـ اجل ، والله ، ايها الشريف الحسن

المتنبي ـ الشكر لثنائكما

الشريف ـ ومن مصائب القدر ان ينثر هـذا الدرّ على خصيّ اسود

والي ـ لقد كان مولانا معزّ الدولة احق بهذا البيت واجدر .

والي ـ لقد اسفت لقولي هذا البيت في كافور

والي ـ اذاهب انت الي بغداد ، بعد ان تستريح قليلا في الكوفة

المتنبي ـ اني مزمع على الاستراحة طويلا ياسيدي

الشريف ـ حقاً لقد اضناك طول الترحال ، وآن لك ان تستريح

والي ـ قد نغمض العين عن ان يأخذ ابو الطيب قسطاً من الراحة . اما شاعريته فلن يسمح لها ان تستريح مدى الدهر

المتنبي ـ اني ياسيدي ...

والي ـ ألا قلّ لي بالله ، متى تذهب الى بغداد ، لأكتب الي مـــولاي معزّ الدولة

المتنبي ـ يبدو لي ...

والي ـ لقد كتبت الى الوزير المهلّبي رسالة بشأنك ، وأكبر الظن انه لن يدعك تستريح يا ابا الطيب

المتنبي ـ لكني ...

والي ـ الناس طامعون بشعرك يا ابا الطيب ، فلقد رفعتَ به سيف الدولة لى القمة ، وملأت الدنيا بمدح كافور ثم بهجائه

المتنبي ـ احسبني ياسيدي قد تعبت

المتنبي ـ لاتخفى على احد مشاغل سيدي العديدة الوافرة

والي ـ .. لكم افتقدتك الكوفة يا ابا الطيب ، وتطلعت الى رجوعك

المتنبي ـ والله ياسيدي ، لم يمر بي يوم في اغترابي الا وهزني الحنين الى الكوفة الحبيبة

والي ـ وكذلك الكوفة يا ابا الطيب ، كانت تناديك بالف لسان ، في كل يوم بل في كل آن

المتنبي ـ لشد ما كان يعذبني ابتعادي عنها

والي ـ اما نحن،فانا لم نشعر ببعدك عنها ، وذاك لدأبنا على تتبعك بالفكر انّى رحلت وايّان حللت

المتنبي ـ اني لشاكر هذا الجميل

والي ـ وللحق ان اخبارك كانت لاتكاد تنقطع عنا طوال اقامتك في مصر

المتنبي ـ مشكورة للكوفة العزيزة هذه المنّة

والي ـ فلقد كانت تصل الينا قصائدك في كافور ، فكانت الكوفة تقرؤها وتطرب فتفخر بان تكون ابناً لها

المتنبي ـ ولكم ندمت على مدحي الاسود الزنيم

ابن جني ـ واي مديح !! لقد رفعتَ به صاحبك الى اجواز السماء

والي ـ للحق ان كافوراً ما كان مستحقاً مديحك .. ولكم حزّ في نفسي ان تقول فيه :

لو الفلك الدوّار ابغضتَ سعيه

لعوّقه شيء عن الدوران

المتنبي ـ بلى ، وا أسفاه

الشريف ـ وقد خرجتَ آنذاك فراراً من القرامطة

المتنبي ـ نعم ياسيدي .. فلقد كان القرامطة بلاءً علي وعلى الكوفة ، بل على العراق كله

الشريف ـ ولكم دمّروا واحرقوا من الدور والمساجد . ولكم سلبوا ونهبوا وفعلوا الافاعيل

المتنبي ـ لقد كان منذ ثلاثين عاما

الشريف ـ ولم ينفكّ القرامطة عن بذر الفساد حول الكوفة ، غير خاضعين لحاكم او راجعين لشرع

[يدخل مفلح]

مفلح ـ لقد قدم والي المدينة ياسيدي

المتنبي ـ حسناً يامفلح [يخرج مفلح]

الشريف ـ ترى ما الذي جاء بعامل معزّ الدوله !؟

[يدخل الوالي]

والي ـ [يدخل] اهلا بك ومرحباً يا ابا الطيب

المتنبي ـ [وقد وقف مع الآخرين] مرحباً بالسيد المطاع والرجل الجليل [يتصافحان]

والي ـ اهنئك بسلامة الوصول يا ابا الطيب ، وان كان عليّ ان ازورك قبل اليوم

المتنبي ـ فليتفضل سيدي بالجلوس

[ويجلس الشريف بينا المتنبي يصافح الآخرين ثم يمضي للجلوس على كرسيّه]

لقد انالني سيدي الشريف والسادة الافاضل شرفاً جزيلا

الشريف ـ والله يا ابا الطيب . الى ان قدمتَ ، كانت الكوفة خرساء خامدة لايصفر في جوّها الادبي طير ، ولا يرف للشعر فيها جنح

المتنبي ـ الشكر الجزيل للشريف الاديب

الشريف ـ وما كان اسعدني حين سمعتك الآن تستقبلني بتغريدك الساحر وحفيف جنحك القاهر

المتنبي ـ اقوال سيدي وشاح من الفخر وضّاء ازهو به على العالمين

الشريف ـ لقد كانت الكوفة تتشوف الى قدومك يا ابا الطيب ، بعد ان تراجع مجدها وكادت تذوي افنان الادب والشعر فيها

المتنبي ـ كان القدر يسيّرني ، ايها الشريف الحسن،ولا مرد لاحكامه .. ولقد رأيت في ترحالي ملوكا ولقيت اناساً . غير اني ادركت فيما بعد ان كل شيء في هذه الدنيا هباء .

الشريف ـ لكنك يا ابا الطيب قد نلت في هذه الرحلة ما لم ينله شاعر . وبلغت منزلة تموت دونها الآمال

المتنبي ـ وما تراني قد حصلت عليه من كل ذلك !.. لاشيء سوى عودتي الى الكوفة وعلى كتفيّ اثقال السنين ، بعد ان خرجت منها ريّان الشباب

الشريف ـ كاد يمضي على ذلك ثلاثون حولاً

وتغاضى عن اساءات اهله وحاشيته الي .

ابن جني ـ والله يا ابا الطيب ..

المتنبي ـ اما تركه ابن خالويه يدمي جبهتي بالمفتاح دون ن يلقى منه نكيراً، فان هذا سيبقى الى الابد عامـــلا قاهراً يقصيني عنه ، كلمـــا جاذبتني العاطفة الصفح والسلوان .

[يدخل الغلام مفلح]

مفلح ـ الشريف الحسن العلوي وطائفة من علمـاء المدينـة يطلبون مقابـلة سيدي

المتنبي ـ ... يتحتم علي استقبالهم .. تأنّ بادخالهم يامفلح

مفلح ـ حسناً ياسيدي [يخرج]

المتنبي ـ فلتضع هذا السجل جانباً يا ابا الفتـح ، فان علينا ان نلبس لكل حال لبوسها [يمضي ويجلس على كرسي ضخم في صدر المكان]

المشهد الثاني

الشريف ـ [يدخل] اهلا بك في بلدك يا ابا الطيب ومرحباً

المتنبي ـ [يتقدم نحوه] الشكر لتفضل الشريف الحسن بهـذه الزيارة الكريمـة .

الشريف ـ اهلا بك ابا الطيب ، اهلا بك [يتصافحان]

ليس إلاّك ياعلي همام
سيفه دون عـرضه مسلول
كيف لايأمن العراق ومصر
وسرايـاك دونها والخيول
انت طـــول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد ان يكون القفول
وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى اي جانبيك تميل

... والله يا ابا الطيب ، ان بطولة سيف الدولة قـد خلّفت له العـديد من الحساد بين ملك وامير

المتنبي ـ اجل ، ابا الفتح . انما المـــلوك والامراء اولئك ، هم بين الذين تلهيهم دنياهم عن الدين وتقعد بهم عن البطولة ضعة متأصلة في نفوسهم .

ابن جني ـ بلى والله .
المتنبي ـ إقرأ الابيات الاخيرة .

ابن جني ـ :

قعد الناس كلهم عـن مساعيك
وقامت بها القنـا والنصـــول
ما الذي عنـده تدار المنـــايا
كالذي عنـــده تدار الشمول

المتنبي ـ ... حين انبأني سعد الدولة بمرض ابيه ، اجتاحتـني عاصفـة من الاسى كادت تحتملني الى حلب . لكن سرعان ماداهمتني ذكرى ايام ازدراني فيها

المتنبي ـ لقد كتبت اردّ على الخطاب .. واليك، ما كتبت :

ابن جني ـ [يقرأ]

مالنا كلنا جـــو يا رسول
انا اهـــوى وقلبك المتبـول
كلما عاد من بعثتُ اليهـا
غار مني وخان فـــيما يقول
افسدتْ بيننـا الامـانات عينا
هـا وخانت قلوبهن العقـول

المتنبي ـ إمضِ الى ابعد

ابن جني ـ :

كلمـا رحبّت بنـا الروض قلنـا
حلب قصـــدنا وانت السبيل
والمسمّون بالامير كثير
والامير الذي بهـا المأمـــول
الذي زُانت عنـه شرقاً وغـرباً
ونـداه مقابـلي لايزول

المتنبي ـ دع من هذا يا ابا الفتح

ابن جني ـ :

واذا صح فالزمان صحيح
واذا اعتلّ فالزمان عليـــل

الى ابي الطيب احمد بن الحسين

اما بعد فاني احمد الله اليك واطلب لك العافية والسلامة .. ثم اني علمت بتركك الاسود ، فشكرت الله على نجاتك من هذا الطاغية العنيد

واني لذلك ارسلت اليك ابني وهو اغلى مافي الحياة عندي، لأرجوك العودة الى حلب ... لقد تغيَّرت بعدك الاحوال يا ابا الطيب ، وقويت شوكة الروم وطمى طغيانهم ، والناس حولي قد تخاذلوا وسئموا القتال .

ان الاسلام في حلب لأحوج ما يكون الى صوتك الرنان وشعرك الفياض بالقوة والحماسة . فلقد كان وجودك الى جانبي في حلب طالع يمن علي وعلى المجاهدين في الاسلام ، كما كان شعرك يلهب العزائم ويوقظ الهمم .

فأقبل علينا يا ابا الطيب ، لأن السيوف تهتز في اغمادها شوقاً اليك ، ومجالس الادب تكتئم انفاسها لقدومك. واذا كانت في نفسك مني غضاضة فاني اقول لك ما قلتَه لي من قبل :

وان كان ذنبي كل ذنب فانه
محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

المتنبي ـ ... هل سمعت ياعثمان !؟
ابن جني ـ انه والله لكتاب يهز المشاعر
المتنبي ـ لقد تقاطرت دموعي غزيراً حين قرأتُه
ابن جني ـ وارى عينيك الآن مخضلتين بالدمع
المتنبي ـ واني لا ادري متى تهدأ هذه النفس
ابن جني ـ ... وعلامَ عزمت !؟

أخذتُ بمدحه فرأيت لهـــواً

مقـالي للاحيمق ياحليم

المتنبي ـ فاتطلقني بالله من هـذا الاسر يا ابا الفتح

ابن جي ـ ارى حنينك الى التنقل يتعاظم يا ابا الطيب !

المتنبي ـ ... لدي خبر مثير اغفلت ذكره على مضض حتى الآن

ابن جني ـ ما الامر يا ابا الطيب !؟

المتنبي ـ ... الامير سعد الدولة في بيتي

ابن جني ـ ابن سيف الدولة ؟

المتنبي ـ لقد وفد البارحة علي

ابن جني ـ ياللخبر المثير !

المتنبي ـ ولعل ماترى من اضطرابي ناجم عن هذا الامر

ابن جني ـ وبمَ انبأك عن والده !؟

المتنبي ـ سيف الدولة مريض ، ومصاب بشلل في يده

ابن جني ـ وارحمتاه لهذا الامير الكريم

المتنبي ـ لكن بطولته المتوثبة لاتني تدفع به الى مقاومـة الروم .

ابن جني ـ ياللامير المقدام !

المتنبي ـ [وهو يناوله كتاباً] اليك كتاب حمله الي سعد الدولة ... انـه كتاب يقبض النفس ويثير المشاعر

ابن جني ـ [يأخذ الكتاب ويتصفحه]

المتنبي ـ اتمنى تلاوته علي

ابن جني ـ [يقرأ] من سيف الدولة ابي الحسن بن حمدان

جاز الألى ملكت كفاك قدرهم
فمُرّفوا فيك ان الكلب فوقهم

سادات كل اناس من نفوسهم
وسادة المسلمين الاعبد القَزَم

اغاية الدين ان تحفوا شواربكم
يا امة ضحكت من جهلها الامم

المتنبي ـ اسرع بسواها ان كان لديك
ابن جني ـ لم يبْق الا بضعة ابيات من ...
المتنبي ـ بالله يا ابا الفتح !..
ابن جني ـ لم يبق سواها
المتنبي ـ هاتها

ابن جني ـ :

اما في هذه الدنيا كريم
تزول به عن القلب الهموم

اما في هذه الدنيا مكان
يُسرُّ باهله الجار المقيم

تشابهت البهائم والعبيدي
علينا والموالي والصميم

حصلت بارض مصرَ على عبيد
كأن الحر بينهم يتيم

كأن الاسود اللابي فيهم
غراب حوله رخم وبوم

المتنبي ـ ... كلمات الابيات كلهـا صحيحة

ابن جني ـ أنتقل الى قصيدة اخـرى

المتنبي ـ افعل

ابن جني ـ اتناول ، أُريك الرضى .

المتنبي ـ ايها اردت

ابن جني ـ :

اريك الرضى لو اخفت النفس خافيا
وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا

أميّناً واخلافاً وغدراً وخسّة
وجبناً ، اشخصاً لحت لي ام مخازيا

تظن ابتساماتي رجاءً وغبطـــة
وما انا الا ضاحكاً من رجائيـا

ولولا فضول الناس جئتك مادحاً
بما كنتُ في سري به لك هاجيا

فان كنتَ لاخير افدتَ فانـني
افدتُ بلحظي مشفريك الملاهيا

ومثلك يؤتى من بلاد بعيـــدة
ليضحك ربات الحداد البواكيا

... ويبقى لمراجعة هذا اليوم ..

المتنبي ـ اسرع بمـا بقي

ابن جني ـ :

من اية الطرق يأتي نحوك الكرم
اين المحاجـم يا كافور والجَلَم

ابن جني - :

ألا كلُّ ماشية الخيـــزلى
فدى كل مـاشية الهيـدبى

المتنبي - هذه الرحلة الفذة ، ستبقى ذكراها في نفسي ، الى جانب ذكرى فاتك ، ما حييت

ابن جني - :

فلمـا انخنـا ركزنا الرمـا
ح فوق مكارمنـا والعـــلا
وبتنا نقبّل اسيافنـا
ونمسحهـا من دماء العـــدا
لتعلم مصر ومن بالعـــراق
ومن بالعـــواصم اني الفتى
واني وفيت واني ابيت
واني عتوت على من عتـــا
وما كل من قال قـــولاً وفى
ولا كل من سيم خسفاً ابى
لقد كنت احسب قبل الخصيّ
ان الرؤوس مقر النهـــى
فلما نظرت الى عقله
رأيت المني كلها في الخصى
ومن جهلت نفسُه قـــدرَه
رأى غـــيره منـــه لا يرى

بالهدوء والسكون . واني لااستعظم ان تنطلق وراء مطامح نفسك الطموح . الا اني انصح بان تتقي اخطار مطامحك وان تتجنب ماتجره مصاحبة كبار القادة من ويلات .

المتنبي ـ بلى ، ابا الفتح . ينبغي لي الابتعاد قليلا لكي اصون لنفسي كرامتها .

ابن جني ـ ينبغي ان تفيد من تجاربك

المتنبي ـ ولسوف اعمل لكي يطلبني الملوك ولا اطلبهم

ابن جني ـ حسناً تفعل يا ابا الطيب . وفي هذا اعلمك ان معزّ الدولة قد بعث الى والي الكوفة طالباً استقصاء اخبارك

المتنبي ـ معزّ الدولة !.. هذا الديلمي الاقطع الغاشم !

ابن جني ـ انه اللؤم بعينه يا ابا الطيب . فهذا الرجل الذي كان يقتات ثمن الحطب الذي يجمعه بشق النفس ، لم يرتدع عن خلع الخليفة المستكفي ، وسمل عينيه .

المتنبي ـ ياله من وغد !

ابن جني ـ لقد فعل هذا الاثم بعد بضعة ايام من دخوله بغداد بشرازم من صعاليك القفار

المتنبي ـ ... فلنعد الى ما كنا فيه ياعثمان

ابن جني ـ ... أقرأ للتنقيح ابياتاً بدا لي بعض الشك في صحة كلماتها

المتنبي ـ إقرأ ماعنّ لك .

المتنبي ـ والله يا ابا الفتح ، اني مللت حياة الدعة والسكون .. ولعلي ، حين استدعيتك باكراً ، كما قلتَ ، كنت اهفو الى ان أُثار فيَّ عواصف من اي نوع ، بقصد انتزاع جسدي من سكون يميل اليه ، واطلاق نفسي النزوع من قيود كبلها بها هذا الجسد الكسول .

ابن جني ـ لكن يا ابا الطيب !. اما آن لك ان تستريح !؟ الا تستذكر صعاباً واهوالاً قاسيتها خلال ثلاثين عاما ، وعانيت فيها السغب والفاقة ، والصغار احياناً !؟

المتنبي ـ انك تذكّرني ياعثمان بما هو ادعى الي لحاجة النفس في طلب الانطلاق .

ابن جني ـ وايام استجدائك بالشعر متنقلا على قدميك من بلد الي بلد ، ومديحك من هو بالصفع اجدر منه بالمديح ! ثم بيعك دررك الغوالي بدريهمات معدودات !

المتنبي ـ ما اعجب مامرَّ بي !!

ابن جني ـ افلا يبلغ كل ذلك من نفسك مأرباً فيحوّلها عن لجاجتها ويقعد بها عن طلب الهلاك !؟

المتنبي ـ كلا يا ابن جني . اني لم اخلق لأجلس هادئاً في عقر داري ألقيّن هذا بيتاً من الشعر ، واصحح لذاك كلمة في اللغة .. اني لأحس باني قد خلقت من عصف الرياح وهدير السيول . ولست ، بعد ، ممن يجلس في شمس الشتاء او يستظل من لفح الهجير بدوحة او جدار .

ابن جني ـ والله يا ابا الطيب ما كنتَ في نظري الا نزوعا وثاباً لاترضى

وان الاسوَد المثقوب مشفره
تطيعه ذي العضاريط الرعاديد

جوعان يأكل من زادي ويسكني
لكي يقال عظيم القدر مقصود

المتنبي ـ ياللاوكع الخسيس !
ابن جني ـ وياللروعة في تصويرك الخسة بهذا البيت الفريد

ابن جني ـ :

من علَّم الاسود المخصيَّ مكرمة
اقومه البيض ام آباؤه الصيد

ام اذنه في يد النخاس دامية
ام قدره وهو بالفلسين مردود

اولى اللئام كويفير بمعذرة
في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

وذاك ان الفحول البيض عاجزة
عن الجميل فكيف الخصية السود

ابن جني ـ ... ياللقصيدة العامرة الخالدة !
المتنبي ـ .. لقد صدقتَ ، ابا الفتح ، حين قلتَ ، عن وضعي نفسي بين الشجن والحقد ، في مراجعة اليوم

ابن جني ـ ولكأني بك كنت تهفو اليها حين استدعيتني للمراجعة هذ اليوم ، والشمس لمّا تكد تبزغ

من كل رهو وكاء البطن منتفخ
لا في الرجال ولا النسوان معدود

اكلما اغتال عبد السوء سيده
او خانـــه فله في مصر تمهيد

صار الخصيُّ إمام الآبقين بهـا
فالحـــر مستعبد والعبد معبود

نامت نواطير مصر عن ثعـالبها
فقد بشمن وما تفنى العناقيد

... هل كلمة ناطور عربية صرفة
المتنبي ـ كلا . ان هذا الاسم معجم ، ابا الفتح

ابن جني ـ :

العبـد ليس لحـــر صالح بأخ
لو انه في ثيـاب الحـــر مولود

لاتشتر العبـد الا والعصا معـه
ان العبيد لأنجاس مناكيـد

ما كنت احسبني احيا الى زمن
يسيء لي فيه كلب وهـو محمـود

المتنبي ـ قبحاً لوجهك يازمان ...

ابن جني ـ :

ولا توهمت ان الناس قد فُقدوا
وان مثـل ابي البيضاء مـوجود

المتنبي ـ ... ما الذي استوقفك ايضاً !؟

ابن جني ـ هـذه الكلمة واعجبه

المتنبي ـ وما رأيت فيها !؟

ابن جني ـ لقد خيّل الي انها محرّفة . وانها في الاصل كانت واعجبها .

المتنبي ـ تريد انها ضمير يعود الى الدنيا !؟

ابن جني ـ اليس ذلك اقرب الى الافهام !؟

المتنبي ـ يجوز ان يُرَدَّ الضمير الى الدنيا . غير اني رأيتُ التذكير اكثر وجاهة فقلت واعجبـه ، اي واعجب هـذا الامر ؛ الامر المنطوي على مـا لقيت من الدنيا .

ابن جني ـ مقنع ..

أمسيتُ اروح مـثر خازناً ويداً
انا الغـني وامـوالي المواعيـــد

المتنبي ـ لقد طالما وعدني اللعين ومنّاني

ابن جني ـ :

اني نزلت بكذابين ضيفهـم
عن القرى وعن الترحال محدود

المتنبي ـ الاخسّاء

ابن جني ـ :

ما قبض الموت نفساً من نفوسهم
الا وفي يـده من نتنها عـــود

ابن جني ـ انها لحال مثيرة لاتطاق

المتنبي ـ في تلك الحال القاتمة انشأت قصيدتي .. هل تقرأ !؟

ابن جني ـ :

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى ام لأمر فيك تجديد

ابن جني ـ [لنفسه] لعله اراد ان يقول لأمر فيه تجديد ، بدلاً عن فيك تجديد .

المتنبي ـ اراك توقفت !؟

ابن جني ـ :

اما الاحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيداً دونها بيد

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي
شيئاً تتيّمه عين ولا جيد

ياساقييَّ أخمر في كؤوسكما
ام في كؤوسكما همٌّ وتسهيد

أصخرة انا مالي لاتحرّكني
هذي المدام ولا هذي الاغاريد

اذا اردتُ كميت اللون صافية
وجدتها وحبيب النفس مفقود

ماذا لقيت من الدنيا واعجبه
اني بما انا باك منه محسود

المتنبي ـ ايها تعني !؟

ابن جني ـ عيد بأية حال ..

المتنبي ـ اجل ، ابا الفتح . ولقد تمنيت لو بيّنتُ الآن عظم الدوي الذي كانت تثيره في نفسي اياتها وانا انشئها .. لقد كان الناس آنذاك في ابتهاج وحبور ، مجتمعين الى الاهل والاحبة والخلان وكنتُ قابعاً في حجرة نائية مسلوب الكرامة والصداقة والمحبة بعيداً عن الاهل ، قريباً من الاعداء .

ابن جني ـ يالالحال المنكرة التي كنتَ فيها

المتنبي ـ انها لتعاودني الآن صورة صورتها لي مشاعري ذاك اليوم . واني لأحس وكأن الاسى العميـــق الذي اعتصر نفسي حينذاك قد اطبق الآن دون رحمة .

ابن جني ـ والله يا ابا الطيب ...

المتنبي ـ لقد ثارت بي مشاعري في ذاك الحـــين ، فصوّرت لي النـاس هازجين مرحين ، يندفعون جذلين نحو جنان العيد وقد صرصرت مصاريع ابوابها ايذاناً بفتحهـا .

ابن جني ـ لله يا ابا الطيب

المتنبي ـ ولقد رأيتني منقبض القلب ، منقبض السحنة ، ورأيت الاسود اللعين منتصباً امامي يمنع عني الدنو من الباب

ابن جني ـ انها لعمري ، صورة تثير الحقد والكره

المتنبي ـ كنتُ قد فقدت فاتكاً صديقي الاوحـد وعزائي الفريد . وكانت دون اهلي بيد وقفار وصعاب . ثم كانت دالّة الحساد اللئام قد ازدادت على الخصيّ حتى عاوده طبعه الخسيس .

آثاره .

ابن جني ـ بلى يا ابا الطيب . فها انت تقول :

غاض الوفاء فما تلقاه في عِدَة
واعوز الصدق في الاخبار والقسم

سبحان خالق نفسي كيف لذتها
فيها النفوس تراه غاية الالم

المتنبي ـ اقوال تضيع مع الرياح ، ويضيع معها العمر

ابن جني ـ ياللعجب ! تبدو لي افكارك الآن و كأنها هي هي يوم ان وضعتَ قصيدتك ؛ فلقد قلت :

وقت يضيع وعمر ليت مدته
في خير امته من سالف الامم

اتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرّهم واتيناه على الهرم

المتنبي ـ دعك بالله مما يثير الاشجان

ابن جني ـ ما كان القصد من التلاوة الا استدراك سهو وضبط لفظ

المتنبي ـ فلتمضِ الى غير هذه

ابن جني ـ كل اقوالك التي نمحّص اليوم . تضعك بين الحقد والشجن . ولا اخالك مفضلا حالاً على حال

المتنبي ـ امضِ في القراءة ياعثمان

ابن جني ـ نستعرض الآن القصيدة التي دوّت ابياتها في كل صقع

لا فاتكٌ آخرٌ في مصر نقصده
ولا له خلف في الناس كلهم
من لا تشابهه الاحياء في همم
امسى تشابهه الاموات في الرمم
عدمته وكأني سرت اطلبه
فما تزيدنيَ الدنيا على العدم

المتنبي ـ لا والله . ماينفع الرثاء او يجدي الكلام ، والناس اصبحوا على اكبار القوة وازدراء الفكر

ابن جني ـ والله يا ابا الطيب ..
المتنبي ـ الا تقرّني على قولي
ابن جني ـ كيف لا ، وانت القائل في هذه القصيدة :

مازلت أضحك إبلي كلما نظرت
الى من اختضبت اخفافها بدم
اسيرّها بين اصنام اشاهدها
ولا اشاهد فيها عفة الصنم
حتى رجعت واقلامي قوائل لي
المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا ابداً بعد الكتاب به
فانما نحن للاسياف كالخدم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته
اجاب كل سؤال عن هل بلم

المتنبي ـ هذه حال لامفر منها لطالب العزة ، بعد ان ذهب الوفاء وانمحت

لافاتكَ آخرٌ في مصر نقصده
ولا له خلف في الناس كلهم

المتنبي ـ هل لك بان تقرأ هـذه القصيدة
ابن جني ـ انها امام ناظري وقـد اعددتها للتنقيح
المتنبي ـ يالمرارة الذكرى

ابن جني ـ :

حتامَ نحن نساري النجم في الظلم
وما سراه على خفٍّ ولا قـدم

ولا يحس باجفـان نحس بهـا
فقد الرقاد غريب بات لم يـنم

تسوّد الشمس منّا بيض اوجهنا
ولا تسوّد بيض العـذر واللمم

المتنبي ـ جُزْ الى غير الابيات التي تلي هذه

ابن جني ـ :

تخدي الركاب بنا بيضاً مشافرها
خضراً فراسنها في الرغل واليَنَم

مكعومة بسياط القوم نضربهـا
عن منبت العشب نبغي منبت الكرم

واين منبته من بعـد منبتـه
ابي شجاع قريع العـرب والعجم

والناس انزل في زمانك منزلاً
من ان تعايشهم وقدرك ارفع

المتنبي ـ الا رحم الله ابا شجاع

ابن جني ـ :

قبحاً لوجهك يازمان فانه
وجه له من كل لؤم برقع
أيموت مثل ابي شجاع فاتك
ويعيش حاسده الخصيُّ الاوكع

المتنبي ـ هل رأيت وجهاً للزمان اقبح من هذا الوجه !؟
ابن جني ـ قليل في الناس الاوفياء يا ابا الطيب .. وها انت تقول

ابقيتَ اكذب كاذب ابقيته
واخذت اصدق من يقول ويسمع
وتركت انتن ريحة مذمومة
واخذت اطيب ريحة تتضوع

المتنبي ـ يقوم في اعتقادي ان ابا شجاع قد عاف البقاء في عالم ضاقت عنه نفسه ، فاختار الانتقال راضياً

ابن جني ـ ان عظم ودا ك لفانك ، يا ابا الطيب، نطقك باقوال كا لكفر
المتنبي ـ لقد كان لي خير عزاء ونعم الصديق . ولولا ان افقده ، لما خرجت من مصر خروج الجبان الرعديد .

ابن جني ـ ولا احسبك تهفو الى مصر بعد ان قلت :

المتنبي ـ بودي ، يا ابا الفتح ، ابقاء ذكرى فاتك ، كما هي في قلبي ، ثابتة غير موزعة .

ابن جني ـ أقرأ لتدلّ على الخطأ :

الحزن يقلق والتجمل يردع
والدمع بينهما عصيٌّ طيع

يتنازعان دموع عين مسهّد
هذا يجيء بها وذلك يرجع

النوم بعد ابي شجاع نافر
والليل معيٌ والكواكب ظلّع

اني لأجبن من فراق احبتي
وتحس نفسي بالحمام فاشجع

ويزيدني غضب الاعادي قسوة
ويُلمّ بي عتبٌ الصديق فاجزع

المتنبي ـ ولكم جزعت لموت ابي شجاع

ابن جني ـ :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى منها وما يتوقع

ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال فتطمع

المجد اخسر والمكارم صفقة
من ان يعيش لها الكريم الاروع

ستة عشر عاما ، تبدّل فيها الحال غير الحال ، والناس غير الناس . وازاء الضربة القاصمة التي نزلت بالعزة العربية من جراء هذا الاستيلاء الغاشم ، نرى ان لا بُدّ من ايراد لمحة خاطفة عن منشأ دولة البويهيين .

لقد نشأت هذه الدوله في اوائل القرن الرابع الهجري عندما تعاون على التسلط في فارس والعراق ، اخوة ثلاثة من بني بويه ، وهم : علي وحسن واحمد . واصغرهم احمد هذا كان في التاسعة والاربعين من عمره شرس الطباع سريع الغضب ، اصلع اقطع .. وعندما استولى على بغداد سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة لقّبه الخليفة المستكفي بلقب معز الدولة غير انة ، وله ما له من اشنع الصفات ، لم يتردد عن خلع الخليفة وسمل عينيه وكأنه بذلك يكافئه على مامنحه واخويه من جاه وسلطان . ثم عمد بعد ذلك الى تولية الخليفة المطيع اخي المستكفي ؛ وبهذا العمل انتقل الملك جملة من ايدي الخلفاء الى ايدي البويهيين ، وكان هذا الامر ايذاناً بانتشار الظلم والطغيان والانتهاء الى الذمار .

ولقد دامت دولة البويهيين في العراق حتى سنة سبع واربعين واربعمائة حينما استولى عليها السلاجقة ...

ونرى ابا الطيب ، لأول مرة ، في الكوفة ، جالساً في منزله مع ابن جنيّ ينقّح وينسّق منظومه .

المشهد الاول

ابن جنيّ - [بين يديه سجل وادوات الكتابة] شئتَ ، يا ابا الطيب ، الا انقيد بالرويّ في ترتيب رثاء ابي شجاع

الفصل السادس

عيد بأية حال عـــدت يا عيد
بمـا مضى ام لأمر فيك تجـديد
اما الاحبـــة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيداً دونهـا بيـد

.. ذاك مطلع قصيدة ختم بها ابو الطيب اقامته في مصر .. وقد انشأهـا ليلة عيد الاضحي سنة خمسين وثلاثمائة ، ثم شد رحاله وانطلـق يضرب في المفاوز والبيد قاصداً الكوفة .

فمنذ وفاة فاتك لنحو من شهرين انقضيا ، كان ابو الطيب قد اخذبالاعداد للرحيل بتحفظ ورفق ، وما زال يعمل في الخفاء ويظهر لغلمانـه رغبته بطـــول المقـام ، حـــتى دفعـه القـدر في الطـــريق الى منية لم تعـاجله ولكنها لم تمهله طويلا .

وفي طريقه الى الكوفـة ، لم يسلك ابو الطيب طـريقاً معهوداً بين مصر والعراق . فلا هو سار في طريق دمشق الى الكوفة ولا في طريق الفرات . كماانه لم يسلك طريق الحاج المصري الي الحجاز ولا طـريق الحاج العراقي من المدينـة الى الكوفة . .

لقد مضى يمرّ بالحلل والاحياء النائية ، وبالمفاوز المجهولة والمناهل الاجنة، حتى بلغ الكوفة بعد كثير من الاهوال ، في سفر دام ثلاثة اشهر او يزيد .. وعندما حط رحاله في الكوفة ، كان قد انقضى على استيلاء البويهيين على السلطان

الفصل السادس

صبيح ـ لقد سقط عن مهره فدقّ عنقه

كافور ـ لايستوجب الخبر مثل هذا الذعر ..

صبيح ـ والله ...

كافور ـ لكن نمضي على اي حال لرؤية جثمانه . وليتبعني من يشاء .

وهكذا ينفض المجلس فتنفض معه عن ابي الطيب آماله ، ويصدق في حاله قوله المأثور :

بـذا قضت الايام مابين اهلهـا

مصائب قـوم عند قـوم فـوائد

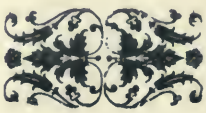

فان لثالث الحالين معنـــى
سوى معني انتباهك والمنـــام

[يحاول الجلوس]

كافور ـ قبل ان تجلس ، ارغب بسماع ماقلت في مقتل العقيلي
المتنبي ـ لقد تبت ايها الاستاذ
كافور ـ من لايتعبه التفكير في الاسفار ، لايتعبه قول الاشعار

المتنبي ـ [بشيء من التبرم]

عدوك مزموم بكل لسان
ولو كان من اعـدائك القمران

ولله سرٌ في عـــلاك وانمـا
كلام العدا ضرب من الهذيان

[يدخل صبيح بلهفة]

صبيح ـ خبر مثير يامولاي
كافور ـ ماكل هذا الذعر ياغلام !؟
صبيح ـ لقد مات فاتك

[ينتفض المتنبي ثم يتهالك ببطء على المقعـد]

كافور ـ أأبا شجاع تعني ؟
صبيح ـ اجل ياسيدنا
كافور ـ وكيف مات !

وهل ارمي هواهـا براقصات
محـلاّة المقـاود باللغام

فربما شفيت غليل صـــدري
بسير او قنـاة او حسام

كافور ـ يقول لك الطبيب

المتنبي ـ :

يقول لي الطبيب اكلتَ شيئاً
وداؤك في شرابك والطعـــام

وما في طبّيـــه اني جـــواد
اضرّ بجسمه طـول الجمـــام

تعـوّدَ ان يغبّر في السرايا
ويدخـل من قتـام في قتـام

فأُمسك لايُطانُ له فيرعـى
ولا هو في العليق ولا اللجـام

فان امرض فما مرض اصطباري
وان أحمم فما حُمّ اعتزامي

كافور ـ ولا ندري فيما تصرف اصطبارك واعتزامك

المتنبي ـ :

تمتـــع من سهـاد او رقاد
ولا تأمل كرى تحت الرجام

بذلت لهـا المطارف والحشايا
فعـافتهـــا وباتت في عظـامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بانـواع السقام
اذا فارقتـــني غسّلتني
كأنا عاكفان على حـرام
اراقب وقتهـا من غـير شـوق
مراقبة المشوق المستهـام
ويصدق وعـدها والصدق شر
اذا القاك في الكرب العظـام

كافور ـ وقانا الله شر المفسدين

المتنبي ـ :

أبنتَ الدهر عندي كل بنت
فكيف وصلتِ انت من الزحام
جَرَّحْتِ مُجرَّحاً لم يبق فيـه
مكان للسيوف ولا السهـام

المتنبي ـ يقول لي الطبيب ...
كافور ـ بل ، الا ليت شعر يدي

المتنبي ـ :

الا ياليت شعر يـــدي اتمي
تُصرَّف في عنان او زمام

المتنبي ـ :

عجبتُ لمن له قـدٌ وحـــدُ
وينبو نبـــوة القضم الكهام
ولم ارَ في عيـــوب الناس شيئاً
كنقص القادرين على الـــتمام

وزائرتي كأن الـ ...

كافور ـ لاتقفز بنا ولنا رغبة بسماع القصيدة كاملة

المتنبي ـ لا احسبني متذكراً ..

كافور ـ بلى ... حين زارتك ، اين كنت تقيم !؟

المتنبي ـ آه ، حقاً .

كافور ـ واراني احفظَ لقصيدتك منك

المتنبي ـ :

اقمتُ بارض مصر فلا ورائي
تخبُّ بي المطـــيُّ ولا امامي
وملّني الفراش وكان جنبي
يملُّ لقاءه في كل عـام
قليل عائدي سقم فـــؤادي
كثير حاسدي صعب مرامي

كافور ـ قليل وكثير !

المتنبي ـ :

وزائرتي كأن بهـــا حياءً
فليس تزور الا في الظـــلام

كافور ـ (بعبوس) هذا ماظنناه فيك

المتنبي :

وصرتُ اشك فيمن اصطفيه
لعلمي انه بعض الانام

وآنف من اخي لأبي وامي
اذا ما لم اجده من الكرام

كافور ـ هكذا !!

المتنبي ـ انها اقوال محموم ياسيدنا ، واتمنى لو اعفيت من ...

كافور ـ (بعبوس) بل تكمل ولا تهمل منها بيتاً واحداً

المتنبي ـ ان استطعت

كافور ـ لا احسبك الا مستطيعاً

المتنبي ـ :

ارى الاجداد تغلبها كثيراً
على الاولاد اخلاق اللئام

ولست بقانع من كل فضل
بان أُعزى الى جدّ همام

سيبويه ـ انه ابن عبدان السقاء

كافور ـ دع يا ابا بكر . (الى المتنبي) اكمل

المتنبي ـ كيف اكمل ياسيدنا ..

كافور ـ لقد طلبت

المتنبي ـ ان سيدنا لشاعر وصّاف

كافور ـ اي ان لي رغبة بسماع القصيدة بجرسك النقي

المتنبي ـ حباً و كرامة . لكن والله ما قدّرت ان تبلغ مسامع الاستاذ

كافور ـ واني لعلمي بقصدك ذلك اطلب اليك تلاوتها

المتنبي ـ لكن ياسيدنا ...

كافور ـ اشرع بالتلاوة

المتنبي ـ :

ملو مكما يجلّ عن المـــلام
ووقع فعاله فوق الكلام
ذراني والفـــلاة بلا دليـــل
ووجهـــي والهجير بلا لثام
فاني استريح بـذي وهـــذا
واتعب بالاناخـــة والمقام

كافور ـ [مبتسما] انك دائب الحركة ، دائب التفكير !

المتنبي ـ :

ولا امسي لأهل البخـل ضيفاً
وليس قرى سوى مُخّ النعـام

كافور ـ (مبتسما بخبث) ليتك سمّيت البخلاء اولئك

المتنبي :

ولمـــا صار ودّ الناس خِبّاً
جـزيت على ابتسام بابتسـام

كافور ـ آمالك محققة باذن الله

المتنبي ـ قدَّمتُ لسيدنا البرهان على وفائي له

كافور ـ نعم . وانه لبرهان على الوفاء عظيم

المتنبي ـ ادام الله مجد مولانا واباد اعداءه

كافور ـ يبيدهم الله واحداً اثر واحد

المتنبي ـ هل ادلُّ على عظمة سيديا ببيت واحد قلته فيه

كافور ـ أبيتاً واحداً قلت !؟

المتنبي ـ انه من القصيدة في مقتل الخارجي شبيب

كافور ـ تسمعنا القصيدة برمتها يا ابا الطيب . وتقول البيت قبل ذلك

المتنبي ـ :

لو الفلك الدوَّار ابغضتَ سعيه

لعوَّقه شيء عن الدوران

كافور ـ انه والله لمن ارفع الشعر هذا البيت

المتنبي ـ اقول القصيدة كاملة !؟

كافور ـ قبل ذلك ، يا ابا الطيب ، تسمعنا قصيدتك في الحُمَّى

المتنبي ـ أوَصلتْ مسامع سيدنا القصيدة هذه !!

كافور ـ كيف لا يكون ذلك ، والمصريون عن بكرة ابيهم يلهجون بها

المتنبي ـ ما كنتُ والله راغباً بذيوعها

كافور ـ ولئن استطاب الانسان العطِش ماء النهر في مصبه ، فلا غرو ان اغرق نفسه استطابة في منبعه

جزاء كل قريب منكم ملل
وحظ كل محب منكم ضغن
اني اصاحب حلمي وهو بي كرم
ولا اصاحب حلمي وهو بي جبن
ولا اقيم على مال اذلّ به
ولا ألذّ بما عرضي به درن

كافور ـ لسوف نعطيك يا ابا الطيب عطاءً غير ممنون

المتنبي ـ :

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم
ثم استمرّ مريري وارعوى الوسن
وان بُليتُ بود مثل ودكم
فانني بفراق مثله قمن

كافور ـ ما نحسبنا الا مخلصين لك الود

المتنبي ـ نعم . ايها الاستاذ . فها انا ذا اقول :

ابلى الاجلّة مهري عند غيركم
وبُدّل العذرُ بالفسطاط والرسن
عند الهمام ابي المسك الذي غرقت
في جوده مُضَرُ الحمراء واليمن
وان تأخر عني بعض موعده
فما تأخر آمالي ولا تهن

[يجلس]

فما يدوم سرور ما سررت بـه
ولا يردّ عليك الفائت الحزن

كشاجم ـ جيد

المتنبي ـ :

مما اضرّ باهل العشق انهـــم
هووا وماعرفوا الدنياوما فطنوا

كشاجم ـ الله ، الله

كافور ـ على الانسان ان يكون حذراً

المتنبي ـ :

يامن نعيتُ على بعـــد بمجلسه
كل بما زعـم الناعون مرتهن

قد كان شاهد دفني قبل قولهـم
جماعة ثم ماتوا قبل من دفنـوا

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

كافور ـ رائع

المتنبي ـ والبرهان على اخلاصي لمولانا ، قولي اخاطب من نُعيت لديه

رأيتكم لايصون العرض جاركم
ولا يـــدرّ على مرعاكم اللبن

كافور ـ ثم رغبنا بالاستماع الى مانظمتَ في مقتل الخارجي ، آملين ان تكون قد نهجت في تسجيل انتصارنا ، نهجاً جريتَ عليه لدى سيف الدولة .

المتنبي ـ ان اخلاصي لسيدنا كافور ، لأقوى من معنى احترام كنت ابديه لسيف الدولة .

كافور ـ أواثق انت مما تقول !؟

المتنبي ـ ابرهن في قصيدة نظمتها إثر مابلغني من خبر نعيي في مجلس سيف الدولة

كافور ـ هل البرهان لديك !؟

المتنبي ـ انه في يدي

كافور ـ انشره اذن ... وحين تنتهي منه ، نستمع الى ماقلتَ في الخارجي الدنس

المتنبي ـ [يقف ويتلو]

بمَ التعلل لا اهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن

كافور ـ عجباً لهذا المطلع !

المتنبي ـ :

اريد من زمني ذا ان يبلّغـــني
ماليس يبلغه من نفسه الزمن

لاتلق دهرك الا غير مكترث
مادام يصحب فيه روحك البدن

مؤنس ـ :

ومراد النفوس اصغر من ان
نتعادى فيـــه وان نتفـانى
غـير ان الفـتى يلاقي المنـايا
كالحـات ولا يلاقي الهـــوانا
ولو ان الحيـاة تبقـي لحـيّ
لعددنا اضلّنا الشجعـانا
واذا لم يكن من المـوت بـد
فمن العجز ان تكون جبـانا

كافور ـ انه لعمري شاعر لاحـد لشاعريته
سيبويه ـ ولا حد لأطماعة ، يامـولاي

[يدخل المتنبي]

المشهد الرابع

المتنبي ـ اعود بطلب من سيدنا
كافور ـ اجلس ابا الطيب
المتنبي ـ [يمضي ويجلس]
كافور ـ رغبنا برؤيتك لنستوثق من حسن حالك
المتنبي ـ مادمت في رعاية الاستاذ لاينالني ضيم .

كافور ـ ... احب الاستماع الى هذه القصيدة

كشاجم ـ انها قصيدة جيدة

كافور ـ اليست هي القصيدة التي قالها في مصالحتي مع الامير « انوجور »؟

جعفر ـ اجل يا مولانا

مؤنس ـ اقولها ان اراد مولاي

كافور ـ قل

مؤنس ـ وان غاب عني بعض ابياتها

كافور ـ قل ماتتذكر منها

مؤنس ـ :

صحب الناس قبلنـــا ذا الزمانا
وعنـاهم من شأنه مـا عنـانا

وتـولوا بغصّة كلهم
منه وان سرَّ بعضهم احيـانا

ربمـا تحسن الصنيع ليـاليـ
ـه ولكن تكدّر الاحسانا

وكأنما لم يرضى فينـا بريب الـ
ـدهر حـــتى اعانـه من اعانا

كلمـا انبت الزمـان قنـاة
ركّب المرء في القنـاة سنـانا

كشاجم ـ والله ياسيدنا ، انه شاعر لايجاري

كافور ـ اكمل يا مؤنس

وبينا كان المتنبي في طريقه الى قصر كافور ، صحبة صبيح ، كان كافور متصدراً مجلسه بين شلة من الاعلام ، وبعض وجوه الفسطاط .

المشهد الثالث

جعفر ـ ووالله ياسيدنا ليس الرجل ممن يركن اليهم .. لقد اعطاه سيف الدولة حتى اتخمه . غير ان نفسه الخبيثة دفعته مع ذلك الى التنكر لولي نعمتـــه وباعث شهرتـه .

سيبويه ـ وهذا القدم ياسيدنا ، كان يفترش الحاجة ويتدثر بالمهانة ، حين ادعي النبوة وسار بها

جعفر ـ فما هو فاعل اذن ، ان تفضل سيدنا ووهبه ولاية يلحف كل الالحاف لنيلها

كافور ـ لن يراني احقق احلامه
جعفر ـ لدينا عن فطنة سيدنا وحزمه ، براهين لاتحصي
كافور ـ ان استجب طلبته ينتزع سلطاني
سيبويه ـ هذا من الادله على فطنة سيدنا
مؤنس ـ والمتنبي ، يامولانا ، قد يغامر بحياته توصلا الى بغية له
جعفر ـ ان منظم مايقرض هذا الفدم يطفح بالطموح الاهوج

مؤنس ـ :

واذا لم يكن من الموت بـد
فمن العجز ان تكون جبانا

رشدين ـ أمضي لأفتح . ولكي لاتثير الظنون حولنا ، ادعوك الى النزول عند رغباته [يخرج]

[وتطل عليه عائشة مشجعة ثم لايلبث ان يدخل رشدين مع صبيح]

رشدين ـ [وهو يدخل] من اجلك طرق الباب

صبيح ـ لقد ارسلني سيدنا في طلبك يا ابا الطيب

المتنبي ـ تعلم اني كنت في ..

صبيح ـ وسأمضي برفقتك ، او تمضي برفقتي

المتنبي ـ نمضي ياصبيح .. استودعك الله يا ابا محمد

رشدين ـ رافقتكما السلامة

[يخرج صبيح والمتنبي]

• • •

ويمضي ابو الطيب الى كافور عامر الصدر بالاماني الجسام وفي نيته ان يحاسن كافوراً قدر ماتسمح به كبرياؤه المتسلطة عليه .

وفي طريقه الى كافور ، يمر ببيته ليحمل معه مما نظمه ، زيادة في خديعة كافور ، وتحسباً للاحداث . ويعني اكثر ما يعنى بحمل القصيدة التي طلب اليه ان ينظمها في مصرع شبيب العقيلي ، وقصيدة اخرى نظمها حين بلغه امر نعيه في مجلس سيف الدولة .

ولم يكن في نية ابي الطيب ايصال هذه الاخيرة الى مسامع كافور الا انه وقد اضمر مصانعته ريثما يتحقق ما رسمه ابو شجاع ، فقد اضاف الى آخر القصيدة ابياتاً جعلها في مدح كافور .

الفسطاط لأراقب من توصلت الي اغرائهم من قواد كافور هؤلاء . ولا يخفاك ان جلهم ناقم عليه متبرّم بحكمه

[يقرع الباب]

فاتك ـ [مجفلا] ياللداهية !

رشدين ـ [داخلا بلهفة] اسرع واختف يا ابا شجاع

فاتك ـ لكن مافي الامر يا ابا محمد

رشدين ـ اتوسل اليك ان تفعل سريعاً

فاتك ـ افعل مرغماً [يخرج]

المتنبي ـ لكن ...

رشدين ـ أختصر واقول اني رأيت الغلام صبيحاً يمضي في طلبك مرسلا من قبل كافور

المتنبي ـ في طلبي ! ولم اكد اخرج من عنده !؟

رشدين ـ ولقد دفعني الحذر وراء صبيح استطلع امره ، وما زلت حتى سمعت من يرشده الى وجودك في بيتي

المتنبي ـ ما اغرب هذا !!

رشدين ـ وتعلم ان امام صبيح تحطّم الابواب إن لم يفتحها اصحابها . ولذلك اسرعت اليكما حين رأيت صبيحاً يتجه نحو هذا البيت .

[يقرع الباب]

رشدين ـ انه صبيح . والضرورة تقضي الا انكر وجودك

[يقرع الباب]

فاتك ـ دعنا بالله من الاطالة .. ولتصـــغ الي يا ابا الطيب .. اني ابغض الاسود كما تبغضه انت .. واني عازم على امر مكتـــوب له النجاح ، اذا ما حيط بالحكمة والكتمان

المتنبي ـ ياللامر الخطير اذن

فاتك ـ لقد عملت على جمع قبائل العرب الضاربة في الفيـــوم . ولسوف اجعل منها ، عندما تدعو الحاجة ، جيشاً لجباً ازحف به على الفسطاط فاقبض على كافور واريح مصر من ظلمه وشره

المتنبي ـ انه لعمري اقدام مابعده اقدام

فاتك ـ ثم اقبض واياك على السلطان

المتنبي ـ ابا شجاع !!

فاتك ـ لم اعهدك تحجم عن جلائل الاعمال

المتنبي ـ حقاً ذلك ليس من طبعي يا ابا شجاع . لـكن ، تصوّر مقدار ما نزل بي من الدهشة وانا اتمثل نفسي ملكاً على مصر

فاتك ـ ملك

تدبّر الامر من مصر الى عدن

الى العراق فارض الشام فالنوب

المتنبي ـ هذا لعمري اشبه بالاحلام يافاتك

فاتك ـ واني لأراه واقعاً حياً

المتنبي ـ لـكنّ لـكافور في الفسطاط جيشاً كثير المدد . فيه قواد شديدو البأس ، متمرسون على القتال !

فاتك ـ كل شيء مدّبر خير تدبير يا ابا الطيب . واني عازم على الاقامـة في

المشهد الثاني

فاتك ـ [يدخل ليجلس] لاينبغي ان نطيـــل يا ابا الطيب . فللخصيّ عيون علي في كل مكان .

المتنبي ـ تلاحقك العيون مثلما تلاحقني يا ابا شجاع

فاتك ـ علينا اذن ان نحزم امرنا

المتنبي ـ هات ، ابا شجاع

فاتك ـ لن نعود الى التحدث في امر سبق لنا الخـوض فيه . فانك مثلي معترف بظلم كافور ، مقرٌّ اغتصابه الملك من علي ابن سيده

المتنبي ـ ما اشد بغضي للاسود الزنيم . ولكم يغيظني ان يحكم مصر هـذا العبد الحبشي ، والدنيا تذخر بسادات العرب الامجاد

فاتك ـ ان غير هذا الاسود اولى بالملك واحفظ له . ولكن خبث هـذا القميء عمل على اماتة نفس الملك الحقيقي ، عليّ بن سيدي الاخشيد ، حتى اصبح اخنث من ثيّب ، غير اهل لأن يملك او يسوس

المتنبي ـ اي والله

فاتك ـ تعلم يا ابا الطيب اني عبد روميٌّ نشأت في نعمة الاخشيد . وليس لي بالملك مطمع

المتنبي ـ لا داعي لقول هذا يا ابا شجاع

يا عائشة ملكة على مصر وما عداها .

عائشة ـ حقق الله لك آمالك فيما تريد . وحقق لي آمالي فيك .

المتنبي ـ وحقق لفاتك مايسعى اليه .

عائشة ـ الحق يا ابا الطيب ! انك متواعد والقائد فاتكاً على الالتقاء في منزلنا هذا ، فهل لي ان الم بالداعي لهذا الاجتماع

المتنبي ـ اني مثلك ياعائشة لا اعلم من الامر شيئاً . لكن تحدثني النفس باني مقبل على عمل خطير

عائشة ـ ان فاتكاً لعمري قائد ذكي ورجل شهم

المتنبي ـ انه اعظم الموالي نبلا وافتتاناً بعظمة العرب وجلال ماضيهم

عائشة ـ لكم يحبه والدي ويجلّه . ولولا ذلك لما نزل عند رغبته بان يجتمع بك في بيتنا ، ولما رضي بان يكون عيناً له في قصور كافور ثم انه ...

[يُقرع الباب]

المتنبي ـ لاريب في انه ابو شجاع .. اختفي يا عائشة بينا افتح الباب .

عائشة ـ [بعد خروجه]

واذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الاجسام

لله ما اكبر نفسك يا ابا الطيب واصدق ودادك [تخرج]

وما كنتُ ممن يدخل الحب قلبه
ولكنَّ من يبصر جفونك يعشق

عائشة ـ لله اقوالك يا ابا الطيب ، ولله عفَّتُك وصفاء وجدانك

المتنبي ـ اني احبك ياعائشة ، حباً قدسياً ، صافياً كصفاء الملائكة .وأودك وداً طاهراً بريئاً كبراءة الحمل .. ولكنَّ اولئك الطغام لاينفكون عن تنغيص عيشي وتكدير صفائه .

عائشة ـ اني بك مفتونة يا ابا الطيب . وانت عالم باني قد فتحت لك قلبي تسكن فيه الى هدوء ابدي .

المتنبي ـ يزيد من شغفي بك ، هذا الوفاء ياعائشة

عائشة ـ لكم اتمنى ان تنسى عالماً رميت بنفسك في لججه ؛ وما نفسك يا ابا الطيب من عالم يضج بالحسد والحماقة واللؤم .

المتنبي ـ اني احبك بكل جوارحي يا عائشة . ولكني في اسر آمال ضخام تقعد بي عن الفرار من عالم وصفتِه خير وصف

عائشة ـ الا ينبغي لك ان تستقر !؟

المتنبي ـ لست ادري يا عائشة .. اني كلما نشدت الاستقرار ، غلبتني النفس على الصخب والاضطراب

عائشة ـ ذلك مايقسرني على قبول اعذارك .. وللحق يا ابا الطيب ، ان من كان لسانه شاعراً ، وقلبه ملكاً ، وعقله حكيما ، ضاقت به الدنيا على رحبها .

المتنبي ـ لو حقق لي هذا الاسود اللعين بعضاً من آمالي تلك ، لتوجتك

حساده ومن الصبر على مماطلة كافور له .

ولعل امراً آخر كان قد استدعاه الى الصمود حتى ارجأ رحيلا كان قد اعتزمه ولمّا تمضِ على لقائه كافوراً الا شهور معدودات فلقد كان وطد مع ابي شجاع فاتك الرومي ، صداقة قامت دعائمها على كره لكافور مشترك بين الاثنين ، وعلى امل بانتزاع الحكم منه والاستيلاء على السلطان .

وفاتك هذا كان رومياً ، أُسر وتربّى في فلسطين ثم اغتصبه كافور من سيده في الرملة بلا ثمن وجعله في عدة المماليك بعد ان اعتقه . وحين لقيه المتنبي ، كان يقيم في الفيوم إقطاعه ، وذاك لنفوره من كافور وانفته من الركوب معه ...

اما ابو الطيب ، فلكي يستعيد لنفسه بعض الهدوء اثر ما لحق به من إثارة في مجلس كافور ، فقد قصد منزل رشدين ، الموئل الوحيد لروحه المعذب الثائر .

وها نحن نجده مع عائشة ، عزائه الوحيد في مصر كلها .

• • •

المشهد الاول

المتنبي ـ :

لعينيك مايلقى الفؤاد وما لقي
وللحب ما لم يبق مني وما بقي

ينظم في مقتل شبيب

[يدخل صبيح]

كافور ـ تمضي وتأتي بالمتنبي . واذا جاز ان تعود ونحن على الطعام فتدخل به علينا

صبيح ـ السمع والطاعة [يخرج]
كافور ـ تأكلون على مائدتي هذا اليوم
جعفر ـ شأننا اكثر الايام
سيبويه ـ ادام الله عز مولانا
كافور ـ هيا بنا

[ويمضي بهم لتناول الطعام]

• • •

وهكذا انّي ذهب ابو الطيب تلقته الاسواء وطلبته الارزاء .. ولئن كان اكثر اقواله ينطبق على مافي نفسه من مختلف النوازع ، فان ألصق مايكون بنفس ابي الطيب وجسده ، معني هذا البيت :

واذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الاجسام

بيد ان القدر تعطف مرة عليه ، وساق شيئاً من العزاء اليه ، وذاك حين وضع في طريقه عائشة بنت رشدين ، بهجةمصر وزينتها ، والاديبة الكاتبةالشاعرة فاماطت عنه بعض اليأس وخففت من تحمّسه للرحيل عن مصر انفة من مشاكلة

مؤنس ـ وهذا البيت ياسيدنا

اذا تغلغل فكر المرء في طرف
من مجده غرقت فيه خواطره

كافور ـ انه في منتهي الابداع
مؤنس ـ ولولا تهيبي سموّ مولانا ، لقلت في المديح بيتاً له فذاً
كافور ـ تمنيت ، قبل ان اسمع ، لو ان البيت قيل في مدحنا
مؤنس ـ لن اقول ان رغب سيدنا عنه
كافور ـ لاتقل . واني والله لأتمنى لو لم يتكلم ابو الطيب في مـــديح احد البتة .

جعفر ـ يعطى سيدنا هذا الدعي اكثر مما يستحق
كافور ـ واني لمتمسك به حتى استنفد من قريحيه كل ما فيها
جعفر ـ واذا ..

كافور ـ ثم لقد مرت الشهور على اعتكافه في الدار التي افردناها له فـلا احسبه قد اكتفى بنظم ماسمعنا منه قبل حين

سيبويه ـ معروف عن هذا الرجل يامولانا انه لايبيع شعره رخيصاً
كافور ـ هذا صحيح . وانه لذلك في نظري كالتاجر النبيه . يستودع مخازنه بضائعه ، حتى اذا كانت ساعة الكسب ، اطلق هـــذه البضائع في السوق ورفع اثمانها

سيبويه ـ لسيدنا ابداً نظر صائب
كافور ـ [يصفّق ليدخل صبيح] ثم قد فطنت الى اني طلبت اليه ان

مؤنس ـ :

اعارني سقم عينيه وحمّلـــني
من الهوى ثقل ما تحوي مآزره
يامن تحكّم في نفسي فعذّبني
ومن فؤادي على قتلي يضافره

كافور ـ جميل هذا القول

مؤنس ـ :

بعودة الدولة الغـراء ثانيـــة
سلوت عنك ونام الليـل ساهره
غاب الأمير فغاب الخـير عن بلد
كادت لفقد اسمـــه تبكي منابره
اذا خلت منك حمص لا خلت ابداً
فـلا سقاها من الوسميّ باكره

كافور ـ جميل

مؤنس ـ :

دخلتَهـا وشعاع الشمس متّقد
ونور وجهك بين الخلـق باهره
في فيلق من حديد لو قذفتَ به
صرف الزمان لما دارت دوائره

كافور ـ بديع . بديع هذا

كشاجم ـ سمعت المتنبي يقول افضل منها في اناس لاتبلغ مرتبتهم قدميّ سيدنا

الدارقطني ـ لاجاهاً ولا هيبة وكرما

كافور ـ هذا مايقول العلاّمة الدارقطني

الدارقطني ـ واقول صادقاً ، يامولاي

كافور ـ وما رأي الشاعر صالح بن مؤنس

مؤنس ـ اني ياسيدي احفظ من قصيدة قالها في جعفر بن كيغلغ

جعفر ـ بعيد هذا الزمن !

كافور ـ ان تكن قد رسخت في اذهانكم ، فلا بد انها قصيدة عامرة

مؤنس ـ أسمع سيدنا منها ، ان أذِن

كافور ـ فلتفعل يا ابن مؤنس

مؤنس ـ اني لا احفظها باكملها

كافور ـ هات ما تتذكره

مؤنس ـ :

حاشى الرقيب فخانتـه ضمائره
وغيَّضَ الدمـع فانهلت بوادره

وكاتم الحب يـوم البين منهتك
وصاحب الدمع لاتخفي سرائره

كافور ـ انه لنسيب جيد

كشاجم ـ جيد ، يا مولانا

كافور ـ اكمل

كافور ـ قولك هذا من انقى المديح واجوده

المتنبي ـ :

واي قبيل يستحقك قـــدره
معدّ بن عدنان فداك ويعرب

كشاجم ـ الروعة متمثلة في هذا البيت

سيبويه ـ الروعة ؟!

المتنبي ـ :

وما طربي لمـا رأيتك بدعـــة
لقد كنتُ ارجو انارك فاطرب

كافور ـ هذا ؟!

ابن مؤنس ـ بلى ياسيدنا . هذا البيت معرَّض لتآويل شتى

سيبويه ـ ولعل فيه مأخذ قد ..

المتنبي ـ أُحسُّ بالدوار يأخذني ، ايها الامير

كافور ـ لايسعنا الا الاذن بانصرافك

المتنبي ـ الاحترام للامير الجليل [يخرج]

سيبويه ـ لقد أُبكم الرجل وجـلائل الله

جعفر ـ ولـكنه لم يبكم عن ترديد لفظ امير

كافور ـ هل ترون ذلك غاضاً من قيمتنا عنده

جعفر ـ مَن على الارض يقوى على هيبة سيدنا

كافور ـ وما رأيكم في قصيدته ؟!

واظلم اهل الظلم من بات حاسداً
لمن بات في نعمائـــه يتقلب

كافور ـ بلى والله

المتنبي ـ :

وانت الذي ربَّيت ذا الملك مرضعاً
وليس له ام ســـواك ولا اب

كافور ـ ... اراك قـد سكت
المتنبي ـ احسبني قد ازلت شكوك الامير في اني لم امـدحه
كافور ـ وهل ما قلتَ هـو القصيدة كلها
المتنبي ـ ذلك ماستطعت تذكره منها
كافور ـ تبدو ، لعمري ، قصيدة عامرة
سيبويه ـ لولا ...
كافور ـ الا تذكر منها ايضاً !؟
المتنبي ـ لعلي متذكر ابياتاً اخـرى
كافور ـ اطلب الا تهمل منها بيتاً واحداً

المتنبي ـ :

سلمتَ سيوفاً علَّمت كل خاطب
على كل عود كيف يدعو ويخطب

ويغنيك عمـا ينسب الناس انـه
اليك تناهى المكـرمات وتنسب

كافور ـ ولمَ كل هذه الشكايات

المتنبي ـ لعل الامير مدرك حالي .. غير اني في القصيدة قلت :

واخلاق كافور اذا شئتُ مدحه
وان لم اشأ تملي علي واكتب

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله
فاني اغنّي منذ حين وتشرب

سيبويه ـ أليس هذا تنديداً

كافور ـ اقصر ابا بكر

المتنبي :

وهبت على مقدار كفّي زماننا
ونفسي على مقدار كفّيك تطلب

كشاجم ـ انه بيت رائع يأسيدنا

سيبويه ـ رائع ؟

كافور ـ اكمل

المتنبي ـ :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولايـة
فجودك يكسوني وشغلك يسلب

كافور ـ هذا يا ابا الطيب !!؟

المتنبي ـ :

يريد بك الحساد ما الله دافـــع
وسمر العوالي والحديد المذرّب

كافور ـ هل الامر كما قيل ، ابا الطيب !؟

المتنبي ـ اجل ايها الامير . اما القول بالتهديد فلا

كافور ـ وهل كان البيت من قصيدة اعددتها

المتنبي ـ اجل ولكني صرفت النظر عنها

كافور ـ واذا رغبنا بان نسمعها !؟

المتنبي ـ توسلت للامير لاعفائي من ذلك

كافور ـ إمتناعك هذا يدعو الى الشك بانك لم تمدّحنا فيها

المتنبي ـ ايها الامير !!

كافور ـ تسمعنا اياها اذن

المتنبي ـ مرغماً ، ايها الامير

كافور ـ قل

المتنبي ـ [يقف ويقول]

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب
أما تغلط الايام فيّ بان ارى
بغيضاً تنائي او حبيباً تقرّب

شيويه ـ سيف الدولة ابداً يا مولانا

كافور ـ إمض ابا الطيب

المتنبي :

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكب
فكل بعيد الهم فيها معذب

جعفر ـ لقد تمنى ابو الطيب لو صيّر ثلثي حياته انتظاراً لوفاء سيدنا بوعد تفضل وقطعه له

كافور ـ واني لبارّ بوعدي وواهب لأبي الطيب ولاية ترضيه

المتنبي ـ ووعد سيدنا موثوق التحقيق

جعفر ـ ليس في قول ابي الطيب كل الصدق ياسيديا

المتنبي ـ ايها الامير !!

سيبويه ـ ويمضي في ترديد هذه الكلمة وكأنه لم يُنعَ في مجلس اميره سيف الدولة

كافور ـ لكن مايدعو وزيرنا ابن الفرات الى الشك في قول ابي الطيب !؟

جعفر ـ لقد نقل الي احد القائمين على خدمته ، قولاً سمع ابا الطيب يردده وهو يكتب

سيبويه ـ ولا ريب في ان ذاك القول بيت من الشعر

جعفر ـ لقد اصبت يا ابا بكر

كافور ـ وما تراك قد قلتَ يا ابا الطيب !؟

المتنبي ـ والله ياسيدنا ...

كافور ـ وما عساه قد قال ياجعفر

جعفر ـ لقد سُمع ابو الطيب يقول وكأنه يهدد :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولايـة
فجودك يكسوني وشغلك يسلب

ومن مثل كافور اذا الخيل احجمت
وكان قليلا من يقول لها اقدمي

ابا المسك ارجو منك نصراً على العدا
وآمل عزّاً يخضب البيض بالدم

سيبويه ـ ياسيدنا .
كافور ـ اكمل ابا الطيب

المتنبي ـ :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها
بقـــلب المشوق المستهام المتيّم

فاحسن وجه في الورى وجه محسن
وايمن كفّ فيهم كف منعـم

وقد وصل المهر الذي فوق فخذه
من اسمك ما فوق كل عنق ومعصم

ولو كنت ادري كم حياتي قسمتها
وصيّرت ثلثيهـا انتظارك فاعـلم

كافور ـ لا فض فوك ، ابا الطيب . ولتتفضل بالجـلوس
المتنبي ـ [يجلس]
كافور ـ ثم انك والله بالغ ماتريد
جعفر ـ هل يأذن سيدنا بان اتكلم
كافور ـ لك ذلك ياجعفر

كافور ـ كنا نعلم انك لاتضيع اوقات فراغك عبثاً

المتنبي ـ ماشعرت بيوم فـراغ في حياتي قط

كافور ـ وهل تسمعنا ما قلت

المتنبي ـ [يقف ويقرأ]

فراق ومن فارقت غـير مذمم
وأمٌّ ومن يممتُ خـــير ميمَّم

وما منزل اللذات عندي بمنزل
اذا لم ابجَّل عندة واكرّم

رحلتُ فكم باك باجفان شادن
عـلي وكم باكٍ باجفان ضيغم

فلو كان مابي من حبيب مقنَّع
عذرت ولكن من حبيب معمَّم

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدَّق مـا يعتاده من توهم

اصادق نفس المرءمن قبلجسمه
واعـــرفها في فعله والتكلم

واحلم عن خلّي واعلم انـــه
متى أجزه حلماً على الجهـل يندم

وما كلُّ هلْو للجميل بفـاعل
وما كل فعَّـال له بمتمـم

فدى لأبي المسك الكرام فانهـا
سوابق خيـل يهتدين بأدهم

كافور ـ اكمل ابا الطيب

المتنبي ـ يارجاء العيون ..

يارجاء العيون في كل ارض
لم يكن غير ان اراك رجائي

ولقد افنت المفاوز خيلي
قبل ان نلتقي وزادي ومائي

فارم بي ما اردتَ مني فاني
اسد القلب آدمي الرواء

وفؤادي من الملوك وان كا
ن لساني يرى من الشعراء

سبيويه ـ ياسيدنا ...

كافور ـ تفضل بالجلوس .. والله يا ابا الطيب اني محقق لك رغائبك وشيكاً

المتنبي ـ وشيكاً ياسيدنا

كافور ـ ولقد قلتَ الصواب حين عللّت مرّة انشغالنا عن تحقيق ما لك رغبة فيه

المتنبي ـ اقول متهيّباً ان الشهور كانت طويلة عليّ

كافور ـ لقد اقسمت على إنالتك بغيتك . ولعل اهداءنا الفرس الادهم اليك، دليل على رغبتنا بالتعجيل بالوفاء

المتنبي ـ هل يسمح سيدنا بان اسمعه ماقلتُ لشكره على هديته

وانا منكَ لايهنيء عضـــو
بالمـرات سـائر الاعضـــاء
مستقلٌ لك الديار ولو كا
ن نجوماً أجرُهُ هذا البنـاء
انت اعـــلي محلا ان تهنّي
بمكان في الارض او في السماء
ولك الناس والبـــلاد وما يسـ
ـرح بين الغبراء والخضراء
انما يفخر الكريم ابو المسـ
ـك بما يبتنى من العلياء
لا بما يبتني الحواضر في الرد
ف وما يطى قـــلوب النساء
ان في ثوبك الذي المجد فيـــه
لضياء يزري بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض النـ
ـفس خير من ابيضاض القباء
كرم في شجاعـــة وذكاء
في بهـاء وقـــدرة في وفاء

كافور ـ ما ابرع الشعراء في سياسة العواطف

المتنبي ـ :

مَن لبيض الملوك ان تبدّل اللو
ن بلون الاستاذ والسحناء

جعفر ـ ياسيدنا ...

وقـــد عبث الشراب بوجنتيه
فصيَّر خده كسنا اللهيب
فقلت له مـــتى استعملتَ هذا
لقـــد اقبلتَ في زيٍّ عجيب
فقال الشمس اهـدت لي قميصاً
ماليـــح اللون من نسج المغيب
فثـوبي والمـدام ولون خدي
قـــريب في قـريب في قـريب

كافور ـ هل يناقش ابو الطيب قول ابي بكر
المتنبي ـ اني لأحس دواراً قد فاجأني ، ايها الامير
كافور ـ عجباً !
المتنبي ـ واني لألتمس من سيـدنا الاذن بالانصراف
كافور ـ اجادٌ ابو الطيب في اعلان مرضه !؟
المتنبي ـ [وهو يقف] جادٌ ايها الامير
كافور ـ لكن ، الا تسمعنا ماقلتَ في الدار الجديدة
المتنبي ـ اني ...
كافور ـ نرغب بسماع ماقلتَ فيها يا ابا الطيب
المتنبي ـ لا مفر من اطاعة الامير !؟
كافور ـ نعم ، لامفـر

المتنبي ـ [يخرج ورقاً ويقرأ]
انمـا التهنئـــات للاكفاء
ولمن يُدَنّى من البعـــداء

كافور ـ تستبدل الصداقة بالمداجاة !؟

سيبويه ـ نعم

كافور ـ لعلك على صواب

سيبويه ـ وهذا رجل منّا قال :

اتاني في قميـــص اللاز يسعى
عـــدوٌ لي يلقّب بالحبيب

المتنبي ـ أمعَ هذا غيره

سيبويه ـ اجل :

وقـــد عبث الشراب بوجنتيه
فصيَّر خـده كسنا اللهيب

كافور ـ هذا من قطعة لأبي بكر

سيبويه ـ الشكر لسيدنا لتذكره مما نظمت

جعفر ـ وهل يسمح سيدنا بان يزيدنا ابو بكر

كافور ـ مارأي ابي الطيب !؟

المتنبي ـ الامر كل الامر لسيدنا

كافور ـ .. زدنا ، ابا بكر

سيبويه ـ :

اتاني في قميـــص اللاز يسعى
عـــدو لي يلقب بالحـــبيب

كافور ـ للحق انه قول افضل . لكن ابا الطيب ارتجل ما قال هنا ارتجالا ثم اريد ان تتصافيا فتتجادلا فيما هو امتع لنا

المتنبي ـ لا احمل حقداً لأبي بكر ايها الاستاذ

سيبويه ـ اناقشه في الشعر اذا سمح مولانا

كافور ـ هذا كل ما اريد

سيبويه ـ وابدأ بالبيت الذى حسبتُ انه قد غمز فيه من قناتي

المتنبي ـ ماقصدتُ كل القصد

كافور ـ ومن نكد الدنيا !؟

سيبويه ـ اجل ، سيدنا

كافور ـ فلتفعل

سيبويه ـ :

ومن نكدالدنيا على الحر ان يرى
عدواً له ما من صداقته بدُّ

كافور ـ واين موطن النقد في هذا البيت

سيبويه ـ في وضعه كلمة صداقة موضعاً خاطئاً

المتنبي ـ وما هو الصواب عندك !؟

سيبويه ـ واضح ان الصداقة مشتقة من الصدق في المودة !؟

كافور ـ بلى

سيبويه ـ ولا يسمّي الصديق صديقاً وهو كاذب في مودته

كافور ـ رما كنتَ تقول !؟

سيبوية ـ كنت اقول : مامن مداجاته بد

يقـــل له القيام على الرؤوس
وبذل المكرمات من النفـوس

سيبويه ـ [يضحك]
كافور ـ [كالزجر] ابا بكر !!
سيبويه ـ اعتذر لسيدنا بالغ الاعتذار
كافور ـ وما تراه قد اضحكك
سيبويه ـ العفو سيدنا . ضحكتُ لصورة بـدت في قـوله : القيـام على الرؤوس

كافور ـ واين في ذلك مكان الضحك
سيبويه ـ عفوك سيدنا . لقد ضحكتُ حين تصورت ابا الطيب قائماً على رأسه ، مطلقاً رجليه في الهواء

كافور ـ [يبتسم]
سيبويه ـ وانه لعمري ابتكار بارع لم يسبقه اليه احد
المتنبي ـ لكن ايها الامـير
سيبويه ـ ولو قارن مولاي بين هـذا البيت المضحك وبين ما قال لأبي الحسين المـــريّ في نفس المعنى ، لبدا له الهـــزل والصغار هنا والجـــد والوقار هناك

كافور ـ ابو الحسين المري ؟!
سيبويه ـ لقد قال في مدح ابي الحسين :
خير اعضائنا الرؤوس ولكن
فضلتها بقصـدك الاقـــدام

سيبويه ـ وهذا ما اراد في جملته

كافور ـ أحقاً ، ابا الطيب !؟

المتنبي ـ والله ايها الامير ..

سيبويه ـ وليتفضل مولانا ويلاحظ شدة انشغاله بسيف الدولة ، وهو لا ينقطع عن ترديد كلمة امير

المتنبي ـ اني ياسيدنا اختصر جملة امير الامراء

سيبويه ـ ان سيدنا ملك ، بل ملك الملوك

المتنبي ـ لكن ...

سيبويه ـ ثم ان كان قد اغاظك امتناع سيدنا عن السماح لك بالانشاد جالساً كما عوّدك سيف الدولة ، فان ..

المتنبي ـ لا يغيظني الوقوف بين يدي مولانا

سيبويه ـ انه يشرّفك . ثم خير لك ان تطرح سيف الدولة عن خاطرك ، وقد اصبحتَ في نظره ميتاً

المتنبي ـ انك ياهذا لفي ضلال ، فلقد تموتِ البطولة في سيف الدولة ، ولا اموت في نظره

سيبويه ـ هذا في رأيك

المتنبي ـ ثم اني منشغل عنه بمن هو اعظم منه

كافور ـ لو انكما اختصمتما بسبب الشعر لكان في خصامكما متعة لنا

المتنبي ـ وحق مولانا لم يغظني ان انشده واقفاً وهو من :

كافور ـ لايخامرنا ريب بصدق ولائك

المتنبي ـ لولا ولائي لسيدنا ما قلت :

قواصد كافور توارك غـــيره
ومن قصد البحر استقلّ السواقيا

كافور ـ بلى .. وهذا يا ابا بكر يدعوك الي الاعتذار لأبي الطيب

سيبويه ـ مادام سيدنا يريد ..

كافور ـ ارى قولك هذا اعتذاراً وافياً .. هل يقبل ابو الطيب

المتنبي ـ والله ياسيدنا ، من نكد الدنيا انها ترميـــني بالسوء في اي مكان حللته

كافور ـ احسب ان ابا بكر لم يسيء اليك

سيبويه ـ ماقصدت الاساءة الى من سمعته يغمز من قناتي

كافور ـ يغمز من قناتك ؟!

سيبويه ـ اجل ، سيدنا . لقد سمعته يذكر نكد الدنيا

كافور ـ وما في ذلك ؟! والدنيا لم تصفُ لأحد قط

سيبويه ـ لقد سمّاني عدواً

كافور ـ كيف ذلك يا ابا بكر

سيبويه ـ نكد الدنيا من بيت له في قصيدة مدح بها محمد بن سيّار

كافور ـ لقد ذكّرتني

كشاجم ـ :

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدواً له ما من صـــداقته بدّ

وما كنتَ ممن أدرك الملك بالمنى
ولكن بايام يشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعياً
وانت تراها في السماء مراقيا
وانت الذي تغشى الاسنّة اولاً
وتأنف ان تغشى الاسنة ثانيا
مدى بلّغ الاستاذَ اقصاه ربُّه
ونفس له لم ترض الا التناهيا
دعته فلبّاها الى المجد والعلي
وقد خالف الناسُ النفوس الدواعيا
فاصبح فوق العالمين يرونه
وان كان يدنيه التكرُّم ، نائيا

كافور ـ لقد كفيت ووفيت يا ابا الطيب .. خذ لك مكاناً الى قربي

المتنبي ـ [وهو يتجه ليجلس] الشكر الجزيل لسيدنا

كافور ـ عساك لم تلق مزيداً من الصعاب في طريقك الينا

المتنبي ـ والله ايها الامير ..

سيبويه ـ قل ياسيدنا

المتنبي ـ لكن يا ابن خالويه ..

سيبويه ـ انظر ياسيدنا . انه مازال يعيش في خيمة سيف الدولة ولكأنه لا يرى ابّهة بلاط مولاي ، ولا عظمة سلطانه

كافور ـ لانحسب ابا الطيب يفضّل احداً علينا

المتنبي ـ أُعيد بيتاً من القصيد ، ويقضي سيدنا

تماشى بأيد كلما وافت الصفا
نقشنَ به صدرَ البزاة حوافيا
وتنصب للجرس الخفي سوامعاً
يخلن مناجاة الضمير تناديا

كافور ـ الله الله

المتنبي :

قواصد كافور توارك غيره
ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا

كافور ـ ابشر ، ابا الطيب

المتنبي ـ :

ابا المسك ، ذا الوجه الذي كنتُ تائقاً
اليه وذا الوقت الذي كنتُ راجيا
يدلُّ بمعنى واحد كلُّ فاخر
وقد جمع الرحمن فيك المعانيا
اذا كسب الناس المعالي بالندى
فانك تعطي في نداك المعاليا

كافور ـ يالابداعة الفائقة

المتنبي :

وغير كثير ان يزورك راجل
فيرجع ملكاً للعراقين واليا

فما ينفع الاسدَ الحياء من الطوى
ولا تتقى حتى تكون ضواريا
حبتك قلبي قبل حبي لمن نأى
وقد كان غدار أفكن انت وافيا
وأعلم أن البين يشكيك بعده
فلستَ فؤادي ان رأيتك شاكيا
فان دموع العين غدرٌ بربّها
اذا كن اثر الغادرين جواريا
وللنفس اخلاق تدل على الفتى
أكان سخاءً ما اتى ام تساخيا

سيبويه ـ هل يسمح سيدنا ..
كافور ـ امضِ في الانشاد ، ابا الطيب

المتنبي ـ :

خُلقتُ ألوفاً لو رحلتُ الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا
ولكنّ بالفسطاط بحراً أزرْتُه
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

كافور ـ احسنت ، ابا الطيب
سيبويه ـ اني ياسيدنا ...
كافور ـ تابع ، ابا الطيب

المتنبي ـ :

وجرد مددنا بين آذانها القنا
فبتن خفافاً يتبعن العواليا

المتنبي ـ ولقد اوشكت على التّورط فيما انا بغنى عنه

كافور ـ .. نستمع اليك فيما قلت من الشعر

المتنبي ـ قصيدة نظمتها في مـــدح سيدنا ، آمـــل ان يصفح عن تقصيري فيها .

كافور ـ الشاعر الاصيل لاينتظر منه تقصير

المتنبي ـ الشكر لسيدنا

كافور ـ وعساك نظمت في الدار التي بنيناها حديثاً !؟

المتنبي ـ نظمت

كافور ـ تبدأ فتسمعنا ما طالل انتظارنا له

المتنبي ـ اولى قصائدي في مديح مولانا

كافور ـ نعم . وتعقب مانظمت سواها

المتنبي اجل سيدنا

كافور ـ .. حسناً

المتنبي ـ [يقف وينشر ورقاً بين يديه ويقرأ]

كفى بك داءً انترى الموت شافياً
وحسب المنايا ان يكن امانيا
تمنيتهـــا لما تمنيتَ ان ترى
صديقاً فأعيا او عـدواً مداجيا
اذا كنتَ ترضى ان تعيش بذلة
فـــلا تستعدّن الحسام اليمانيـا
ولا تستطيلن الرمـاح لغـايـة
ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

المتنبي ـ لعمري يا ابن خالويه ، انك لتعلّمني النطق القويم

سيبويه ـ اني محمد بن موسى الكندي

كافور ـ سيبويه ، لا خالويه

المتنبي ـ والله يامولانا ، لو وصل عظامُ ابي بِشْر عمرو بن عبّاد ، سيبويه الاشهر ..

كافور ـ فلتجلس يا ابا الطيب !

المتنبي ـ لو وصل عمرو بن عباد خبرُ اطلاق هـذا اللقب على خالويه هذا لـ ...

كافور ـ قلنا انه سيبويه لا خالويه

المتنبي ـ اعتذر لسيدنا عن هذا الخلط بالاسماء

كافور ـ لاداعي لذلك يا ابا الطيب .

المتنبي ـ اني ، ايها المولى ، اخلط بلفظ الاسماء كلما وطىء سمعي هـذا اللفظ ويه

كافور ـ (ينظر اليه بشيء من العبوس)

المتنبي ـ وقد لاتتوضح في ذهني حروف تسبق هـذا اللفظ ، فاقـول سيبويه او خالويه ، او آه ويه او ...

سيبويه ـ ياسيدنا !!

كافور ـ ليست هذه بداية طيبة لمجلس اليوم

المتنبي ـ اقسم ياسيدنا على اني ما قصـدت مصر الا لأمـدح ملكها العظيم كافور

كافور ـ لقد احسنت التخلص يا ابا الطيب

النجيرمي ـ سيدنا !!
كافور ـ وامرنا بمثلها لابن العباس
الفضل ـ ادام الله ايام سيدنا
كافور ـ [مبتسما] ولو انك عدتَ فلحنت لعدنا فاستردنا منحتنا
صبيح ـ [داخلا] المتنبي يامولاي
كافور ـ آن في النهاية حضوره .. فليدخل ابو الطيب .

[يخرج صبيح]

كافور ـ ولسوف نسمع من لقوله صليل وصولة
سيبويه ـ اوَمن نبذه سيف الدولة ، وأعتذرُ لسيدنا

[يدخل المتنبي]

المشهد الثاني

المتنبي ـ (يدخل بحلة زاهية) السلام على الاستاذ الخطير ورحمة الله
كافور ـ وعليك السلام يا ابا الطيب .. عساك لقيت منزلاً طيباً !؟
المتنبي ـ اشكر للاستاذ حسن رعايته
سيبويه ـ لو انه ردَّ بغير هذا القول المبتذل !
كافور ـ نعم ، وانت الشاعر المجيد يا ابا الطيب
المتنبي ـ لقد نظمتُ في مديح الاستاذ الكريم
سيبويه ـ في مدح سيدنا

النجيرمي ـ ياسيدنا !؟

كافور ـ فليجلس ابنِ العباسَ [يخفض ابن وينصب العباس]

الفضل ـ سيدنا !! فطنتُ الي اني لحنتُ . لكن ...

كافور ـ خذ لك مكاناً للجلوس يا ابن العباس .

النجيرمي ـ :

لاغرو إنْ لَحَنَ الداعي لسيدنا
وغصَّ من هيبة بالريق والبَهَر

فمثلُ سيدنا حالت مهـــابته
بين البليغ وبين القـول بالحصر

كافور ـ ما اليق هذا الاعتذار

النجيرمي ـ :

فان يكنْ خفَضَ الايام عن دَهش
من شدة الخوف لا من قلّة البصر

فقد تفاءلتُ في هـــذا لسيدنا
والفأل نأثره عن سيد البشر

بان ايامه خفض بـــلا نَصب
وان دولته صفـو بـلا كدر

كافور ـ لقد احسنت يا ابا اسحاق

جعفر ـ احسن والله يا مولاي

كافور ـ ولقد امرنا له بثلاثمائة دينار

كافور ـ افذهبت الى لقائه !؟

كشاجم ـ كلا ياسيدنا . انما علمت من حاشيته

سيبويه ـ حاشيته !. يضحكني هذا التعبير

كافور ـ تضحك ؟

سيبويه ـ وانا متهيب مجلس مولانا ، محترم مقامه

[يدخل صبيح]

صبيح ـ لقد قمتُ بما امرني سيدنا

كافور ـ أقبّل ابو بكر ، المال !؟

صبيح ـ قبله . وشكر لسيديا جميله وحسن حفظه آيات الله .

كافور ـ يسرني هذا القول من ابي بكر .

صبيح ـ الفضل بن العباس يستأذن للدخول على سيدنا

كافور ـ يدخل

[يخرج صبيح]

كافور ـ الفضل هذا صديق للعلاّمة ابي اسحاق النجيرميّ !

النجيرمي ـ اجل ايها الامير . انه صديقي الحميم

[يدخل الفضل]

الفضل ـ [وهو ينحني] ادام الله ايامِ سيدنا [يخفض كلمة ايام]

كافور ـ [ينظر نحو النجيرمي مبتسماً ، ثم] اهلا بابنَ العباسُ [ينصب ابن ويرفع العباس]

الآمدي ـ وما اكثر هبات سيدنا ونعمه

سيبويه ـ نعم . ما اكبر هبات سيدنا . بل ماأعظمها

كافور ـ لا تبالغ يا ابا بكر

سيبويه ـ يدحض كل مبالغة ، ياسيدنا ، ما وهبتَ المتنبي

الآمدي ـ بلى والله

سيبويه ـ وما نحسب الاعرابي سيف الدولة قد وهب المتنبي اكثر من خيمة تؤويه

كافور ـ ماذا يقول العلاّمة سيبويه !؟

سيبويه ـ اقول ان الملك كافوراً قد اخلى للمتنبي داراً برمّتها ، واقام على خدمته جيشاً من الخدم

الآمدي ـ عدا ما خُلع عليه وحمل اليه

كافور ـ ،.. وما بلغكم عن رأيه فيما فعلت !؟

سيبويه ـ هذا الرجل ، ياسيدنا ، محب لذاته ، مغرور بصفاته . لايقنع بالقليل ، ولا يشكر على الكثير

كافور ـ ... اما آن له الخروج الينا وقد انقضت الايام على انقطاعه عنا

كشاجم ـ علمت ان المتنبي عازم على المثول بين يدي سيدنا هذا اليوم .

كافور ـ ومتى علم الشاعر كشاجم ذلك

كشاجم ـ علمت في الامس يامولاي

كان وحده الحاكم الفعلي . وقد بقي السلطانَ اسماً وفعلا حتى توفي سنة ستة وخمسين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة . ولقد كان كافور داهية في السياسة ، شجاعاً ، حكيما . استطاع بدهائه ان يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً .

اما المتنبي فقد قدم مصر في منتصف سنة ست واربعين وثلاثمائة فاقام فيها اربع سنين ونصف السنة ليبرحها في اواخر سنة خمسين وثلاثمائة ..

وندخل قصر كافور لنرى فيه نخبة من اللغويين والشعراء المعروفين . ولدى دخولنا نسمع كافوراً يخاطب غلامه صبيحاً .

المشهد الاول

كافور ـ وما قال ابو بكر الرمليّ حين ردّ ما ارسلنا اليه !؟

صبيح ـ طلب الي ان انقل الى مولاي قول الله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين » .

كافور ـ .. تعود بالمال ، وتنقل اليه قول الله سبحانه « له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى » . فلعله يدرك ان كافوراً لا يملك شيئاً ، وان الملك والمال لله .

صبيح ـ الطاعة لمولاي [يخرج]

كافور ـ لا تعجبني أنفة ابن النابلسي هذا .. وما ادري رأي وزيرنا جعفر بن الفرات !؟

جعفر ـ رأيي انه ما كان لأبي بكر رد نعمة سيدنا

الفصل الخامس

لقد كان ابو الطيب موقناً بان سيف الدولة لن يسمح له بمفارقتـــه فراقاً طويلا . بل لقد دار في خلده ان سيف الدولة قد يبطش به اذا ماعلم بان في نيتـه الفرار من صحبته ، ولذلك فضّل استئذانه في الرحيل الى اقطاع كان سيف الدولة قد اقطعه اياه في احدى نواحي معرة النعمان . غير انه ما كاد يخرج من حلب حتى اخذ يغذّ السير دون هوادة ، لا يرتاح الا ريثما تسترد راحلته انفاسها . ومـا زال على تلك الحال حتى بلغ دمشق وحط رحاله فيها آمناً ، اذ ببلوغـه دمشق كان قد انتقل من مملكة سيف الدولة الى مملكة كافور الاخشيدي ، الذي ما كاد يعلم بوجوده في الشام حتى ارسل يطلبه اليه المرة تلو المرة .

وما دام ابو الطيب قد لبث زمناً غير قصير لدى كافور ، وما دام كافـور هو احد شخصين قد برزا في حياة ابي الطيب ، فلا بد اذن من ايراد شيء مـوجز عن حياته ، ونحن مقبلون على دخول قصره مع الشاعـر الكبير ...

لقد جاء في كتب التاريخ ان كافوراً كان مولى اسود لمحمـــد بن طغج الاخشيد ، اشتراه من احد الوجهاء في مصر بثمانية عشر ديناراً ثم اعتقه ورقّـاه حتى جعله من كبار القواد . وعندما رأى منه الحزم والعقل وحسن التـــدبير ، ولاّه قيـــادة الجيـــوش الاخشيدية وارسله لمحـاربة ابن رائق وسيف دولة من بعده .

وعندما توفي الاخشيد اخذ كافور البيعـة لابن الاخشيد ، « انوجور » الذي توفي سنة تسع واربعين وثلاثمائة . وبعد وفاة « انوجور » سعى كافـور لدى الخليفة المطيع لله ، ونجح في تولية عليّ ، الابن الثاني للاخشيد . الا ان كافـوراً

الفصل الخامس

فلا تبال بشعر بعـــد شاعره
قد أُفسِدَ القول حتى أُحمد الصمم

سيف ـ لكن مابال وردان !؟..
ابو فراس ـ لا احسبه واجداً المتنبي ، ايها الامير
سيف ـ ولمَ تظن مثل هذا

[يدخل وردان]

سيف ـ ما وراءك
وردان ـ ابو الطيب ، ايها الامير ، خرج الى اقطاعه
سيف ـ هل سألتَ عن وقت خروجه
وردان ـ قيل انه غادر منزله صباح اليوم . الا اني مرتاب في هذا الخبر .
سيف ـ ولمَ ! ؟
وردان ـ لأني علمتُ ممن رآه رأي العين في الطريق الى حمص ، ان المتنبي كان قد غادر الشهباء فور خروجه من لدن الامير
سيف ـ ما الذى تقول !؟
وردان ـ اني مرتاب بصحة هذا القول ، ايها الامير
سيف ـ ينبغي على اي حال ، ان استوثق من الامر بنفسي . [وينفرط عقد المجلس ويذهب سيف الدولة بنفسه لاستطلاع خبر ابي الطيب ولكم آلمه العلم بانه قد فقد صاحبه الى الابد .]

سيف ـ إقرأ

السامري ـ :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
ماذا يزيدك في إقدامك القسم
وفي اليمين على ما انت واعده
مادلّ انك في الميعاد متهم
آلى الفتى بن شمشقيق فاحنثه
فتى من الضرب تنسى عنده الكلم
كل السيوف اذا طال الضراب بها
يمسها غير سيف الدولة السأم

سيف ـ [بانشغال] جز الى نهاية القصيدة .

السامري ـ :

صدمتهم بخميس انت غرّته
وسمهريّته في وجهه غمم
فكان اثبت ما فيهم جسومهم
يسقطن حولك والارواح تنهزم
القت اليك دماء الروم طاعتها
فلو دعوتَ بلا ضرب اجاب دم

سيف ـ اقرأ الختام

السامري ـ :

لاتطلبن كريماً بعد رؤيته
ان الكرام باسخاهم يداً ختموا

مشهر في يدي

ابو فراس ـ ايد الله الامير بنصره

سيف ـ ولكم اثارت الحماسةَ في الرجال اقوالُ ابي الطيب الملهبة

الفارابي ـ هل يذكر الامير قسم البطريق عند مليكه بان يعارض سيف الدولة في الطريق بجيش يذخر بالعُدد !؟

السامري ـ مَن لا يذكر ذاك اليوم العصيب

ابو فراس ـ بل ذاك النصر المبين الذي احرزناه على العلوج

سيف ـ لكن ، مابال ابي الطيب قد عكف عن الحضور

ابو فراس ـ لعله منهمك باعداد رقية جديدة

ابن نباته ـ لقد انقضت ثلاث ليال لم اره فيها

سيف ـ [يصفق فيدخل وردان] امضِ وراء ابي الطيب وأتِ بخبره .

وردان ـ الطاعة للامير [يخرج]

سيف ـ أليس بينكم من قال شيئاً يسمعنا اياه

الفارابي ـ وهل غادر ابو الطيب من متردم !؟

سيف ـ [للسامري] تقرأ اذن ما قال ابو الطيب في حادث البطريق وتوعُّده .

السامري ـ حسناً ايها الامير

سيف ـ عقبى اليمين ...

السامري ـ هذه القصيدة هي آخر ما وصلني من نظمه . وما زالت على الورق لم تدوَّن في السجل

تقطّع مالا يقطع الدرع والقنا
وفر من الابطال من لا يصادم
وقفتَ وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمرُّ بك الابطال كلمى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

سيف ـ اذكر اني انكرتُ على ابي الطيب تطبيق عجزيّ البيتين على صدريهما

السامري ـ لقد دونتُ ذلك ايها الامير . ودوّنت ردّ ابي الطيب عليه .

سيف ـ لقد كان ردّاً صائباً مفحماً
السامري ـ أأقرأ نقد الامير وردّ ابي الطيب !؟
سيف ـ افضل ان تقرأ من القصيدة
السامري ـ حسناً ايها الامير

السامري :

ضممتَ جناحيهم على القلب ضمة
تموت الخوافي تحتها والقوادم
ولستَ مليكاً هازماً لنظيره
ولكنك التوحيد للشرك هازم

ابن خالويه ـ ايها الامير ..

سيف ـ كفى ، ابا الفرج ، فاني والله لأكاد اثب عن مقعدي والسيف

طريدة دهـــر ساقها فرددتها
على الدين بالخطيّ والدهر راغم
تُفيتُ الليـالي كل شيء اخذنه
وهن لما يأخذن منك غـــوارم
وكيف يرجّي الروم والروس هدمها
وذا الطعن آساس لهـا ودعائم

ابن خالويه ـ الروس والروم !
سيف ـ انهم الاعداء يا ابن خالويه ... اكمل ، ابا الفرج .

السامري ـ
اتوك يجرون الحـديد كأنهم
سروا بجياد ما لهن قـــوائم
خميس بشرق الارض والغرب زحفه
وفي اذن الجوزاء منه زمازم
تجمّع فيـه كل لِسن وأُمـة
فما تفهم الحـدّاث الا التراجـم

سيف ـ ياللوصف الصادق الرائع
ابو فراس ـ ما كان اشد ذاك اليوم العصيب
سيف ـ بلى والله . لقد كان يوماً مشهوداً

السامري ـ :
فلله وقتٌ ذوّبَ الغيشَ نارُه
فلم يبق الا صـابر او ضُبارِم

سيف ـ وما سعيت قط الى اذية غير اذية الاعداء

الفارابي ـ لقد صدق الامير

سيف ـ إقرأ ابا الفرج في الميم

ابن خالويه ـ ما اكثر مايذكر الاميرُ ، المتنبي

السامري ـ امام ناظري ، ايها الامير ، قصيدة ابي الطيب في ذكرى بناء الحدث

سيف ـ هذا والله ماوددته ، ولكأن الظروف تنثر خواطري في اشعة من الضياء

السامري ـ أاقرأ ، ايها الامير

سيف ـ إختر ماتريد من ابيات هذه القصيدة العامرة

السامري :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

يكلف سيف الدولة الجيش همه
وقدعجزت عنه الجيوش الخضارم

هل الحدث الحمراء تعرف لونها
وتعلم اي الساقيين الغمائم

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا
وموج المنايا حولها متلاطم

فيعرفوا منـه معنى ما افـوه به
حتى كأني وهم في لفظـه شرع

كم بين قوم قـد احتالوا لمنطقهم
وبين قـوم على اعـرابهم طبعوا

وبين قـوم رأوا شيئاً معـاينة
وبين قوم حكوا بعض الذي سمعوا

سيف ـ احسنت ، احسنت

عمار ـ :

اني غُذيتُ بارض لا تُشبّ بها
نار المجوس ولا تبنى بهـا البيع

سيف ـ ياللعربي القح !
ابن خالويه ـ وغير العرب الاقحاح ، ايها الامير
سيف ـ معذرة ايها المؤدب الفاضل . فلا والله ماقصدت ايلام احد .
ابو ذر ـ الامير ، يا ابن خالويه ، لاينس حـــديثاً شريفاً مطبوعـــاً في قلبه .

سيف ـ لافضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى
الفارسي ـ هذا العدل ، لعمري ، قـــد نزّه الاسلام عن الغايات الفـانية ، واثبت انه الدين الحق فاعتنقه الناس في ارجاء الارض .

سيف ـ ما كان تحمّسي لعمار الا اعجاباً بقوله
ابن خالويه ـ لايداخلني ريب في صدق الامير ونبل خلقه

ينفض المجلس الكريم حتى جاءني شيطاني بالقصيدة التي ذكرت

سيف ـ نرغب بسماعها يا عمّار
عمار ـ حباً وكرامة ايها الامير ...

ماذا لقيت من المستعربين ومن
قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
ان قلتُ قافية بكراً يكون لها
معنى خلاف الذي قاسوه او ذرعوا
قالوا لحنتَ وهذا غير منتصب
وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبدالله من حمق
وبين زيد فطال الضرب والوجع
فقلت واحدة فيها جوابهم
وكثرة القول بالايجاز تنقطع
ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا
ماتعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

سيف ـ الله الله ياعمار . فلقد انصفت وربي

عمار ـ :

ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا
ماتعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

حتى يصير الى القوم الذين غذوا
بما غُذيتُ به والقول يجتمع

ولذيذ الحياة انفس في النفـ
ـسِ واشهى من ان يُمِلَّ واحى
واذا الشيخ قال اف فما مـ
ـلَّ حياة وانما الضعف ملاَّ
آلة العيش صحـــة وشباب
فاذا وليا عن المـــرء ولّى
ابـــداً تسترد ما تهب الدنـ
ـيا فياليت جودها كان بخلا

سيف ـ كفى
ابو ذر ـ تمنيتُ لو لم تُستثر اشجان الامير .
ابو فراس ـ لولا المتنبي ما شجن
ابن خالويه ـ لو سمح الامير لحـــوّلناه عن شجنه .. فها عمّار الكلابي النحوي الاميّ ، نناقشه في اللغة التي يحبها الامير

سيف ـ افضّل ان اسمع شعراً
السامري ـ هل اقرأ للامير
سيف ـ أما بينكم من لديه نظم جديد !؟
ابو فراس ـ والله ،.
سيف ـ الشاعر عمّار ، مثلا
عمار ـ والله ايها الامير مانظمت الا قصيدة لعلهـا لاتمت الى الشعر بصلة وان تسمّت باسمائه

سيف ـ عجب هذا
عمار ـ لقد احمقني بعض النحاة الذين ضمهم مجلس الامير بالامس وما كادَ

سيف - [للسامري] اقرأ رد ابي الطيب على انتقاد مدون في اللام

السامري ـ انه امام ناظري ايها الامير

سيف ـ إقرأ

السامري ـ :

اتيت بمنطق العُرب الاصيـــل
وكان بقـــدر ما عاينت قبلي
فعـارضه كلام كان منـــه
بمنزلة النساء من البعـــول
وليس يصـح في الافهـام شيء
اذا احتـاح النهـار الى دليـل

ابن خالويه ـ ولكن ايها الامير ..

سيف ـ

من تعاطى تشبهاً بـــه اعيـا
ه ومن دل في طريقـــه ضلاّ

السامري ـ ايها الامير !!

سيف ـ أعلمُ اني قد بدلتُ جهة الخطاب . وأعلَمُ ان ذكرى هذا القول تنكيءُ فيَّ جرحاً لمّا يندمل بعد

السامري ـ انها تعزية ابي الطيب بالمغفور لها شقيقة الامير

سيف ـ [بشرود] إقرأ بضعة ابيات

السامري ـ :

من تعاطـــى تشبهاً بك اعيـا
ه ومن دلّ في طريقك ضلاّ

سيف - :

لعل لسيف الدولة القرم هبَّـة
يعيش بها حق ويهلك باطـــل

ابو فراس ـ ايها الامير . .
سيف ـ ثم إقرأ في الكاف الابيات التي مطلعها ان هذا الشعر
السامري ـ حسناً ايها الامير [يقلّب في السجل]
ابو فراس ـ والله ايها الامير ، ان احسد ابا الطيب فـلا احسده الا على مكانة له عندك

السامري ـ أأقرأ ايها الامير .
سيف ـ أقرأ . وليسمع من يريد

السامري ـ [يقرأ]
ان هـذا الشعر في الشعر ملك
سار فهـو الشمس والدنيا فلك
عـــدل الرحمن فيما بيننـا
فقض باللفظ لي والحمـــد لك
فاذا مرَّ باذنيَّ حـاســـد
صار ممن كان حيـــاً فهلك

ابن خالويه ـ هل يسمح الامير بنقد
سيف ـ وهل يسمح مؤدبنا بان نسمع ابياتاً لأبي الطيب حول النقد ،قبل ان ننقده !؟

ابن خالويه ـ الامر لك ، ايها الامير

بذلك اثاراتك المتواترة .

ابو فراس ـ عفوك ثانية ياعماه ، ولتسمح بان اورد قولاً مشابهاً كل الشبه، لقول المتنبي ، ولعلك عاذري بعد ذاك

ابن خالويه ـ اكاد والله اعرف ما سيقول ابو فراس

ابو فراس ـ لاريب ايها الامير في ان المتنبي قد نهج نهج امرىء القيس في قوله :

افادَ وجـــاد وســـاد وزاد
وذاد وقاد وعـــاد وأفضل

ابن خالويه ـ واتّى هذا الاعجاز من ذاك العواء

سيف ـ ما اظلمك يا ابن خالويه

الفارابي ـ باجازة من مولاي اقول اني سمعتُ ابا الطيب يقول :

انما الشعر جادة ، وربما وقع حافر على حافـر

سيف ـ وهذا منطق معقول

ابن خالويه ـ لو يسمح الامير ..

سيف ـ [الى السامري] تقرأ ماطلبتُ تدوينه تحت كل كلمة من كلمـات بيت ابي الطيب ذاك

السامري ـ حسناً ايها الامير

سيف ـ لكن لايجدي ان تفعل . اذ يكفي ان اكون قـــد حققت لأبي الطيب معاني البيت كلمة كلمة

ابن خلويه ـ ترى هل يستحق الرجل كل ذلك !؟

فنحن في هزل والروم في وجل
والبر في شغل والبحر في خجل
ناديت مجدك في شعري وقد صدرا
ياخير منتحل في خير منتحل
لعل عتبك محمـــود عـواقبه
فربمـــا صحت الاجسام بالعلل

سيف ـ الله الله

السامرى ـ :

لأن حلمك حـــلم لا تكلّفه
ليس التكحّل في العينين كالكحل
انت الجواد بلا منّ ولا كدر
ولا مطال ولا وعد ولا مَذَل
أقلْ أنِلْ اقطعْ احملْ علّ سلّ أعدْ
زِدْ هشَّ بشَّ تفضّل ادنُ سرَّ صِلِ

ابن خالويه ـ [ضاحكاً] لكأني والله اسمع عواءً بحتاً
ابو فراس ـ والمتنبي لم يحجم حتى عن تقليد العواء
سيف الدولة ـ انك لتكاد تغضبني يا ابا فراس ، فانك لاتنفك عن اتهام الرجل بالسرقة

ابو فراس ـ عفوك ايها الامير . اني عندما اسمع قولاً لرجلنا ، اذكر دون جهد قولاً مشابهاً لشاعر آخر

سيف ـ قل ادن دفعة واحدة ان كل اقوال ابي الطيب مسروقة وتنتهي

الفارسي ـ ودليل آخر على انهما اسمان ، هـــو عـدم اقتران الزمان بهما كسائر الافعال . . فلا يقال نعم الرجل غداً او امس او بئس الرجـــل غداً او امس .

سيف ـ مفحم هذا القول

الفارسي ـ ثم انهما غير منصرفين ، والتصرّف من خصائص الافعـال ؛ فقد يقال ان زيداً لنعم الرجل وان عمراً لبئس الغلام ، واللام تدخل على الاسمـاء ولا تدخل على الفعل الماضي .. ثم ..

سيف ـ سلمت ابا علي ، فانك والله لحجة في اللغة لاتجارى

الفارسي ـ الشكر لثناء الامير

سيف ـ اكمل ابا الفرج قراءة القصيدة

السامري :

قـد ذقتُ شده ايامي ولذتهـا
فما حصلت على صاب ولا عسل

لأكسبُ الذكر الامن مضاربه
او من سنان اصم الكعب معتدل

جاد الامير به لي في مواهبـــه
فزانها وكساني الدرع في الحلل

ومن علي بن عبـــد الله معرفتي
بحمله فمن كعبد الله او كعلي

ضاق الزمان ووجه الارض عن ملك
ملء الزمان وملء السهل والجبل

سـ ـف ـ لقد سمعتُ الفاضل ابن نباتة يلفظ كلمة نِعْمَ

الفارسي ـ صنوُ كلمة بِئْسَ

سيف ـ كلمتان ندر ان وضعتها في اقوالي ، مخافة ان اسيء استعمالهما .

ابن خالويه ـ حول هاتين الكلمتين جدل طويل ، ايها الامير

سيف الدولة ـ ارغب الى ابي علي ان يحدثنا فيهما

الفارسي ـ الخلاف بصدد الكلمتين هو ان الكوفيين يقولون انهما اسمان بينما يقول البصريون بفعليتهما

سيف ـ في اي الفريقين يكون ابو علي الفارسي ، اكون

الفارسي ـ الشكر للامير . . واني لمقتنع بقول الكوفيين

ابن خالويه ـ هل يأذن الامير بطلب الحجة

الفارسي ـ اني لمقدمها في شواهد عديدة . فالعرب تقـــول ما زيد بنعم الرجل . وحسان بن ثابت رضي الله عنه قال :

ألستُ بنعم الجار يؤلف بيته

لذي العرف ذا مال كثير ومعدما

ولقد نُقل عن احد الفصحاء قوله : نعم السير على بئس العير . فما يميل بي الى الاعتقاد بكونهما اسمين ، دخول احرف الجر عليهما .

سيف ـ هذا صحيح

الفارسي ـ حجة اخرى ، هي دخول حرف النداء عليهما ، وهو لايدخل الا على الاسماء .. يقال : يانعم المولى ويانعم النصير .

سيف ـ صحيح

ندخل المجلس فنسمع ابا الفرج السامري يقرأ في السجل المعهود :

اشكوالنوى ولهم من عبرتي عجب
كذاك كنتُ وما اشكو سوى الملل
وما صبابة مشتاق على امـــل
من اللقاء كمشتـاق بلا امـــل
فالهجر اقتل لي ممـا اراقبـــه
انا الغريق فما خـوفي من البـل
قد ذقت شدة ايامي ولذتهـــا
فما حصلت على صاب ولا عسل

سيف الدولة ـ هل للعلاّمة ابن نباتة ان يفسر هذا البيت .

ابن نباته ـ اجل ايها الامير . واني لأسمع ابا الطيب يصف حياته بالفراغ لعظم طموحه ، فلا هو شعر في المحن بالشدة ، ولا هـو شعر بالسعادة في الرخاء . ونعم البيت بيت ابي الطيب .

سيف ـ لقد احسنت والله . لكـــني ارى انك قـــد ورّطتنـا وما تورّطتَ .

ابن نباته ـ لو تفضل الامير وافصح

سيف ـ أفصح بسؤال اتوجه به الى ابي علي ، ولكي اكون اكثر انصافاً لقدره ، اضيف ، الفارسي .

الفارسي ـ هل يعنيني الامير

سيف ـ نعم .. اعني ابا علي الفارسي ، اللغوي الفذ

الفارسي ـ يشرفني تقدير الامير اياي

الذي جعل من النادر ان تخلو قصائده ، من نفثات لاهبة ينفثها مستتراً وراء المديح تارة والرثاء طوراً ، ولعله قد ضمّن واجمل ما الم به من كيد الحاسدين في هذين البيتين من القصيدة التي رثي بها والدة سيف الدولة :

رماني الدهر بالارزاء حتى
فؤادي في غشاء من نبال
فصرتُ اذا اصابتني سهام
تكسرت النصال على النصال

بيد ان ابا الطيب كان يصبر على دسهم وحقدهم صبر الكرام . لكنه ما جاز في خاطره ان توطأ كرامته جهاراً بالنعال ... لقد حدثت خلال اقامته مع سيف الدولة امور جمة نغصت على الشاعر الابي عيشه وكدرت صفوه فلوّح في كثير من قصائده بالشكوى وهدد بالفراق . الا انه لم يصمم على مفارقة صاحبه الا بعد حادث جرحه على الشكل المروع الذي مر .

واذا كان الحادث لم يترك في نفسه صدى لأي استشعار باحتمال وقوع مصالحة او استرضاء ، فقد اعتزم الرحيل ، كما اعتزم التكتم الشديد في الاعداد له ، تحسباً من امور قد تقف دونه الى تنفيذ عزمه . فعندما ترك سيف الدولة الى غير رجعة ، تستر بذهابه الى اقطاع كان سيف الدولة قد اقطعه اياهُ في ناحية من نواحي معرة النعمان .

وها نحن مقبلون على مجلس انعقد في قصر سيف الدولة ، دون ان نعلم بالتدقيق المدة التي انقضت بين انعقاد هذا المجلس والمجلس الذي سبقه . واذ ندخل المجلس نرى سيف الدولة في صدره يحوط به ملازماه المعروفان ؛ ابن خالويه وابو ذر ، ثم ادباء وعلماء آخرون ، مثل ابن نباته وابي علي الفارسي وابي الطيب اللغوي والفارابي وابو العباس النامي .

اشبهها فعلك في فيلـــق
قلّبتَـــه صفـــاً على صف

سيف ـ لله ما اسرع بديهتك يا ابا الطيب ، واني لأرجـــو وانت العزيز الجانب ، الا يكون ارتجالك هـــذين البيتين ستراً تسدله على حقـــد يعتمل في نفسك .

المتنبي ـ هل يسمح الامير بان ازيل هذا الدم المسفوح

سيف ـ تمنيت لو لم اره على وجهك

المتنبي ـ الجرح في قلبي ايها الامير

سيف ـ ما اشد وقع كلامك يا ابا الطيب . لكن اراني مرغماً على النزول عند رغبتك بالذهاب .. انما آمل الا يطول غيابك .

المتنبي ـ استودع الله الامير

سيف ـ صحبتك السلامة يا ابا الطيب

المتنبي ـ الوداع

(ويخرج ابو الطيب متجهم الوجه ولا يهمل نظرة شذراء يطلقها نحو ابن خالويه والحمداني الصغير) .

• • •

اولئك الشعراء والادباء الذين احاطـوا سيف الدولة فكسفت شمس ابي الطيب نجومهم واخمدت نباهته ذكرهم ، كانوا يمعنون في الحسد يوماً بعد يوم ؛ لا يألون جهداً في ذمّه والتشنيع به ولا في افساد مابينه وبين صاحبه .

ولقد كان احساس ابي الطيب يتلقى الطعنات المتلاحقـة كل يوم ، الامر

سيف ـ (متأثر) فلتقصر ابا فراس

المتنبي ـ

وبيننا لو رغبتم ذاك معرفـــة
ان المعارف في اهـل النهى ذمم

سيف الدولة ـ والله يا ابا الطيب ماجاز في خاطري هذا الذي حدث . لقد صنعه ظرف طارىء . فهل تريدني على الاعتذار ! ؟

المتنبي ـ اطال الله بقاء الامير
سيف ـ اقترب ابا الطيب فاعرب عن اسفي لما حـدث
المتنبي ـ ايها الامير ..
سيف ـ تعال . ادنُ مني
(ويقترب المتنبي فيعانقه سيف الدولة ثم يجلسه الى جانبـــه)
سيف ـ اعتذر اليك يا ابا الطيب وانت عالم بمنزلتك عندي
المتنبي ـ عفـوك ايها الامير
ابو فراس ـ اني لأعتذر الى ابي الطيب
ابن خالويه ـ وأشترك مع الامير بالاعتذار
سيف ـ (يصفّق فيدخل وردان) تبلـغ خازننا ان يصرف لأبي الطيب الف دينـار .
المتنبي ـ ايها الامير ..
سيف ـ وزيدها الفاً آخر (يخرج وردان)

المتنبي ـ :

جاءت دنـانيرك مأمـــونـة
عـاجـــلة الفـــاً على الف

المتنبي ـ لقد آن لك السكوت ايها المتطفل

ابن خالويه ـ ألي موجه كلامك ؟

المتنبي ـ تقحم نفسك باللغة وما انت الا اعجميٌ وأصلك خوزيٌ

ابن خالويه ـ ايها السفيه ..

المتنبي ـ وما لك ولتطاول على لغة العرب الاقحاح

ابن خلويه ـ [وهو يتميز غضباً ، يرمي المتنبي بمفتاح كبير كان في يده] ايها الكذاب الاشر

المتنبي ـ [وهو يرفع يده عن مكان الاصابة الدامي] ماحسبت الامر بالغاً هذا الحد

ابو ذر ـ وما عهدنا الضب رقيق الشعور

المتنبي ـ ومع ذلك ، ايها الامير ..

ان كان سرّكم ما قال حاسدنا
فما لجرح اذا ارضاكم الم

ابن خالويه ـ ويأبى هذا الاشر ان ينقاد للخجل فيفر

ابو فراس ـ ويأبى السكوت عن ايراد سرقاته

ابن خالويه ـ كل قول يقوله مسروق

المتنبي ـ ايها الامير . . .

ابو فراس ـ ألم يسرق هذا من قول بشّار

اذا رضيتم بان نجفي وسرّكم
قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

المتنبي :

اذا ترحّلتَ عن قوم وقد قدروا
الا تفارقهـــم فالراحلون هم

ابو فراس ـ ايها الامير ..

المتنبي ـ

باي حق تقول الشعر زعنفـــه
تجوز عندك لا عُرب ولا عجم
وما انتفاع اخي الدنيا بنـاظره
اذا استوت عنده الانوار والظلم

ابو فراس ـ اسكت ، لا ام لك . ولأنت سارق هذا عن معيل العجلي الذي يقول :

اذا لم اميز بين نور وظلمـة
بعيني فالعينان زور وباطـل

ابن خالويه ـ اي والله ايها الامير

ابو فراس ـ ومثله لأحمد بن ابي مُرّة القائل :

اذا المرء لم يدرك بعينه مـا يرى
فمـا الفرق بين العمي والبصراء

ابن خالويه ـ واين لغة هذا البيت الرفيعة ، من اللغة المفككة التي يقول هذا بها شعره .

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسُّرى
وجُرد المذاكي والقنا والقواضب

ابن خالويه ـ بلى والله انه بعينه ، والسرقة مفضوحة ايها الامير .

المتنبي ـ

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ويكره الله ماتأتون والكرم

ما ابعد العيب والنقصان عن شرفي
انا الثريا وذان الشيب والهرم

ابن خالويه ـ ايها المتعجرف ..

المتنبي ـ

ما كان اخلقنا منكم بتكرمة
لو ان امركم من امرنا امم

شرُّ البلاد مكان لا صديق به
وشرُّ مايكسبُ الانسانُ مايصم

ابو فراس ـ وتراه يذكر الصداقة .

المتنبي :

اري النوى تقتضيني كل مرحلة
لايستقلُّ بها الوخّادة الرسم

ابن خالويه ـ ولا ندري لمَ لايرتحل

سـف ـ اكمل .

المتنبي ـ

انام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جـرّاها ويختصم
وجاهل مدّه في جـهله ضحكي
حـــتى اتته يـد فرّاسة وفـم
اذا نظرتَ نيـوب الليث بارزة
فـــلا تظنن ان الليث يبتسم
ومرهف سرتُ بين الجحفلين به
حتى ضربتُ وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تشهد لي
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ابو فراس ـ يا ايها الوقـــح . ماذا ابقيت للامـــير اذا وصفت نفسك بكل هذا .

ابن خالويه ـ نعم ، ماذا ابقيت لسيف الدولة العظيم
ابو فراس ـ ثم تمدح الامير بما تسرقه من كلام غيرك وتأخذ جوائزه
ابن خالويه ـ ولن يطول انخداع الامير بك
ابو فراس ـ اما سرقت هذا من قول الهيثم بن الاسود النخعي !؟
ابن خالويه ـ اكاد ايها الامير احفظ قول ابن الاسود هذا

ابو فراس ـ لقد قال الاسود :

اعاذلتي كم مهمه قـــد قطعته
اليف وحوش ساكناً غير هائب

ابن خالويه ـ بلى بلى . اني احفظ هذا البيت

المتنبي :

اعيذها نظرت منك صادقة
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ابو فراس ـ هل تعنيني بهذا القول السفيه

المتنبي ـ ايها الامير ..

ابو فراس ـ وانت من انت يادعي كندة حتى تأخذ اعراض اهل الامير بمجلسه

المتنبي :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم

لساني . . .

ابو فراس ـ والله لأنت من اخسى اللصوص

المتنبي ـ لساني بنطقي صامت ..

ابو فراس ـ في هذا المعنى ، ايها الامير ، قال عمرو بن عروة بن العبد :

اوضحتُ في طرق الآداب ما اشتكلت
دهراً ، واظهرتُ إغراباً وابداعا
حتى فتحتُ باعجاز خصصتُ به
للعمي والصمّ ابصاراً واسماعا

ابن خالويه ـ اي والله ، ايها الامير . اني حافظ هذا عن ابن العبد

ابن خالويه ـ ايها الوقح ، اتجسر على قول هذا في حضرة سيف الدولة

المتنبي ـ ايها الامير ..

سيف ـ اريد ان تكمل

المتنبي ـ

فكان احسن خلق الله كلهـــم
وكان احسن مافي الاحسن الشيم

فوْت العـدو الذي يمته ظفـر
في طيّه اسف في طيّه نعـــم

الزمت نفسك شيئاً ليس يلزمها
ان لا يواريهم ارض ولا عـــلم

اكلما رمتَ جيشاً فانثنى هرباً
تصرَّفتْ بك في اثاره الهمـم

عليك هزمهم في كل معترك
وما عليك بهم عاراً اذا انهزموا

يا اعدل الناس الا في معاملـتي
فيك الخصام وانت الخصم والحكم

ابو فراس ـ ايها الامير .. لم أرَ في كل ماقال مايوجب الاهتمام . اما هذا البيت الماكر ، فقد مسخ به قولاً لدِعبِل

سيف ـ (ينظر الي ابي فراس مستفهماً)

ابو فراس ـ لقد قال دعبل :

ولستُ ارجو انتصافاً منك ما ذرفت
عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

المتنبي - [يجلس]

ابو فراس - ماسمعتُ الامير يأذن بالجلوس

المتنبي - [الى سيف الدولة] ايها الامير !!

سيف - [ببرود] هل قلتَ شيئاً

المتنبي - لكن ايها الامير ...

سيف - لا انكر اعطاءك حق الجلوس دون استئذان . غير ان الكياسة تقتضيك الانتظار حتى ندعوك اليه

المتنبي - والله ايها الامـــير ، ماحسبت منزلـــتي متدنيـة لديك الى هذا الحد

سيف - هل قلتَ شيئاً

المتنبي - قلتُ ايها الامير

سيف - إذن ...

المتنبي - [يخرج ورقاً ويقول]

واحـــر قلباه ممن قلبه شبم

ومن بجسمي وحالي عنـده سقم

مالي اكتم حباً قد برى جسدي

وتدعي حب سيف الدولة الامم

ان كان يجمعنا حب بحضرته

فليت انا بقـــدر الحب نقتسم

قد زرته وسيوف الهند مغمدة

وقـد نظرت اليه والسيوف دم

سيف ـ ماذا ترون في مثل هذا

ابو فراس ـ الح وراء هذا ضبًّا يحبو

سيف ـ وما يقول شيخنا ابو ذر

ابو ذر ـ الح ولا اقول ، ايها الامير

سيف ـ ومؤدبنا الكريم !؟

ابن خالويه ـ اعرف الرجل ايها الامير ، رجلا لايشق له غبار في الادعاء والمكر . واراه غير لابث طويلا ليفتضح .

سيف الدولة ـ [بعد اطراق] ... لعلكم على صواب . [يدخل وردان]

وردان ـ ابو الطيب على الباب ، ايها الامير

سيف ـ [بعبوس] فليدخل ـ [يخرج وردان]

ابو فراس ـ هل يسمح الامير بمناقشته في شعر قد يقوله !؟

ابن خالويه ـ ولا ريب في انـــه قائل شعراً ، مـادام يحسب شعره التـافه متسلطاً على الامير

سيف ـ وانه لمخطىء في حسانه .

[يدخل المتنبي]

المشهد الثاني

المتنبي ـ السلام على الامير ورحمة الله

سيف ـ [بعبوس] وعليك السلام

سيف ـ يكفي من هذه القصيدة ـ [يصفق فيدخل وردان]

وردان ـ ايها الامير

سيف ـ ارسل في طلب ابي الطيب على الفور

وردان ـ الطاعة للامير [يخرج]

سيف الدولة ـ لقد والله ندمت على اغضابي اياه في مجلس سبق

ابو فراس ـ من يجرؤ على انتقاد مشاعر سيف الدولة . غير ان الامير قد يعاوده الغضب حين يسمع العجرفة تصلصل في سمعه .

سيف ـ [الى السامري] إقرأ القصيدة التي بعث الينا بها معتذراً إثر اغلاظنا معاملته وتنفيرنا اياه من مجلسنا .

السامرى ـ [يقرأ]

الا مالسيف الدولة اليوم عاتبا
فداه الورى امضى السيوف مضاربا

ومالي اذا مااشتقت ابصرت دونه
تنائف لا اشتاقها وسباسبا

ابن خالويه ـ [يقح]

وقد كان يدني مجلسي من سمائه
احادث فيها بدرها والكواكبا

حنانيك مسؤلاً ولبيك داعياً
وحسبي موهوباً وحسبك واهبا

اهذا جزاء الصدق ان كنتُ صادقاً
اهذا جزاء الكذب ان كنتُ كاذبا

وان كان ذنبي كل ذنب فانه
محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

ابو فراس ـ اتمنى على الامير ان يتفهم بتجرّد ابياتاً تعقب .
سيف ـ [يشير بالقراءة]

السامري :

أذا الجود أعطِ الناس ما انت مالك
ولا تعطين الناس ما انا مالك
أفي كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول

ابن خالويه ـ [يقح]

السامري ـ :

لساني بنطقي صامت عنه عادل
وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل

ابن خالويه ـ [يقح]

السامري :

واتعب من ناداك من لا تجيبه
واغيظ من عاداك من لا تشاكل

ابو فراس ـ ايها الامير ..
سيف ـ اكمل ابا الفرج

السامري :

وما التيه طبّي فيهم غير انني
بغيض الى الجاهل المتعاقل

فخافوك حـــتى مالقتل زيادة
وجاؤوك حـتى ماتراد السلاسل
ارى كل ذي ملك اليك مصيره
كأنك بحر والملوك جـــداول

الفارابي ـ يالروعة هذا البيت !

ابو فراس ـ لعـــله على شيء من ذلك ، غير ان روائع ابي الطيب سريعة الزوال

سيف ـ كيف ذلك !؟

ابو فراس ـ انه ايها الامير ، لايكاد يطرّز حواشي المعاني بجميل الوشي ، حتى يسارع بمخلب الكبر الى هَبْر وَشيهِ الجميل

سيف ـ لامراء في ان الرجل على جانب من الكبر ، الا انه في نظري كبر اشبه بصـــوت الطاووس ، تشفع لتكره بدائع الالوان في ثوبـــه الجميل .

ابو فراس ـ لكن . .
سيف ـ [الى السامري]
إقـــرأ ..

السامري :

اذا امطرتْ منك ومنهم سحائب
فـــوابلهم طلٌّ وطلُّك وابل

سيف الدولة ـ أليس مديحاً هذا يا ابا فراس !؟

سيف ـ بلى والله .

السامري ـ :

يهون علينا ان تصاب جسومنا
وتسلم اعراض لنا وعقـــول

سيف ـ الله الله ـ ياللاباء الرفيع !!
السامري ـ ينتهي ماطلب الامير تدوينه من هذه القصيدة
سيف ـ إقرأ من قصيدة اخرى . فاني والله لاامل هذا الشاعر الفحل ، بل الشاعر الفذ

ابو فراس ـ اتمنى ياعماه الا تأخذني والشعراء الحاضرين ، بالظن اننا الحساد الذين يعنيهم ابو الطيب

سيف ـ هكذا يا ابن اخي . خفف تحاملك على ابي الطيب . ثم اني ما قلت إلا انكم تدلون على كبر في طبعه .

ابو فراس ـ يسرني هذا القول من الامير . اذ اني لا اضمر للرجل حقداً. وما كان قصدي في كل ماسمع الامير مني ، الا الرغبة في ان يُخفف ابو الطيب من غلوّ قد لا يبعد ان يصيب مرة شعور الامير بخدش .

سيف ـ هل لك بالقراءة يا ابا الفرج

السامرى ـ :

رأى الروم من ترجي النوافل كلها
لديه ولا ترجى لديه الطوائل

السامري ـ [يقلّب صفحات السجل]

سيف ـ ووالله مارأيت سهماً يسدد الى الرجـــل في قوس الافتراء الا ولاح لي رابضاً باطمئنان وراء مجنٍّ من منيع القول ... إقرأ ، ابا الفرج

السامري ـ [يقرأ]

فدتك ملوك لم تسمّى مـواضياً
فانك ماضي الشفرتين صقيـــل

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة
ففي الناس بوقات لهـا وطبـول

الفارابي ـ والله انه لقول جليل

سيف الدولة ـ وما ترى علينا ان نفعل ، يا ابا نصر ، في رجل يرفعنا الى ذروة الفخر ، ويقذف الى الهوان ، في سبيلنا ، بمن هم ذوو بأس وسلطان .

ابن خالويه ـ والله ايها الامير ...

سيف ـ اكمل القراءة .

السامري ـ :

انا السابق الهادي الى ما اقـوله
اذا القـول قبل القائلين مقول

وما لـكلام الناس فـــيما يريبـني
اصولٌ ولا للقائلين اصـول

سوى وجـع الحساد داوٍ فانه
اذا حـلّ في قلب فليس يزول

ولا تطمعن من حاسد في مودة
وان كنت تبديهـــا له وتنيل

سيف ـ اكمل

السامري ـ :

ودع كل صوت غير صوتي فانني
انا الصائح المحكي والآخر الصدى

ابو فراس ـ ياللتبجح والجحود
سيف الدولة ـ لاتقل مثل هذا قبل ان تسمع ما يلي هذا البيت .

السامري :

تركتُ السُرى خلفي لمن قلّ ماله
وأنعلت افراسي بنعماك عسجدا

سيف ـ اين الجحود بعد هذا يا ابا فراس !؟.. ثم اسمع ..

السامري ـ :

وقيدتُ نفسي في ذراك محبـــة
ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

ابو فراس ـ ولكن هذا البيت مسروق
سيف ـ تعود الى ادعاءٍ واه لاتدعمه حجة ، ولا تطلبون الرجل إلا به
ابو فراس ـ انه قول ابي تمّام بعينه

همي معلّقـــة عليك رقابهـا
مغلولة ، إن الوفاء إسارهـا

سيف ـ انا السابق الهادي الى ما اقوله .. إقرأ من هذه القصيدة .

سيف ـ لعل الامر كما رأيت يا ابا نصر

الفارابي ـ ولو لم يقصد ذلك ابو الطيب لما قال في البيت الذي تلاه :

فسار به من لايسير مُشمِّراً
وغنّى به من لايغـــني مغرداً

وما دام قد جعل الدهرَ مُنشِدَ شعره ، لو اخـذنا بالتشكيل الاول ، فانه لاتبق حاجة لأيراد البيت الثاني ، اذ بمثل ذلك يكون كأنه قد انتزع شعره من الدهر الابدي ، ليلقي به بين يدي انسان فانٍ لايشعر الدهر بوجـــوده . فالصحيح في رأيي ان يقال : اصبح الدهرَ مُنشَدا

سيف الدولة ـ ماأعظم اعجابي بأبي نصر !
الفارابي ـ ولعلّي مخطىء فيما رأيت
ابو فراس ـ لكن مثل هذه الاقوال ، ايها الامير ، لاتخفي كِبْرَ المتنبي المغرور وعجرفته .

سيف ـ ابا فراس !
ابو فراس ـ ايها الامير . . .
سيف ـ احب ان تقرأ يا ابا الفرج

السامري ـ [يقرأ]
أجزني اذا أُنشِدتَ شعراً فانما
بشعري اتاك المادحون مُرَدَّدا

الرفاء ـ ياللكبر !
ابو فراس ـ افهذا مما يطاق ، ايها الامير !؟

سيف – وليتك رأيت الروعة في هذا البيت الذي يقطع الرؤوس وهو مغمد .

ابو فراس – أستمهل الامير حتى يسمع ما يعقب

سيف – إقرأ

السامري – :

وما انا الا سمهريةٌ حملتـــه
فزيّن معروضاً وراع مسددا

ابو فراس – ايها الامير ..

السامري –

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعراً اصبح الدهر مُنشِدا

الفارابي – لعل ابا الفرج قد اخطأ تصريف عجز البيت ايها الامير

سيف – كيف يا ابا نصر !؟

الفارابي – البيت الذي يعقب هذا البيت ، ايها الامير ، يدعو الي الظن بان ابا الطيب قد نظم عجز البيت على هذا النحو :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعراً اصبح الدهرَ منشَدا

اي ان الشعر يصبح منشَداً مدى الدهر ، لا ان الدهرَ هو الذي يصبح منشِداً

ابو فراس ـ سوف اقول ايها الامير ، بعد ان نستمع الى ابيات تعقب هذا البيت .

ابن خالويه ـ وبعد ذلك اقول بدوري

ابو ذر ـ وانا ايضاً

سيف ـ اراكم تستهينون بشعر الرجل ، ولكنكم مع ذلك تحفظون قصائده على ما رتّب فيها ابياتها ، وما انا دارياً بما اعلل هذه الحال

ابو فراس ـ لعل الامير مدرك من ابيات تأتي ، سبب حيرته

سيف ـ تريد ان شعره منفرد بالروعة والسمو !؟

ابو فراس ـ يلوح للامير سموّاً ، واراه غطرسة وتعالياً ، ولسوف يسمع الامير كيف يتعالى هذا الفدم على سيف الدولة العظيم

سيف ـ إقرأ ابا الفرج

السامري ـ [يقرأ]

اذا شدَّ زندي حسن رايك فيهم
ضربتُ بسيف يقطع الهلم مغمدا

ابو فراس ـ أتمديح هذا ؟!. رجل يصـــول والسيف في يده ، وفي حضره امير عظيم !!

سيف الدولة ـ بلى والله ، انه مديح . بل هو من اشرف المدح . غير انك تأبى الفهم ان السيف الذي في يده هو قوة مستمدة مني . وان يده لا تقوى على حمل السيف ان لم اشد زنده بحسن رأيي فيه

ابو فراس ـ هذا الرجل ، ايها الامير ..

سيف ـ الله الله

السامري ـ اذا انت اكرمت الكريم ملكته

سيف ـ وان انت اكرمت اللئيم تمردا

السامري ـ ووضع الندى

سيف ـ لافض فوك يا احمد

السامري :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا

مضرٌ كوضع السيف في موضع الندا

سيف ـ الله الله . من يسمع فينصف ولا يكبر !

الفارابي ـ والله انه لحكيم

سيف ـ إقرأ

السامري ـ :

ولكن تفوق الناس رأياً وحكمة

كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتـــدا

يدقٌ على الافكار ما انت فاعل

فيُترك ما يخفي ويؤخذ مابدا

ازل حسد الحساد عني بكبتهم

فانت الذي صيَّرتهم لي حسدا

سيف ـ ماتراني فاعلاً وانا اسمع مثلَ هذا البيان الساحر والمنطق المفحم .. مايقول مؤدبنا ، وشيخنا ، والحارث !؟

سيف ـ واني لمتشبث بذلك ، بين امواج من الحقد عارمة ..

ابن خالويه ـ والله ايها الامير ..

سيف ـ إقرأ ابا الفرج . ولنصغِ الى اروع مانظم شاعر حتى الآن

السامري ـ [يقرأ]

لكل امرىء من دهره ما تعودا
وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
وان يكذب الارجافَ عنه بضده
ويمسي بما تنوي اعاديه اسعدا

سيف ـ وان يكذب الارجاف !!.. هل تراني افعل ذلك !؟..

السامري :

ومستكبر لم يعرف الله ساعة
رأى سيفه في كفه فتشهدا
هو البحر غص فيه اذا كان ساكناً
على الدر واحذره اذا كان مزبدا
فاني رأيت البحر يعثر بالفتى
وهذا الذي يأتي الفتى متعمدا
تظل ملوك الارض خاشعة له
تفارقه هلكى وتلقاه سجَّدا
رأيتك محض الحلم في محض قدرة
ولو شئتَ كان الحلم منك المهندا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم
ومَن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

سيف الدولة ـ كل مايقول هذا الرجل وقف عليه وحده . لايقوى على مجاراته فيه احد

ابو فراس ـ لكن ..

سيف ـ غير اني رغم كل ذلك ، جفوته مجاراة لكم ، وجافيته حتى حين جاءني بالامس معتذراً

الفارابي ـ اجل ، ايها الامير ، واجرؤ على القول ان الامـــير قد اغلظ له .

سيف ـ رغم انّ القصيدة التي جاء بها معتذراً ، كانت من اروع وابلغ مانظم .

ابو فراس ـ إن يشأ الامير ...

سيف ـ ولقد جاء يعتذر عن ذنب لم يأته

الفارابي ـ عجباً ايها الامير !

سيف ـ ولكأني بالقصيدة تلك كانت مسدَّة للتنديد بموقفي منه

الفارابي ـ لعلَّها ...

سيف ـ :

اذا انتَ اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ابو فراس ـ ليت الامير يوقف هذا الاحمق عند حده

الفارابي ـ اني يامولاي اقول صادقاً ان ابا الطيـ لايداخله اي ريب لافي نبلك ولا في محبته اياك

الاعرابي ـ الا جزى الله الامير خير جزاء

سيف ـ عد الينا حين يضيمك الدهر العقوق

الاعرابي ـ احسن الله الى الامير واطال بقاءه

وردان ـ هيا بنا [يخرجان]

سيف الدولة ـ للحق انه شعر صادق ، ومن جيد الشعر

ابو فراس ـ بِعُشْر مايعطي الامير المتنبي في العام ، يستطيع ان يكفل السعادة لعشرين رجلا مثل هذا الاعرابي

سيف ـ ابا فراس !

ابو فراس ـ ان بيتاً واحداً قاله هذا الاعرابي ، يعدل قصيدة يكدُّ المتنبي في نظمها شهراً

سيف ـ ازل حسد الحساد عني

ابو فراس ـ والله ايها الامير ، ما اكاد اراك مقتنعاً ببراهين تُقدَّم على خبث المتنبي ، حتى يبدو كأن العطف يعاودك عليه .

سيف ـ وما قتل الاحرار كالعفو عنهم

السامري ـ ومن لك بالحُر الذي يحفظ اليدا

ابو فراس ـ ايها الاميرُ !

سيف ـ فلتقرأ هذه القصيدة يا ابا الفرج

السامري ـ حسناً ايها الامير [يقلّب في السجل]

سيف ـ وترى يابن اخي اني معذور في ميلي الى هذا النابغة الفذ

ابو فراس ـ لا يُنكَر يا عمّاه ان شعر المتنبي على قسط من الجودة ، غير ان . .

الاعرابي ـ قلت

سيف ـ أتسمعنا ؟!

الاعرابي ـ ماأتيت الا لهذا ايها الامير

سيف ـ ومن اين اتيت

الاعرابي ـ يضرب اهلي على فراسخ عديدة شرقيّ حلب

سيف ـ بالشدة حاجتك اذن !؟

الاعرابي ـ وما قطعت الفراسخ تلك الا وتقطعت نعلاي

سيف ـ ابشر بحسن جزاء

الاعرابي ـ هل أسمع الامير صوت حاجتي

سيف ـ نعم . نحب سماعها ونحن نراها

الاعرابي :

انت عـــليٌّ وهـــذه حلب
قد نفـــد الزاد وانتهى الطلب

بهذه تفخر البـــلاد وبالاميـ
ـر تزهي على الورى العـــرب

وعبدك الدهـــر قد أضرّ بنا
اليك من جور عبـدك الهرب

سيف ـ [بين اصوات الاستحسان] احسنت ، احسنت والله . . . ياوردان !

وردان ـ أيها الامير !

سيف الدولة ـ تذهب بهذا الرجل الى حيث يعطى مائتي دينار

سيف الدولة ـ اعرابي كريم شجاع شريف ، يعيش في البؤس وهو مع ايمانه بالله ، قنوع صبور . وعلج من الروم ، لئيم رعديد خسيس ، يعيش في الرخاء على وهن ايمانه وضلال اعتقاده

ابو ذر ـ انه قضاء الله ايها الامير

سيف ـ لعمري ما اندفعتُ مرة الى مقارعة الروم ، وابليت بعون رجالي خير بلاء ، الا وصورة اعرابينا نصب عينيَّ

النامي ـ كل نبل مستوحى من سيف الدولة العظيم

[يدخل الاعرابي مع وردان]

الاعرابي ـ [ذري الهيئة] فتح الله لسيف الدولة ونصره

سيف ـ ما ابلغ هذه التحية

الاعرابي ـ وان الله فاتح لسيف الدولة الامصار

سيف ـ هل ترانا لامحين وراء حالك ، مادفع الينا بك !:

الاعرابي ـ والله ايها الامير ، لقد جفَّ الضرع وصوى الزرع ، ومَن للعجفاء غير الامير سيف الدولة

سيف ـ ألك عيال !؟

الاعرابي ـ خمسة صبيان أُعِدُّهم للقتال في جيش الامير

سيف الدولة ـ ياللبلاغة !. واين غباء اوائك العلوج من فصاحة هذا الاعرابي

الاعرابي ـ ثم ان الدهر قد اساء الينا ايها الامير

سيف ـ هل قلتَ شيئاً تبياناً لحالك

الفارابي ـ نعرف الامير جواداً سخياً ، لا يضنّ بالمال على اي شاعر يأتيه وان بقصد التكسب السافر

سيف ـ ولن امنع عوناً عن صاحب حاجة مادام في قـــدرتي .. اما ابو الطيب فان لي فيه رأياً مختلفاً

[يكون قد دخل الغلام وردان]

سيف ـ ماوراء وردان !؟

وردان ـ في الباب رجل يلحف لمقابلة الامير ، ويقول انه شويعر

سيف ـ ولمَ لم تدخله

وردان ـ والله ايها الامير لولا ان يمرَّ وقت وهو يدافعني على البـاب ، لما جسرتُ على طلب الاذن بادخاله عليك

سيف ـ ولمَ ذلك

وردان ـ ان ثوبه الرث وخفيّه البالين ...

سيف ـ ادخل الرجل في الحال

وردان ـ لعل قذارته ...

سيف ـ اسرع به الي

[يخرج وردان]

سيف الدولة ـ لكم احزن لرؤية عربي في مثل الحال التي وصف الغلام

الفارابي ـ ولكم انت كريم النفس ايها الامير

سيف ـ كلما لمح اعرابياً اتمثل علجاً من علوج الروم

ابن خالويه ـ ماوراء هذه المقارنة ايها الامير !!

تنكبُهم والسابقات جبالهم
وتطعن فيها والرماح المكايد
فلم تبقَ الا من حماها من الظبا
لمى شفيتها والثديُّ النَّواهد
وتبكي عليهن البطاريق في الدجى
وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين اهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

سيف ـ لعمر الحق ماسمعت شاعراً ولا سمعت ان شاعراً جاء بمثل هذا القول الرائع .

ابو فراس ـ هل يأذن الامير بان اتكلم
سيف ـ اجل
ابو فراس ـ وهل يَعِدُ الامير بالعفو عما قد يجده نبوّاً في قولي
سيف ـ لقد عفوت فيما مضى عن كثير من جارح القول
ابو فراس ـ ان هذا المتشدق كثير الادلال عليك
سيف ـ كثير الادلال !؟
ابو فراس ـ انك تعطي دعي كندة ثلاثة آلاف دينار كل سنة ، عن ثلاث قصائد ينظمها في سلك كثير العُقَد ، لسرقته اياها من كل شاعر فتراً

سيف ـ يعجبني الوصف يا ابن اخي ولا يعجبني القصد
ابو فراس ـ لو ان الامير فرّق مائتي دينار على عشرين شاعراً لأتوه بما هو خير من شعر هذا الدعي

ولا تعجبا ان السيوف كثيرة
ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ابو فراس ـ اني اعترض
سيف ـ لتلوّح بالسرقة دون ريب

ابو فراس ـ هذا مسروق من قول الفرزدق القائل

وقد تلتقي الاسماء والناس والكنى
كثيراً ولكن فرّقوا في الخلائق

سيف ـ اكمل ابا الفرج

السامري ـ :

ولما رأيتُ الناس دون محلّه
تيقنت ان الدهر للناس ناقـــد
واشقى بلاد الله ما الروم اهلهـا
بهذا وما فيهـا لمجدك جاحـــد
شننتَ بها الغارات حتى تركتها
وجفن الذي خلف الفرنجة ساهد

ابو فراس ـ هل يسمح الامير ...
سيف ـ اكمل

السامري ـ [يقرأ]

اخو غزوات ماتغيب سيوفـــه
رقابهم وسيحـان جامـــد

السامري ـ عواذل ذات الخال !

سيف ـ عينها .. واني لأراكم تعذلون الرجل وتستهينون به بينما لاتخلوا اذهانكم جميعاً من معظم شعره .

ابو فراس ـ اننا ايها الامير ...

سيف ـ إقرأ ابا الفرج .. ثم أرغب بان لايعترض احدكم جزافاً

السامري ـ [يقرأ]

عواذل ذات الخال فيّ حواسد
وان ضجيع الخود مني لماجد
يردُ يداً عن ثوبها وهو قادر
ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد
متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا
محبٌ لها في قربها متباعد
اذا كنت تخشى العار في كل خلوة
فليمْ تتصبك الحسان الخرائد
ألح علي السقم حتى ألفته
وملّ طبيبي جانبي والعوائد
اهم بشيء والليالي كأنها
تطاردني من كونه واطارد
وحيد من الخلان في كل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد
خليليّ اني لا اري غير شاعر
فليمْ منهم الدعوى ومني القصائد

وقد تقبل العذر الخفيّ تكرّماً
فما بال عذري واقفاً وهو واضح

ابو ذر ـ لقد بالغ الامير في ادلاله حتى أُخذ باقواله

سيف ـ اني والله لألمح صورته في اكثر الاقوال ، واسمع صوته فيما يقال وما لا يقال ... ثم ، خلافاً لما قال شيخنا الفاضل ، اراني قد منحتكم الدالّة علي دونه

الفارابي ـ عجباً ، ايها الامير

سيف ـ إسمعه ابا نصر في هذا القول :

وكم ذنب مُوَلّدة دلال
وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جرّه سفهاء قوم
وحلّ بغير جارمه العذاب

ابو فراس ـ والله ايها الامير ، ماقال هذا الرجل قولاً حلالاً

سيف ـ وما تريد بهذا

ابو فراس ـ اريد انّ جُلّ اقواله مسروقة

سيف ـ حجتك

ابو فراس ـ في معنى ماذكر الامير ، هذا بيت للبحتري يقول :

تصدّ حياءً ان نراك بأعين
جنى الذنب عاصيها فليم مطيعها

سيف الدولة ـ [بعد اطراق قصير ، للسامري] احب ان تتلو مما نظم ابو الطيب في واقعة خَرْشَنة

ابو فراس ـ والله ايها الامير . لو ان الامر في يدي ، لما سمحتُ بان يخدش الاّفاك سمع الامير بقحته

سيف ـ لكم تتحامل على الرجل

ابو فراس ـ لا اجد تحاملا في ان ادلّ على سماجة

سيف ـ فلنستمع اذن الى قول له ، وتدلّ على السماجة فيه

ابو فراس ـ لو اني ...

سيف الدولة :

لسيف الدولة الوضاء تمي
جفوني تحت شمس ما تغيب
فاغزو من غزا وبه اقتداري
وارمي من رمى وبه اصيب
وللحساد عذر ان يشحّوا
على نظري اليه وان يذوبوا
فاني قد وصلت الى مكان
عليه تحسد الحدقُ القلوب

ابن خالوية ـ ماسمعتُ بمن هو اشد مكراً من هذا الجعفي القذر

سيف الدولة ـ لقد نزلتُ عند رغبة اكثركم وتنكرت لمن تختارون لمنعته اشنع النعوت ... لكن ما ترونني فاعلا برجل يسوق الي القول :

بأدنى ابتسام منك تحيا القرائح
وتقوى من الجسم الضعيف الجوارح
ومن ذا الذي يقضي حقوقك كلها
ومن ذا الذي يرضى سوى من تسامح

سيف ـ ان لم أسعد اليوم بسماع نظمك ، فاني بسماع نطقك اسعد

الفارابي ـ بوركت فيك حرة شمائلك ، ايها الامير

سيف ـ وانتظر سماع قول الامام

الفارابي ـ لقد قال :

لو ان بالحيل الفتى لوجـــدتني
بنجـوم افـــلاك السماء تعلّقي

لكنّ من رُزق الحجا حُرم الغنى
ضـــدان مفترقان اي تفرق

فاذا سمعتَ بان مـحـروماً اتي
ماءً ليشربه فغاض فصـــدّق

او ان محظوظاً غدا في كفه
عوداً فأورق في يديـه فحقق

ومن الدليل على القضاء وكونه
بوس اللبيب وطيب عيش الاحمق

سيف ـ غمزة اقوى ، من قناة المرزوقين . لكن هذا القول لعمري من طرف ماسمعت في المعنى الذي نحن بصدده

الفارابي ـ الا رحم الله الامام الحكيم

سيف ـ ثابر يا ابا الفرج

السامري ـ لقد انتهى ما اراد الامير أن أدوّنه من القصيدة

سيف ـ هل منكم من لديه ما يقول !؟

ابو فراس ـ وهل ترك لنا الدهر مجالاً لأن نقول

سيف ـ أحار في امرك مع الرجل يا ابا فراس

ابو فراس ـ احفظ من قوله :

ينال الفتى من دهره وهو جاهل
ويُكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا
اذن هلكت من جهلهن البهائم

سيف الدولة ـ ان كان المتنبي قد سرق ابا تمام ، فلا ريب في ان ابا تمام قد نهب ابا اسحق الصابي

ابو فراس ـ ايها الامير !
سيف ـ قال ابو اسحق

اذا جمعتَ بين امرأين صناعة
فأحببتَ ان تدري الذي هو احذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت
به لهما الارزاق حين تفرّق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع
وحيث يكون العلم فالرزق ضيّق

الفارابي ـ طريف هذا القول ، ايها الامير
سيف ـ واقبله معجباً به وان كان في استطاعة الخبث ان يغمز بـه من قناة المرزوقين .

الفارابي ـ إن يأذن لي الامير ، اورد في هذا المعنى ابياتاً مشرقة للامام الشافعي .

احرص على الموت توهب لك الحياة

سيف ـ الا يُرى في هذا ان الشجاع مرهوب لايحام حوله ، او انه اذا مالقي منيته بقي ذكره !؟

ابو ذر ـ هذا والله تفسير قويم

الفارابي ـ اي انه اذا ما استشهد صار حياً

ابو ذر ـ احسنت ابا نصر . فلقد قال الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً . بل احياء عند ربهم يُرزقون . »

سيف ـ اكمل ابا الفرج

السامري ـ [يقرأ]

فحب الجبان النفس اورده التقى
وحب الشجاع النفس اورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد
الى ان يرى احسان هذا لذا ذنبا

سيف ـ ما اكثر مايستوقفنا ابو الطيب في قصائده

ابو فراس ـ هل رأى الامير في هذا البيت مايستوقف الانتباه

سيف ـ لن اذهب الى الشرح مخافة ان يأخذ ابو فـــراس ابا الطيب بسرقة جديدة

ابو فراس ـ والله ايها الامير لاادري ان كان لقول ابي تمّام صـــلة في هذا المعنى

سيف ـ وما قال ابو تمّام !؟

سيف ـ ولئن اقدم الشجاع فما اقدامه الا دفاعاً عن نفسه التي يخاف عليها ان هو قعد عن الحرب . فكأنه باظهار الشجاعة يطلب قسر الناس على اتقائه وفي ذلك اتقاء المنايا ودوام بقائه .

الفارابي ـ ما اعظم افتخارنا في ان نكون في مجلس الامير ، الشاعر الاريب .

سيف ـ واني لأعتز بان يكون ابو نصر الفارابي مقرّباً منا .

الفارابي ـ الشكر للامير الكريم

سيف ـ واني لأسألك يا ابا نصر ان كنت تذكر ، بين مايذخر بهذهنك الفياض من وافر المعرفة ، ان تسمعنا قولاً او شعراً ، قلته او سمعتـــه في معنى التفسير الذي سمعت الآن .

الفارابي ـ اجل ايها الامير .. اذكر بيتاً الحصين بن الحمام يقول فيه

تأخرتُ استبقي الحياة فلم اجد
لنفسي حيـاة مثل ان تقدما

ابو فراس ـ لعل المتنبي سرق قوله من الحصين

الفارابي ـ واحفظ للخنساء قولها

نهين النفوس وهون النفـــو
س يوم الكريهـــة ابقى لهـا

سيف ـ ولعل الخنساء سرقت من الحصين .. أليس يا ابا فراس ؟!

الفارابي ـ وسمعتُ ، ايها الامير ، ان الصديق رضي الله عنه ، قال لخالد بن الوليد حين ودّعه لحرب اهل الردّة :

فحب الجبان النفس اورده التقى
وحب الشجاع النفس اورده الحربا

سيف ـ لله بصيرة نفاذة حكيمة

السامري ـ ويختلف الرزقان ...

سيف ـ هل لدى شيخنا الفاضل اي تفسير لهذا البيت الحكيم !؟

ابو ذر ـ معنى البيت ظاهر ايها الامير ، واني لا اري فيـــه ما يلفت الانتباه .

سيف ـ اتغاضى عن جرحك شعوري بغير قصد

ابو ذر ـ ايها الامير !!

سيف ـ هل لأحد من الشعراء ، وأُخصُّ ابا فـــراس ، ان يفسر البيت ذاك !؟

ابو فراس ـ كما رأى الشيخ ابو ذر ، ارى ، ايها الامير

سيف ـ ... اني مفسر قول من أُقاد الى المجاراة في عذله

ابو ذر ـ نحن يابنيَّ ...

سيف ـ هذا البيت ؛ فحب الجبان النفس . معناه ان كلا من الشجاع والجبان سواء في حب النفس وان اختلف فعلاهما

الرفاء ـ هذا صحيح ، ايها الامير

ابن خالويه ـ صحيح

سيف الدولة ـ الجبان ، حباً بنفسه وابقاءً على حياته ، اتقى الحـرب . وكذلك الشجاع اقدم على الحرب ، حباً بنفسه ايضاً .

ابو ذر ـ بلى والله

ابو فراس ـ أن سمح الامير قلت بيتين ، فيهما من الجناس ما يعجز عنه .
سيف ـ هات ابا فراس
ابو فراس ـ والبيتان للامير سيف الدولة
سيف ـ ما تقول يا ابن اخي !؟
ابو فراس ـ :
ليلي وليلى نفى نومي اختلافهما
حتى لقد تركاني في الهوى مثلا
الناشىء ـ بابي انت ايها الامير
ابو فراس :
يجود بالطول ليلي كلما بخلت
بالطول ليلى وان جادت به بخلا
سيف ـ [بين اصوات الاستحسان] ما ابرعك في التسلط يا ابن اخي
ابو فراس ـ والله ...
سيف ـ فلقد بلغتَ والله ما اردتَ من تحويلي عن الاسترسال في النقاش .
ابو فراس ـ لعليٍ .
سيف ـ [الى السامري] تابع القراءة يا ابا فرج ، عسانا نجد في بيت من القصيدة مأخذاً نأخذه على ابي الطيب
السامري ـ [يقرأ]
وَفتّانة العينين قتّالة الهوى
اذا نفحت شيخاً روائحها شبّا
فياشوق ما ابقى ويالي من النوى
ويادمع ماأجرى وياقلب ما اصبى
اري كلنا يبغي الحياة لنفسه
حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا

لشعراء آخرين

الرفاء ـ بالحق نطق الامير ، وهذا المتنبي ليس ممن يُذكر حين تذكر الفحول

سيف ـ هل تحفظ لفحل ما ، قولاً في معنى قصر اوقات السرور !؟

الرفاء ـ احفظ للبحتري بيتاً

سيف ـ هاته

الرفاء ـ :

فلا تذكرا عهد التصابي فانه
تقضّى ولم نشعر به ذلك العصر

سيف ـ معنى مبتذل هيّن

النامي ـ اني احفظ بيتاً لتميم بن النُوَيْرَة

سيف ـ قل

النامي ـ :

فما تفرقنا كأني ومالكاً
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

سيف ـ هذا يفضل قول البحتري جودة ، ان صحت نسبة البيت الى البحتري .

ابن خالويه ـ انما بيت البحتري اقوم لغة ايها الامير .

سيف ـ اللغة متروكة للعلاّمة بن خالويه

ابن خالويه ـ الشكر للامير

سيف ـ واني حافظ في معنى قصر اوقات السرور بيتين جميلين .

سيف ـ ما اعجب ما صنع ابو الطيب اذن

ابو فراس ـ الصنع صنع الامير ، لاصنع متشدق مغرور

سيف ـ ماطلبت اليكم شرح حال انا بها ادرى . بل طلبت تفسيراً لبيت من الشعر .

النامي ـ في البيت اسف على فـــوات وصل . وما مثل هـذا بقيّم او طريف .

ابو فراس ـ مثل هذا ارى ايها الامير

سيف ـ أأفسّر لكم !؟

الناشيء ـ نتمنى لو تفضل الامير

سيف ـ اراد ابو الطيب ان يتذكر وصلا قصرت ايامه حتى كأنه لم يكن، لسرعة انقضائه

ابو فراس ـ لا نسمع جديداً

سيف ـ ويتذكر عيشاً كان وشيك الانقطـاع كأنه كان يقطعه وثباً .

ابو فراس ـ وما في هذا ياعمّاه !؟

سيف ـ جملة واحدة تفسره ، لقد اراد ان اوقات السرور تمـــر كلمح البرق

ابو فراس ـ واين يكمن الابتكار في ذلك ايها الامير

سيف ـ انه في الصورة المعروضة يا ابا فراس

ابو فراس ـ والله ..

سيف ـ قول ابي الطيب جيد في هذا المعنى ، وان فاقته جـودة اقوالٌ

ومن صحب الدنيا طويلا تقلّبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وكيف التذاذي بالاصائل والضحى
اذا لم يَعُد ذاك النسيم الذي هبّا
ذكرت به وصلا كأن لم افز به
وعيشاً كأني كنت اقطعه وثبا

سيف الدولة ـ الله الله .. والله لولا طبع الصلف فيه ، لما كان احد احب منه الى قلبي ، ولا ارفع منزلة عندي

ابن خالويه ـ صلف وحسب ايها الامير ! انه رجل متعجرف لايطاق

سيف ـ وددت لو تنكبتَ هذا القول لتفسّر معنى البيت

ابن خالويه ـ اني باللغة اعرف ايها الامير

سيف ـ والشعراء !!. اما بينهم من يفسر !؟.. الشاعر الفحل ابو العباس النامي ، مثلا !

النامي ـ اجرؤ على القـــول ان الامير صيّرنا نحن الفحول ، اشبه بالاناث

السري الرفاء ـ لا اناثا وحسب ، بل اناث خنساوات

سيف الدولة ـ [مبتسما] هذا والله عجب . واعجب منه ان ينطق به مثل ابي العباس ، والسرّي الرفاء

الرفاء ـ والله ...

سيف ـ وما يقول ابو عبدالله الناشيء !؟

الناشيء ـ اني أتحزب لصديقيّ ، ايها الامير

مضت الدهور وما اتين بمثـــله
ولقد اتى فعجزن عن نظـرائه

سيف ـ لله انت يا ابا الطيب
ابن خالويه ـ لو تذكّر الامير صلَفَه ما رأي ترفه
سيف ـ واقوالكم تغضبني عليه وفي قلبي ميل اليه
ابو ذر ـ ايها الامير ...
سيف ـ [للسامري] هات مما دوّنت في الباء . فلعل من يُنصف بين الشعراء .

السامري ـ الطاعة للامير
سيف الدولة ـ فلتقرأ ماطلبتُ اليك تدوينه من قصيدتـه في ذكرى مرعش

السامري ـ فديناك من ربع !؟
سيف الدولة ـ هذا مطلع القصيدة
السامري ـ [يقرأ]

فديناك من ربع وان زدتنا كربا
فقد كنتَ فيه الشرق للشمس والغربا

وكيف عرفنا رسمهمن لم يدع لنا
فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبّا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة
لمن بان عنه ان نُلمَّ به ركبـا

سيف الدولة ـ ما كان اروع ابا الطيب لولا ما أذكّر به من صلفه وكبريائه

ابن خالويه ـ اطال الله بقاء الامير . ان ما ..

سيف الدولة ـ [للسامري] اقرأ قول ابي الطيب حين استزدناه من روائعه .

السامري ـ [يقرأ]

عذل العواذل حول قلب التائه
وهوى الاحبة منه في سودائه

وبمهجتي يا عاذلي المَلْك الذي
اسخطتُ كل الناس في ارضائه

ان كان قد ملك القلوب فانه
ملك الزمان بأرضه وسمائه

سيف ـ هل يصغي شيخنا المفضال!؟

ابن خالويه ـ ايها الامير ..

سيف ـ اكمل قراءتك

السامري ـ [يقرأ]

الشمس من حسّاده والنصر من
قرنائه والسيف من اسمائه

اين الثلاثة من ثلاث خصاله
من حسنه وإبائه ووفائه

أأحبـــه واحب فيه ملامـــة

ان الملامـــة فيه من اعدائه

ما الخِلُّ الا من أوَدَّ بقلبـــه

وأرى بطرف لا يرى بسوائه

ان المعين على الصبابة بالاسى

اولى برحمـــة ربهـا واخائـه

لاتعذل المشتـاق في اشواقـــه

حتى يكون حشاك في احشائه

ان القتيل مضرجاً بدموعـه

مثل القتيل مضرجاً بدمائـــه

وُقيَ الامير هـوى العيون فانه

ما لايزول بأسه وسخـائـــه

اني دعوتك للنوائب دعـــوة

لم يُدعَ سامعهـا الى اكفائه

فاتيتَ من فوق الزمان وتحته

متصلصلا ، وأمامـــه وورائه

مَن للسيوف ان تكون سميَّها

في اصله وفرنـــده ومضـائه

سيف الدولة ـ فليتفضل الشيخ ابو ذر

ابو ذر ـ

يالائمي كف الملام عن الذي
اضناه طول سقامه وشقائه

ان كنتَ ناصحه فداوِ سقامه
وأعنه ملتمساً لأمر شفائه

حتى يقال بأنك الخيلّ الذي
يرجي لشدة دهره ورخائه

او لا فدعه فما به يكفيك من
طول الملام فلست من نصحائه

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي
في حبه لم اخش من رقبائه

سيف ـ [الى السامري] اقرأ الآن اجازة ابي الطيب
السامري ـ حسناً ايها الامير
سيف ـ وسيرى شيخنا الحق في ان تدوّن القصيدة في الهمزة

السامري ـ [يقرأ]

القلب اعلم يا عذول بدائه
واحق منك بجفنه وبمائه

فوَمَن احب لأعصينّك في الهوى
قسماً به وبحسنه وبهائه

المشهد الاول

في مجلس سيف الدولة

سيف الدولة ـ [الي السامري كبير كتّابه] .. بلى . لقد اخطأتَ في ادراجها في الهاء

السامري ـ [بين يديه سجل] لقد اشار علي الشيخ ابو ذر

سيف الدولة ـ [الى ابي ذر] ينظم شيخنا ولا يمحّص

ابو ذر ـ وأحقٌّ منك بجفنه وبمائه .. الا يرى الامـــير ان الهاء جلية واضحة ؟!

سيف ـ لا ارى الهاء من صلب الكلمة ، بل ارى في تثنّي الهمزة وكأن المـاء ينساب في منعطف جدول غزير . فالهمزة اذن رويٌّ القصيد .

ابو ذر ـ لحاالله هذا المتنبي الثقيل . انه ثقيل في حضوره وغيابه .

سيف ـ ولمَ ! ؟ . . ألستَ انت الذي سألنـــا ان نطلب الى ابي الطيب اجازة قصيدة نظمتَها !؟

ابو ذر ـ اجل ايها الامير

سيف ـ لمَ اذن تستثقل ابا الطيب !. لكن لا ارى بأساً في ان تسمعنـا القطعة التي نظمتَها ، ثم نعود فنستمع الى اجازتها من قبل ابي الطيب

ابو ذر ـ لكم انا نادم على ما فعلت

ملكه ويرد الاعاجم عن بني دينه ولغته .

ولقد استطاع ان يقف وحده خلال عشرين عاماً ، شوكة وخـازة في جنب الروم ، وسيفاً مصلتاً يذود عن العروبة والاسلام .

ثم انه قد اضاف الى مآثر شجاعته وبطولته مآثر من الكرم والسماحـة ، فوق ما كان متّصفاً به من شاعرية ونبـوغ . ولذلك كان محط أمال الشعراء والادباء ، وبه اصبحت حلب موئلا لهم يقصدونها من كل صوب ، حتى رُويَ انه لم يجتمع بباب احد من الملوك ، بعد الخلفاء ، مثلمـا اجتمع ببـابه من فحـــول الشعر والادب .

وهكذا اراد الله للشاعر الكبير ان يلقي ممدوحـه الكبير وان يمتزج تاريخهما على مر العصور . فلقد وجد ابو الطيب في علي بن حمدان ، الامـير العربي الذي ينشده . ورأى سيف الدولة في احمد بن الحسين ، فتى ابياً اهلا لصـداقته ، وشاعراً مجيداً جديراً بتخليد مآثره .. لقد كانا بطلين يتعاونان او شاعرين يتباريان. ولكأن قول ابي الطيب في ابي العشائر :

شاعر المجد خدنه شـاعر اللفـ
ـظ كلانا رب المعـاني الدقاق

لكأن هذا القول ما كان موجّهاً الا الى سيف الدولة .

بيد ان الحسد ، آفة الجمال والخير ، كان منذ الازل تعكيراً في كل صفاء، وتدميراً في كل بناء ، وما اكثر ما ساق الجمالَ والخير الى اسوأ الارزاء ...

ونشهد الآن مجلساً من مجالس سيف الدولة ، ما تمنت الشهـامة ان تشهد نهايته . . .

الفصل الرابع

لقد قرن التاريخ اسم شاعرنا باسمي رجلين كبيرين من رجال العرب في تلك الحقبة من التاريخ ، هما سيف الدولة عليّ بن حمدان وكافور الاخشيدي

ولعلنا ونحن نستعرض قسما يسيراً من حياة ابي الطيب خلال مصاحبته سيف الدولة طوال ثماني سنين ؛ ٣٣٧ ـ ٣٤٥ ، لعله خليق بنا ان نورد عن الحمداني ، وعلى سبيل التذكير ، شيئاً مما هو في الاذهان وكتب التاريخ ، عنه .

فمما هو معروف ان اربع دول كانت قد نشأت في قبائل العرب بعد ان غلب العباسيون على امرهم واصبح الخلفاء منهم ألعوبة في ايدي القواد والامراء ؛ والدول تلك هي : دولة بني حمدان وبني مرداس وبني المسيّب وبني مزيد .

ودولة بني حمدان التي يعنينا امرها كانت قد نشأت في الموصل وحلب ودامت ستاً وسبعين سنة : [٣١٧ ـ ٣٩٤] وهذه الدولة التي تنتسب الى التغلبيين، انجبت سيف الدولة علي بن حمدان ، الذي كان في اول نشأته يملك واسطاً وما حولها . ثم انتزع بسيفه من الاخشيديين مملكة في شمال الشام واستولى على حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . الا انه بعد وقائع عديدة مع الاخشيديين استقر له الامر في حلب وانطاكية ، وبعض الزمن في حمص ، وقد بقي الملك له ولذريته حتى استولى عليه الفاطميون .

وقبل ان يملك حلب ، كان سيف الدولة يحارب الروم عن العرب فلما استقر له الملك ، كان لزاماً عليه ان يستمر في حروبه مع الروم ليحميَ ذمار

الفصل الرابع

المتنبي ـ واني مستأذن الامير في المضي الى سيف الدولة العظيم

ابو العشائر ـ هذا ما كنتُ انتظر منك .. ولأن رغبتي عظيمة في ان تسعد وتحظى بما تستحق من اكرام ، أمضي بك الساعـــة لكي تُعدّ لسفرك الى حلب

المتنبي ـ لك مني صادق الامتنان ايها الامير

ابو العشائر ـ هيا بنا لتنطلق الى الرخاء .

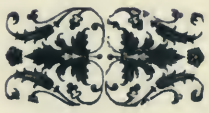

المتنبي ـ

اذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم المـــوت في امر صغير
كطعم الموت في امر عظـــيم

يرى الجبناء ان العجز عقـل
وتلك خـديعة الطـــبع اللئيم

وكل شجاعة في المـــرء تغني
ولا مثل الشجـاعة في الحكيم

وكم من عائب قـــولاً صحيحاً
وآفتـــه من الفهم السقـــيم

ولكن تأخذ الاذان منـــه
على قـــدر القرائح والعلوم

ابو العشائر ـ ما اعظم حكمتك يا ابا الطيب ! وما اعظم رفعة انتظرهـا لك عند الامير سيف الدولة .

المتنبي ـ اما زلت راغباً بان اذهب اليه !؟

ابو العشائر ـ بل لن انفك عن الالحاف عليك ، حتى اراك في مجلس ابن عمي في الشهباء

المتنبي ـ للحق ، ايها الامير ، انك قد اوجدت في نفسي رغبة عظيمـــة لتحقيق ما كنتُ متردداً فيه

ابو العشائر ـ ما كان لك ان تتردد

يزجيني من مديح

ابو العشائر ـ قول الحق لاشكر عليه

المتنبي ـ وهذا مديح آخر يثقل قيود امتناني للامير

ابو العشائر ـ لاتبالغ ابا الطيب ... لكن سمعتك تذكـــر ان ما تصبو اليه عالق في النجوم !؟

المتنبي ـ تلميح الى استحالة البلوغ اليه

ابو العشائر ـ انما هذا اللفظ ذكّرني باقوال رائعة لك

المتنبي ـ هل يفصح الامير !؟

ابو العشائر ـ اذا غامرتَ في شرف مروم !

المتنبي ـ هذه تذكرة باليوم المشئوم الذي كبستْ فيه انطاكيـــة من قبل الاعداء

ابو العشائر ـ ان ذكرى اليوم ذاك قد امحت من ذهـني . اما ماسيبقى ابداً فيه، فهي القصيدة التي نظمتَ في اعقاب الحادث

المتنبي ـ كيف اشكر الامير على اهتمامه بي كل هذا الاهتمام

ابو العشائر ـ يكفيني ان تسمعني بنطقك الرصين ، هـذه القصيدة ، او بعضاً منهـا .

المتنبي ـ للامير عليَّ اكثر من الطاعة

ابو العشائر ـ الشكر لك يا ابا الطيب

المتشابك الغايات والوسائل الذي تصوره في هذا البيت الرائع

المتنبي ـ

ومن البلية عذل من لا يرعوي
عن غيّه وخطاب من لا يفهم
والذلُّ يظهر في الذليل مودة
وأودُّ منه لَمَن يودُّ الارقم

ابو العشائر ـ لله يا ابا الطيب !

المتنبي ـ

ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

ابو العشائر ـ بأبي انت يا احمد

المتنبي :

افعال من تلد الكرام كريمة
وفعال من تلد الاعاجم اعجم

ابو العشائر ـ الا طيَّب الله انفاسك ، وانا لك ما تصبو اليه

المتنبي ـ والله ، ايها الامير ، ان ما اصبو اليه عالق في النجوم

ابو العشائر ـ لكم انت عظيم يا ابا الطيب ، فأنت اذا قلت شعراً ارغمت سامعك على الاستزادة منه ، واذا ماحدّثتَ سامعك ذكّرته بشعرك وقسرته على سؤالك ان تنشده

المتنبي ـ تقدَّم وقلتُ للامير اني غير بالغ ايفاءه حقه من الشكر لما

لو كان يمكنني شفرتُ عن الصبا
فالشيب من قبل الاوان تلثم
والهـــم يخترم الجسيم نحـافة
ويشيب ناصية الصبي ويهـــرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقـله
وأخـــو الجهالة بالشقاوة ينعم

ابو العشائر ـ لله من حكمتك ما ابلغها !

المتنبي ـ

والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق
ينسى الذي يولي وعاف يندم
لايخدعنك من عـدو دمعـــه
وارحم شبابك من عدو ترحم
لايسلم الشرف الرفيع من الاذى
حـــتى يراق على جوانبه الدم

ابو العشائر ـ الله الله يا ابا الطيب .. ووالله لو لم تقل الا هذا البيت لكنت اشعر الشعراء

المتنبي ـ

يؤذي القليل من اللئام بطبعـه
من لا يَقيلُ كما يقـلُّ ويلزم
الظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفَّـــة فلعلة لايظـــلم

ابو العشائر ـ انك تمعن في التحليق يا ابا الطيب .. فيا لهذا العالَم الصاخب

وتركك في الدنيا دويّاً كأنما
تداول سمع المرء أنمُلُه العشر

ابو العشائر ـ افرأيت !؟
المتنبي ـ والله ايها الامير ، لقد احسنتَ الي بتذكرتي بهذه الابيات
ابو العشائر ـ اني اتمنى لك كل خير
المتنبي ـ جزاك الله السؤدد والمجد
ابو العشائر ـ ان كنتَ حقاً تحب لي السرور ، امتعني بالقصيدة التي هجوت بها ابن كغيلغ

المتنبي ـ الأعور اللئيم !!
ابو العشائر ـ لقد كنتَ فيها حكيما رصيناً اكثر مما كنتَ هجّاءً فطناً .
المتنبي ـ لقد كاد اللئيم يفتك بي لرغبتي عن مدحه
ابو العشائر ـ هل تُسمعني منها

المتنبي ـ . . .

لهوى النفوس سريرة لا تعلم
عرَضاً نظرتُ وخلتُ اني أسلم

يا اخت معتنق الفوارس في الوغى
لأخوك ثم ارق منك وارحم

يرنو اليك مع العفاف وعنده
ان المجوس تُصيب فيما تحكم

راعتك رائعة البياض بعارضي
ولو انها الاولى لراع الاسحم

ابن عمي .

المتنبي ـ الم اقل ايها الامير اني اخشى مؤدب ابن عمك وشيخه !؟

ابو العشائر ـ قولك هذا يدفعني الى سؤالك امراً

المتنبي ـ اني طوع ارادتك

ابو العشائر ـ ترجع الى القصيدة التى ذكرتها

المتنبي ـ مدح ابن عامر !؟

ابو العشائر ـ تتلو منها جهاراً بعض الابيات

المتنبي ـ هل للامير رغبة بسماعها

ابو العشائر ـ كل الرغبـــة .. وفي ترديدك اياهـا قـــوة تعود اليه ومتعة انالهـا .

المتنبي ـ . . .

أطاعن خيلا من فوارسها الدهر
وحيداً وماقولي كذاومعي الصبر
تمرّستُ بالآفات حتى تركتها
تقول امات الموت ام ذعر الذعر

ابو العشائر ـ افتتخاذل امام ظن واه ، بعد هـذا القول !؟

المتنبي :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل موتها
فمفترقٌ جاران دارها العمـــر
ولا تحسبن المجـــد زِقاً وقينة
فما المجدالا السيف والفتكة البكر

جعله وصديقه ابا ذر ، في خشية على مقامها لدى ابن عمي . وليس اغراضهما عليك الا رغبة بتنفير الامير منك .

ابو العشائر ـ اني لم ار سبباً آخر للحقد عليك

المتنبي ـ [يطرق مفكراً]

ابو العشائر ـ ... بم يفكر ابو الطيب

المتنبي ـ تراودني النفس ، ايها الامير ، على الذهاب ضارباً في الارض محولاً وجهي عن الشهباء .

ابو العشائر ـ ... عجيب امرك يا ابا الطيب . . . أفبعد ان واشكتَ البلوغ الى ماشقيت وأُهنتَ بسببه ، تفكر بالتخلي عنه !؟

المتنبي ـ أُحسُّ كأن ذينيك الشريرين مقدمان على اذيتي .

ابو العشائر ـ في علمي يا ابا الطيب انك ممن لايخشون الاذية في سبيل المجد .. ولتذكر اقوالاً عديدة لك في مثل ذلك .

المتنبي ـ

واني رأيتُ الضُرَّ احسن منظراً
واهونَ من مرأى صغير به كبر

ابو العشائر ـ أليس هذا من قصيدة مدحتَ بها احمد بن عامر !؟

المتنبي ـ اني شاكر للامير تواضعه في حفظ اغلب مانظمت

ابو العشائر ـ ومَن لايقدم على اقتناء الدر يا ابا الطيب !

المتنبي ـ أراني غير بالغ ايفاءك حقك من الشكر

ابو العشائر ـ لكنك في ابيات عديدة من هذه القصيدة ، تبدو بروحك الاصيلة الجبارة ، خلافاً لما تظهر الآن من وهن وضعف فتتردد في تلبية دعـــوة

ويزجر النام ، ويهبط من علياء مقامه تواضعاً وكرماً ليخاطب الدهماء خطاب الند للند .. ألا ان سيف الدولة الحمداني اعظم وافضل وانبل عربي نشأ على الاطلاق ، ما خلا الفحول الاوائل من ابطال الاسلام .

يمم الامير البطل شطر حلب لصد الروم الغزاة ، ولم يكن احد ممن معه و من المقيمين في الشهباء ومناطقها الا واثقاً من اندحار العلوج امام هيبة سيف الدولة وبطولته .. وتأبي مروءة هذا الحمداني النبيل ان يسير معـــه ابو العشائر ببعض الجند لتشد ازره ، حتى انه اقسم الا يسير احد خطوة واحدة على الرواحل لوداعه .

وهكذا انطلق ابو الهيجاء الى مقارعة الروم ، وعاد ابو العشائر الى الفازة المضروبة ليجدد المجلس مع المتنبي ، كأنه لم يأبه لما سمع من خبر الروم ، او كأنه كان عامر الصدر باليقين من فوز ابن عمه على الاوغاد .

المشهد الثالث

ابو العشائر ـ ... لا والله . لست ادري سبباً لاغـــراض ابن خالويه عليك .

المتنبي ـ والشيخ الوقور ابو ذر سهل بن محمد الكاتب !؟

ابو العشائر ـ لعله تضامن وابن خالويه بسبب صداقة بينهما

المتنبي ـ هل في وسع الامير اكتشاف الدافع الحقيـــقي لاغراض ابن خالويه عليَّ !؟

ابو العشائر ـ لعل اكرام سيف الدولة لك ، واعجابه العظيم بك ، قد

كلما قيل قد تناهى أرانا
كرماً ما اهتدت اليه الكرام

سيف الدولة ـ لافض فوك يا ابا الطيب . ويعلم الله ما اضمر لك من احترام وما اعده لك من ارفع مقام

[يدخل رسول]

رسول ـ السلام على الامير وصحبه الكرام

سيف ـ [يتعجب] أزيداً ارى !؟

رسول ـ في رسالة خطيرة يامولاي

سيف ـ ما وراءك

رسول ـ انفذني الامير ابو فراس لأبلغ الامير ان طلائع الروم قد ظهرت في تلال الروج وانه قد اتجه نحوهم

سيف ـ [وهو يقف] إنا طائرون اليه

ابو العشائر ـ هل يأذن الامير بان نرافقه

سيف ـ لك الشكر يا ابن العم . واني لا احسب اولئك العلوج بصامدين لصيحة واحدة باسم الله

ابو ذر ـ الله اكبر ، ويخذل الكافرون

سيف ـ هيا بنا .. ولتأتنا في الشهباء وشيكاً يا ابا الطيب ..

[يخرج وأتباعه]

• • •

لله ما اكرم شمائل هذا الامير العربي الصميم . . انه يكرم المستحق ،

المتنبي ـ هل يُسمح لي بانشادها

سيف ـ اني لا اسمح ، بل ارجو

المتنبي ـ عفوك ايها الامير الكريم

سيف ـ هات يا ابا الطيب

المتنبي :

اين ازمعت ايهـــذا الهـــمام
نحن نبت الربى وانت الغمام

نحن من ضايق الزمان له فيـــ
ـكَ وخانته قـــربك الايام

في سبيل العلي قتالك والسلـ
ـمُ وهذا المقام والاجذام

ليت إنا اذا ارتحلتَ لك الخيـــ
ـلُ وإنا اذا نزلتَ الخيـــام

كل يوم لك احتمال جـــديد
ومسيرٌ للمجـــد فيه مقـــام

واذا كانت النفوس كبـاراً
تعبت في مرادهـا الاجسام

سيف ـ لله انت يا ابا الطيب

المتنبي :

كل عيش لم تستطبه حمـام
كل شمس ان لم تكنهـا ظلام

وان الذي سمّي عليـــاً لمنصف
وان الذي سمّـاه سيفاً لظـالمه
فما كل سيف يقطع الهام حـدّه
وتقطع لزْبات الزمان مكارمه

[اصوات وهمهمات اعجاب]

سيف ـ ألا حيّاك الله يا ابا الطيب وبيّاك

المتنبي ـ الشكر لتلطف الامير بقبول اقوالي

سيف ـ احق بالشكر ابو العشائر الذي دلنا عليك ... ولقـد والله بتُ مترددا في الرحيل عن انطاكية من اجلك .

ابو العشائر ـ ليت الامير يطيل مكثه اياماً اخرى

ابن خالويه ـ ومن تراه مستطيعاً الوقوف في وجه علوج الروم

سيف ـ تدعوني الامور الى الرحيل يا ابن العم . واني لأسأل ابا الطيب ان يلحق بنا في الشهباء وشيكاً .

المتنبي ـ لو علم الامير مافي قلبي لذلك

سيف ـ اني لأعتز بان تكون في مجالسنا يا ابا الطيب

المتنبي ـ ولدي برهان على عظيم تعلقي بشخص الامير

سيف ـ لانحتاج الى برهان في ذلك

المتنبي ـ علمت بنيّة الامير على الرحيل فنظمت قصيدة .

سيف ـ اقصيدة اخرى !؟

المتنبي ـ اجل ايها الامير .. ولعل انشغالي بنظمها كان السبب في تأخير مثولي بين يديك .

سيف ـ والله انك لوفي صادق الوفاء

مشيب الذي يبكي الشباب مشيبه
فكيف توقّيه وبانيه هادمه
وتكملة العيش الصبا وعقيبه
وغائب لون العارضين وقادمه
وما خضّب الناس البياض لأنه
قبيح ، ولكن احسن الشعر فاحمه
واحسن من ماء الشبيبة كله
فتى ماجد في فازة انا شائمه
تُقبّل افواهُ الملوك بساطه
ويكبر عنها كمُّه وبراجمه
سلكتُ صروف الدهر حتى لقيته
على ظهر عزم مؤيدات قوائمه
فابصرت بدراً لا يرى البدر مثله
وخاطبت بحراً لا يرى العيسُ عائمه
غضبتُ له لمّا رأيت صفاته
بلا واصف والشعر تهذي طماطمه
لقد سلّ سيف الدولة المجدُ معلماً
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه
على عاتق المَلِك الاغر نجادُه
وفي يد جبّار السموات قائمه
تحاربه الاعداء وهي عبيده
وتدّخر الاموال وهي غنائمه
ويستكبرون الدهر والدهر دونه
ويستعظمون الموت والموت خادمه

ومعنى فعل اشجى هو الغصّة والشرَق . اما الشجى فهو مايعلق بالحلق من عظم او عود او غيرهما .

سيف ـ ما اعمق تبحرك باللغة يا ابا الطيب

المتنبي ـ واني في خطابي اتوجه الى العلاّمة ابن خالويه ، متمثلا ومستشهداً قول سويد بن ابي كاهل الذي قال :

ويراني كالشجى في حلقـــه
عسر مخـــرجه ما يتـــزع

سيف ـ احب ان تعود الي القصيدة يا ابا الطيب

المتنبي ـ

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه
بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

وما انا الا عاشق ، كل عاشق
اعق خليليه الصفيين لائمـــه

وقد يتزيّا بالهوى غير اهـــله
ويستصحب الانسان من لا يلائمه

سيف ـ الله الله

المتنبي ـ

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

كئيباً توقّاني العواذل في الهوى
كما يتوقّى ريّضَ الخيل حازمه

المتنبي ـ أتنظر ان تدل عليه

ابن خالويه ـ قلتَ اشجاه طا سمه ، والصواب ان تقول شجاه لا اشجاه

المتنبي ـ يبدو لي ان هذا ليس من علمك

ابن خالويه ـ ايها الامير !!

المتنبي ـ لأن اشجاه هنا اسم لا فعل . واني قصدت القول اكثر شجواً فبنيت على افعل .

سيف ـ هل افحم الاستاذ

ابن خالويه ـ في علمي ان الكلمة فعـــل . وما علمت بفعل غير شجا يشجو شجواً .

المتنبي ـ يسمح الامير بان ارد !؟

سيف ـ افعل يا ابا الطيب

المتنبي ـ ان ما كنتُ علمته عن ابن خالويه ، جعلني اعتقد بانه من اعاظم اللغويين . اما وقد سمعت منه ماسمعت ، فقد شعرت باعتقادي يتزعزع وينهار .

ابن خالويه ـ ايها المتبجح ..

المتنبي ـ سيعلم الامير اينا المتبجح

ابن خالويه ـ لكن ...

المتنبي ـ لقد قلتَ انك ماعلمتَ بفعل غير فعل شجا . ولك اقول ان هناك فعل اشجى . ومضارعه يشجي اشجاءً

سيف ـ ليتك تفسر لنا كلا من الفعلين .. ثم اني لأعجب لك يا ابا الطيب؛ أأنت شاعر كبير ام لغوي نحرير !

ابن خالويه ـ والله ...

المتنبي ـ معنى فعل شجا ، ايها الامير ، الحزن او التهيج عند الذكرى .

عينها ، ايها الامير ، بيتٌ كأني كنت اسوقه الى نفسك النبيلة وقلبك الكبير ، اللذين سمعتها يدفعان عني .

بنفسي الذي لايزدهي بخديعة
وان كثرت فيه الذرائع والقصد

ابو العشائر ـ لله انت يا ابا الطيب

سيف الدولة ـ لقد فرغ صبري في انتظارك يا ابا الطيب . لكن فلتثق من ان شوقي لايقوم على سماعي اياك تمـــدحني ، بل على الاستمتاع ببريق دررك الغوالي .

المتنبي ـ يشجعني قول الامير ويسعدني

سيف ـ لقد اصبحتَ في ارفع منزلة عندي

المتنبي ـ [وهو ينشر ورقاً بين يديه] لقد سمح الامير بان انشده وانا جالس .

سيف ـ وتجلس في مكاني اذا شئت

المتنبي ـ الشكر لنبل الامير [يأخذ بالالقاء]

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمـــه
بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

ابن خالويه ـ أستأذن الامير بان ادل على خطأ

سيف ـ تمنيت لو لم يعترض الاستاذ

المتنبي ـ ليت الامير يسمح

سيف ـ فليتفضل مؤدبنا ويدلّ

ابن خالويه ـ [الى المتنبي] لقد بدأتَ فارتكبتَ خطأ فادحاً

المتنبي ـ جئتُ الامير معتذراً عن اعتذار سبق

سيف ـ لقد أطلت علينا .. لكن ، تفضل بالمجلوس

المتنبي ـ [وهو يجلس في مكان يفسح له] كنت معتمداً الدخـــول على الامير حينما استوقفني قرب هذه الفازة ، حديث عني

سيف ـ لعلك سمعت بعض ما قيل

المتنبي ـ اعتذر للامير عن استراقي السمع ، ثم استأذنـه في ان امسك بطرف الحديث الذي جرى

سيف ـ لك ذلك يا ابا الطيب

المتنبي ـ واستأذن ايضاً في ان اسأل العلّامة ابن خالويه ، عما اذا كان لايحفظ من قصيدتي التي قدح بها ، بيتين وردا فيها

ابن خالويه ـ لا احفظ ولا ارغب بان احفظ

المتنبي ـ هل يجيز لي الامير تلاوة البيتين

سيف ـ ما اعظم رغبتي بذلك

المتنبي ـ

واني لتغنيني عن المـاء نغبة
واصبر عنه مثلمـا تصبر الرُبد
واكبر نفسي عن جزاء بغيبة
وكل اغتياب جهد من ماله جهد

سيف ـ لعمر الله ما انت الا الشاعر الفحل ، ولكأني بك تحسُّ مافي الغيب فتسبق وتعدّ له نظماً

المتنبي ـ تدرك فطنة الامير الى من سيق هذا البيت الاخير ثم في القصيدة

سيف ـ أدركُ من يعني الشاعر العظيم . واني لأستزيدك ان قدرت

ابن خالويه ـ تعقب هذا البيت ابيات لا يطاق سماعها

سيف ـ هات كل ماتعرف منها

ابن خالويه ـ

اذم الى هـــذا الزمان اهيله
فاعلهم فدم واحزهم وغـــد
واكرمهم كلب وأبصرهم عَم
وأسهدهم فهـــد وأشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدواً له ما من صداقتـــه بد

أفبعد هذا السباب ...

سيف ـ الحر لا يرى في هذا سباباً .. ولقد والله تتُ في اعظم شوق الى لقاء هذا العظيم

ابن خالويه ـ لو تبصر الامير ..

سيف ـ هل تحفظ من اقواله ايضاً

ابن خالوية ـ قلت ماأحفظ من هذه القصيدة الوقحة .

[يدخل المتنبي]

المشهد الثاني

المتنبي ـ السلام عليكم

سيف الدولة ـ وعليك السلام يا ابا الطيب ورحمة الله

ابن خالويه ـ هذا مطالع قصيدة مدح بها محمد بن مكرم التميمي :

اقل فعالي بَلْهَ اكثره جد

وذا الجد فيه نلت ام لم انل مجد

لم افقه لهذا البيت معنى ، ولذا امضي الى حيث ادل الامير على وقاحة هذا الشويعر الوضيع .

سيف ـ قل

ابن خالويه ـ

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ

كأنهم من طول ما التثموا مُردُ

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا

كثير اذا شدّوا قليل اذا عُدّوا

... هل سمع الامير بما هو اعظم وقاحة من هذا القول !؟

سيف ـ لا والله ماسمعت بافخم من هذا القول ولا باعظم من هذا التصوير الرائع

بن خالويه ـ لكن ...

سيف ـ ارغب بان تكمل ان كنت حافظاً

ابن خالويه ـ لا احسب الامير متقبلا ما سيسمع

سيف ـ قل

ابن خالويه ـ

أُذمُّ الى هذا الزمان أُهيله

فاعلمهم فدم واحزمهم وغد

العظيمة ؛ تراهم ، وقد ألفوها ورسخ في اذهانهم انها سبب الحياة ، ينشغلون عنها بالجدل والنقاش في امورهم التافهة التقليدية

ابن خالويه ـ فخم قولك هذا ايها الامير

ابو العشائر ـ واني لأتمنى على ابن عمي ان يطيل مكوثه هنا في انطاكية فيديم حبورنا ويمتع خواطرنا

ابو ذر ـ وما تظن الروم فاعلين اذا ماعلموا بغياب الامير عن التخوم الشمالية .

ابو العشائر ـ يكفي ان يذكر اسم سيف الدولة لترتعد فرائص الروم .

سيف الدولة ـ لكن ، ما لأبي الطيب !؟

ابن خالويه ـ أفرأيتُ ايها الامير !؟

سيف ـ لقد وعدتُ بانتظاره وسأبر بالوعد

ابن خالويه ـ ايها الامير .. اني وان كنت لم اجالس هذا المخلوق بعد ، اعلم عن كثير الشيء الكثير .. انه يرى الناس قاطبة دونه في العظمة والشجاعة والقيمة .

سيف ـ وكيف علمت

ابن خالويه ـ من شعره الصلف ، فهذا الشويعر الضئيل ؛ حتى حين يكون مادّاً يده يستجدي الممدوحين ، لايخجل من مدح نفسه وتعظيمها ، وشتم الناس ايضاً .

سيف ـ وهل تحفظ شيئاً من شعره مضمّناً هذا القول !؟

ابن خالويه ـ احفظ ، ايها الامير

سيف ـ هات ما عندك

ابو العشائر ـ في هذا لعمري طرافة مقبولة .

سيف ـ الطرافة يا ابن العم قائمة في رد الشاعر على ابن المزربّان

ابو العشائر ـ بمَ تراه قد ردَّ عليه !

سيف ـ لقد ردّ الشاعر على ابن المزربّان بقوله : لن تسمعني اصلصل مخافة ان اصبح رابع الشعراء

ابو ذر ـ رابع الشعراء !؟

ابو العشائر ـ وهل يعلم الامير ما كان يريد الشاعر بقوله

سيف الدولة ـ لقد اراد قول من قال :

الشعراء فاعلمنّ اربعـــة

فشاعر يجري ولا يُجرى معه

وشاعر ينشد وسط المعمعـــه

وشاعر من حقـه ان تسمعه

وشاعر من حقه ان تصفعه

[يضحك الحاضرون]

ابو العشائر ـ مدَّ الله في عمرك يا ابن العـــم ، فانك والله لأبو الادب والشعر واللغة ودماثة الخلق

ابو ذر ـ انه قبل كل شيء ابو الهيجاء

ابو العشائر ـ ان فروسية ابن عمي وبطولته اصبحتا ، لشدة سطوعهما امراً لا يُذكر في مقارنة او تشبيه

سيف ـ اشكر مديحك يا ابن العم

ابو العشائر ـ والله يا ابن عمي ، مابطولتك في خواطر الناس الا كالشمس

سيف ـ ولقد كان فخري لا يُحدُّ بانك مؤدبي

ابو در ـ هل يتفضل الامير ويذكر لنا اولئك الشعراء

سيف ـ الشاعر الذي شلشل هو الاعشى ، رأس شعراء الجاهليـــة ، وذلك حين قال :

وقد غدوتُ الى الحانوت يتبعني
شاوٍ مِشَلٌّ شلولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

ابو العشائر ـ والمعنى يعرفه الاعشى وحده

سيف الدولة ـ اما الذي سلسل فمسلم بن الوليد القائل :

سُلَّتْ وَسَلَّتْ ثم سلّ سليلُها
فأتى سليل سليلهـــا مسلولا

ابو العشائر ـ والمتنبي هو الذي قلقل

سيف ـ فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا ..

ابو العشائر ـ ارى إذن ، ان ماعيب على المتنبي ، كان على النقيض مدعاة لشهرته .

سيف ـ وفي القصة التي ذكرت ماهو طريف

ابو العشائر ـ ليت الامير يتحفنا بذكر هذه الطرافة

سيف ـ كان ابن المزربّان يقص تلك القصة على شاعر غير مشهور ،وقد قال للشاعر في ختام قصته : ان شاعراً قد شلشل وآخر قد سلسل وثالثاً قـــد قلقل فيبقى ان تصلصل انت

[ويتصنع الحاضرون الضحك]

الذي دعا عليه احد الفضلاء بقلقلة الاحشاء لتفاهته

ابن خالويه ـ نعم . وذلك حين قال بيتاً جعل المسامع تنفر حتى من سماع الشعر الجيد

سيف ـ ابداً يحفظ المُعْتَرِض من امر يبحث فيـــه ما يلائم مصلحته ، ويهمل كل مايبقى من صلب الموضوع

ابن خالويه ـ كيف ذلك ايها الامير !

سيف الدولة ـ لاريب في انك حافظ للبيت الذي اشرتَ اليه

ابن خالويه ـ لاريب ايها الامير ؛ وهذا هو :

تقلقلتُ بالهم الذي قلقل الحشا
قلاقلُ عيس كلهن قـــلاقل

ابو ذر ـ قل قل قل قل قل

سيف ـ وهل يحفظ النحريرُ ابن خالويه قولاً في غير هـــذا الدعاء على الشاعر !؟

ابن خالويه ـ كلا ايها الامير

سيف ـ وشيخنا ابو ذر !؟

ابو ذر ـ ولا انا احفظ

سيف ـ اما انا فأحفظ من هذا الامر ماوضع المتنبي في قمة الشعر

ابو العشائر ـ تمنَّيتُ لو اعلمنا الامير بما يحفظ

سيف ـ سمعتُ ان ابا نصر بن المزربّان قال : ثلاثة من رؤساء الشعراء ، قد شلشل احدهم ، وسلسل الثاني وقلقل الثالث .

ابن خالويه ـ والله اني لأفخر بان اكون مؤدب الامير

فمتى ، ايها الامير ، سمعت بصعلوك ساوى نفسه جهاراً بذوي المجد الاثيل !؟

سيف الدولة ـ سامح الله الاستاذ ... لكن .. الي بهذه الورقة

ابن خالويه ـ [يعطيه الورقة]

سيف الدولة ـ [يقرأ في الورقة]

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ
ـظ كلانا رب المعاني الدقاق

ابن خالويه ـ افرأيتَ الثعلب يقاوي الاسد !؟

سيف الدولة ـ أفقرأتَ البيت الذي يعقب هذا البيت !؟

ابن خالويه ـ لم ار في القصيدة ماهو جدير بان يبقى في الذهن ، ايها الامير .

سيف ـ اسمعك البيت اذن

ابن خالويه ـ تمنَّيت ...

سيف ـ اسمعك البيتين معاً وذلك اقوى للذكرى

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ
ـظ كلانا رب المعاني الدقاق
لم تزل تسمع المديح ولكـ
ـن صهيل الجياد غير النهاق

ابن خالويه ـ هل وراء هذا معنى يضمره الامير

سيف ـ خير لنا الانصراف عن هذا

ابو ذر ـ الخير ايها الامير هو في الانصراف كلياً عن هذا الشاعر الدعيِ

سيف الدولة ـ من الافضل لنا الانصراف عن قراءة القصيدة

ابن خالويه ـ ايها الامير ...

سيف ـ لقد رأيت ان ننصرف عنها

ابن خالويه ـ ما اردت القصيدة ايها الامير

سيف ـ ما اردت اذن !؟

ابن خالويه ـ ايها الامير ، ان من يدعي النبوّة ويجرؤ على وضع شروط لكي يُسمع الكرامَ شعره الرخيص ...

سيف ـ وبعد !

ابن خالويه ـ ثم من يتخلف عن المثول بين يدي امير عظيم قَسَرَه نُبلُه على وضع نفسه موضع انتظار لغير النصر ..

سيف ـ لكن ، مايبغي مؤدبنا الكريم !:

ابن خالويه ـ اتمنى على الامير ان يتمعن في بيت اقوله من هذه القصيدة لعله يدرك العجرفة المنطوية عليها نفس هذا الرجل

سيف ـ لكن لمَ كل هذا الحقد عليه وانت لمّا تجالسه بعد

ابن خالويه ـ لشدة محبتي للامير وغيرتي على مقامه

سيف ـ ... هات البيت المقصود

ابن خالويه ـ لن ننسى ايها الامير ان المادح شويعر نكرة ، والممدوح امير من الحمـــدانيين الامجاد . وان الوقح رغم ذلك ، لم يخجل من ان يقول :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ

ـظ كلانا رب المعاني الدقاق

ابو ذر ـ ليت الامير يفعل

سيف ـ هل تعدان بالا تتنكرا لهذا الرجل بعد الآن

ابو ذر ـ نعد

سيف ـ ... لو ان مؤدبنا الفاضل ابقى في ذهنه من هذا البيت كلمة كيف الاستفهامية و فعل الرثاء الذي يليها ، اذن لأدرك دون عناء ان رأءها التي وردت هنا ، ليست الا رآها ، بمعني الرؤية ، وان ضرورة الشعر اضطرت الشاعر لتقديم الالف وتأخير الهمزة .

ابن خالويه ـ لايخامرني ريب بتمكن الامير من اللغة

سيف ـ انك مؤدبي يا ابا عبدالله

ابو ذر ـ حتى شاعريتك ايها الامير لايتسرب اليها الريب

ابن خالويه ـ [يقرأ في الورقة بصمت]

سيف ـ لعل هذا القول رغبة لشيخنا المفضال بان افسر معنى البيت :

ابو ذر ـ للحق ايها الامير مافقهت للبيت معنى

سيف ـ بالامس قضيت وقتاً اقرأ القصيدة واعيد قراءتها حتى اوشكت ان احفظها .. والبيت :

كيف ترثي التي ترى كل جفن
راءها غير جفنها غير راقي

يعني ان التي ترى كل الجفون ، ماعدا جفنها ، غير راقئة ، اي مبتلة بالدمع لاترحم عشاقها .

ابو ذر ـ عسى الابيات الاخرى في غير حاجة لمثل هذا الشرح ايها الامير

اتراهـــا لكثرة العشاق
تحسب الدمع خلقة في المآقي

كيف ترثي التي ...

سيف ـ مهلا ، مهلا ، ايها الاستاذ .. لقد حسبتُ هـــذا المطلع الفخم مستوقفاً اياك تأملا واعجاباً

ابن خالويه ـ والله ايها الامير ...

سيف ـ وحسبت ايضاً اني مستوقفك بيتاً بيتاً في طول هـــذه القصيدة الرائعة ، ولقد بت غير موقن باستيقافك بعد هذا

ابن خالويه ـ ليس لدي ما اقول للامير

سيف ـ [بتأكيد] لا انتقاداً ولا ذماً

ابن خالويه ـ اني ..

سيف ـ هل في رأيك ان معنى في مثل هذا التصوير البديع قد خطـــر لأحد من شعرائنا ، او لأيٍ من فحول شعراء الجاهلية !؟

ابن خالويه ـ في رأيي ان لا

سيف ـ فلتتفضل وتكمل

ابن خالويه :

كيف ترثي التي ترى كل جفن
راءها غير جفنها غـــير راقي

ابو ذر ـ عجز هذا البيت بتمامه طلسم لا يحلُّ

ابن خالويه ـ ومن لا يرى مثل ذلك !

سيف الدولة ـ اني مفسّر لأستاذيّ الكريمين

رسول ـ حمّلني المتنبي هذا الخطاب للامير

سيف ـ تقدم

[يتقدم الرسول ويعطيه الخطاب]

سيف ـ [بعد قراءته] أبلغ ابا الطيب ان اعتذاره مقبول ، وانه سيجدنا في انتظاره حتى يأتي

[يمضي الرسول]

سيف ـ ... حتي في تقديم الاعتذار ينهج هذا الرجل نهجاً لبقاً مفحماً ، لم يسبقه اليه احد فيما اعلم

ابن خالويه ـ ايها الامير ...

سيف ـ [الى ابي العشائر] أعطِ مؤدبنا الفاضل القصيدة التي نُظمت في مدحك يا ابن العم

[يعطي ابو العشائر الورقة لابن خالويه]

ابن خالويه ـ هل يرغب الامير بان اقرأ !؟

سيف ـ بلى ... ارغب ان تتلوها علينا . ولعلك منساق بدورك الى ان تقضي قبل ان يأتي الرجل بالبرهان

ابن خالويه ـ لقد سمع الامير رأيي في هذا الشويعر

سيف ـ أسمعنا ايها المؤدب الفاضل ، عسانا نلهو عن ملل الانتظار بامتاع الافكار .

ابن خالويه ـ ايها الامير ...

سيف الدولة ـ لو تلطّفتَ ايها الاستاذ

ابن خالويه ـ [يقرأ]

ابو العشائر ـ محتمل ايها الامير

سيف ـ لكنه لو علم المنزلة التي اصبحت له عندي ، لوفّر على نفسه عناءً لا موجب له

ابن خالويه ـ اطال الله بقاء الامير .. انه حلم مابعده حلم ، تقبّلك ان يضرب مثل هذا القدم موعداً للقائك . اما ان يتجرأ على اشتراط انشادك وهو جالس ، فأمر لايسعه حلم .

سيف ـ الحلم الاصيل يا ابا عبدالله لا يحدّه حد ولا تحوط به شروط .

ابو العشائر ـ هذا منطق بني حمدان يا ابن العم

ابو ذر ـ لكن ايها الامير ، لم يسبق ان حدث مثل هذا قط

سيف ـ ولم يسبق ان وجد مثل هذا الشاعر قط

ابن خالويه ـ يقضي الامير قبل ان يأتيه الرجل بالبرهان

سيف ـ لقد كفاني ان اسمع منه مانظم في مديح ابن عمي ابي العشائر .

ابو العشائر ـ كل مانظم هذا الرجل ، عال لايبلغ اليه شاعر

ابو ذر ـ لكن ايها الامير ...

سيف ـ [الى ابي العشائر] هل لديك القصيدة التي نظمها في مدحك !؟

ابو العشائر ـ لديّ ايها الامير

[يدخل رسول]

رسول ـ السلام على سيف الدولة العظيم وصحبه الامجاد

سيف ـ وعليك السلام

المشهد الاول

سيف الدولة ـ ... والله يا ابن العم ما احسبني قد محضت شاعـــرا من التقدير مثلما محضت هذا الشاعر الذي قدّمتَ لي .

ابو العشائر ـ المتنبي ، ايها الامير ، شاعر قد بذ الشعراء اطلاقاً

ابن خالويه ـ ايريد الامير ابو العشائر ان هذا المتنبي خليق بايفاء سيف الدولة العظيم مايستحق من مديح !؟

ابو العشائر ـ لقد خبره ابن عمي في حديث معه بالامس

سيف ـ ولقد لمست فيه شاعرية لم المسها قط في شاعر

ابو ذر ـ حتى في كل من بين يدي الامير من شعراء !؟

سيف ـ حتى في اولئك جميعاً

ابو العشائر ـ ولسوف تحكمون حين يلقي قصيدة في مدح الامير ، وعـد بالقائهـا .

ابن خالويه ـ ما رأيت من هو اشد وقاحة من هذا الرجل

سيف ـ اني لا احب الغيبة يا ابن خالويه

ابن خالويه ـ أليست صفاقة ان يتجرأ نكرة في الناس ، على ضرب موعد لسيف الدولة العظيم !؟

ابو ذر ـ وفوق ذلك لايحضر في الموعد المضروب

ابو العشائر ـ لعله منهمك في نظم القصيدة الموعودة

سيف ـ ولعله يجهد ليفرغ فيها كل عبقريته ، بقصد التقرب مني .

الفصل الثالث

لبث ابو الطيب في الرملة زمناً غير قصير كان خلاله موضع رعاية بالغة واكرام عظيم .. وعندما فارق الرملة بدافع من طموحه الذي لاحد له ، انطلق في البقاع الشامية يتجاذبه الامراء والحاكمون ؛ فمدح في طبريا وفي جرش في الاردن وفي طرابلس وبعلبكّ وطرطوس واللاذقية .. الا انه ، فيما عدا ابن طغج ، لم يُفد من مديحه الا العطاء القليل .

ولقد لبث في الشام خمس عشرة سنة كان فيها دائم الترحال لايستقر على حال .. لقد كان يقصد الممدوحين فيخيّبون امله . وتثور فيه كبرياؤه فيقتصر عنهم . لكن سرعان ما كانت الحاجة الملحّة تلجئه الى معاودة المديح .. الا انه لم يتخلّ عن مطامحه الجسام قط . ولم تبرح ذهنه صوَر حداثته . فكان لذلك ينظم قصائد المديح وكأنه يصنع منها بُرُداً من فاخر الديباج يكسو بها تلك الصور المهينة البغيضة . واستمر على تلك الحال في مصارعة الخطوب وفي اقناع نفسه بالصبر عليها الى ان كان اليوم الذي انتظره طويلا ، وهو اليوم الذي دعاه فيه المجد الى انطاكية حيث كان ابو العشائر الحسن بن حمدان والياً عليها من قبل سيف الدولة الحمداني .

ولعل الدهر شاء مهادنة ابي الطيب فدفعه الى انطاكية في حين كان سيف الدولة فيها يتفقد الاعمال .

وها نحن في مجلس لسيف الدولة في انطاكية ، عُقد في فازة مضروبة في مرج ، تبدو عليها نقوش لحيوانات وطير ، وصورة لملك من ملوك الروم . فالخيمة هذه غنيمة احدى المعارك .

الفصل الثالث

المتنبي ـ تعكس القول ايها الامير

ابن طغج ـ الا تعكس الوقائع احياناً ، يا ابا الطيب !؟

المتنبي ـ انما ...

ابن طغج ـ لقد آن لنا الانصراف

[وينفض المجلس]

فان تفضلت بانصرافي
عددته من لدنك رفدا

ابن طغج ـ والله ماتمنيت مفارقتك ، الا اني اسمح بان تصيب قسطاً من الراحة .

المتنبي ـ اني شاكر للامير فضله

ابن طُغْج ـ لكن فلتستعدن لمجلس مقبل ، أستبقُ الظروف واقول انه قد لاينتهي أمدُه

المتنبي ـ أعلى شراب ايضاً !؟

ابن طغج ـ على دنان من الشراب لاينقطع دفقها

المتنبي ـ لكن ايها الامير ...

ابن طغج ـ وما في غير الشراب والشعر متعة

المتنبي ـ انما ايها الامير :

وجدتُ المدامة غلاّبة
تهيّج للقلب اشواقه
تسيء من المرء تأديبه
ولكن تحسّن اخلاقه
وانفس ماللفتى لبُّه
وذو اللب يكره انفاقه
وقد متُ اليوم بها موتة
ولا يشتهي الموت من ذاقه

ابن طغج ـ اليوم امر وغداً خمر

اني لأعذرهم مما أُعنّفهم
حتى اعنّف نفسي فيهم وأني

فقر الجهول بلا عقل الى ادب
فقر الحمار بلا رأس الى رسن

لا يعجبن مضيماً حسن بزّته
وهل تروق دفيناً جودة الكفن

لله حال ارجّيها وتخلفني
واقتضي كونها دهري ويمطلني

مدحتُ قوماً وان . . . [يصمت]

ابن طغج ـ ما لأبي الطيب !؟
المتنبي ـ لو اعفاني الامير لشكرت فضله
ابن طغج ـ لك ماتريد
المتنبي ـ ثم هل يأذن الامير بانصرافي
ابن طغج ـ بل تبقى يا ابا الطيب ، فاني والله لا اطيق فراقك
المتنبي ـ اني طامع بحلم الامير ، وقد اخذ بي الشراب ، كما يرى
ابن طغج ـ ولقد اخذ بي شعرك ايضاً

المتنبي ـ

يا من رأيتُ الحليم وغداً
به وحرُّ الملوك عبدا
مال علي الشراب جداً
وانت بالمكرمات اهدى

العلوي ـ القصيدة التي مدح بها ابا عبيد الله محمد بن الخطيب

المتنبي – لكن يا ابا القاسم ..

ابن طغج ـ بحقي يا ابا الطيب

المتنبي ـ ما حيلتي وقد طلب الامير

العلوي ـ وما حيلـــتي يا ابا الطيب ان كان الامـــير شغوفاً بدررك الغوالي .

ابن طغج ـ يـلذني سماعك ساخطاً على النـاس اكثر من سمـــاعك تمدحني .

المتنبي ـ يسمح الامير الا اتلو القصيدة بتمامها

ابن طغج ـ بل لاتتلو الا مااعتدتَ ان تستبدل بـه النسيب في مطـالع قصائد المديح .

المتنبي :

افاضل الناس اغراض لذا الزمن
يخلو من الهم اخلاهم من الفطن
وانما نحن في جيـــل سواسية
شرٌّ على الحرِ من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلَقٌ
تخطي اذا جئتَ في استفامها بمن
لا اقتري بلداً إلا على غـرَر
ولا امرٌ بخلق غـــير مضطغن
ولا اعاشر من املاكهم احـداً
الا احق بضرب الرأس من وثن

المتنبي ـ

خليلك انت لا من قلتَ خِلّي
وان كثُر التجمل والكلام
ولو حيزَ الحفاظُ بغير عقل
تجنّبَ عنـــقَ صيقله الحسام

ابن طغج ـ احسنت

المتنبي ـ

وشبه الشيء منجـــذب اليه
واشبهنـا بدنيانا الطغـــام
ولو لم يَعلُ إلا ذو محـــلٍ
تعـالى الجيش وانحط القتـام
ومن خبر الغواني فالغـــواني
ضيـاء في بواطنه الظـــلام

ابن طغج ـ ما اعظم حقدك على الناس يا ابا الطيب

العلوي ـ ان السهولة التي ينفذ بها الامير الى اعماق المعاني ، ستجعل مني هدفاً لسهام ابي الطيب

ابن طغج ـ كيف ذاك ياطاهر

العلوي ـ أشير على الامير بالاستماع الى قصيدة غير هذه ، فيها على الناس حملة صادقة ، ودلالة اقوى على حقد ابي الطيب عليهم

المتنبي ـ ابا القاسم ؟!

ابن طغج ـ اية قصيدة اردت !؟

ابن طغج ـ ووالله لقد اثار ابو القاسم لهفتي لسماعها

المتنبي ـ ان فيها ما لا احب ان يداني اسماع الامير

ابن طغج ـ هل ترغب بان ارجوك

المتنبي ـ العفو ايها الامير

ابن طغج ـ اذن

المتنبي ـ أُنشد بعضها على كره مني

ابن طغج ـ وانت مشكور على ذلك يا ابا الطيب

المتنبي :

فؤاد ما تسلّيه المدام
وعمر مثل ما تهب اللئام
ودهر ناسه ناس صغار
وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم
ولكن معدن الذهب الرغام
أرانب غير انهم ملوك
مفتحة عيونهم نيام

ابن طغج ـ قلتَ انها قصيدةُ مدح يا ابا القاسم !؟

العلوي ـ كذلك شأن ابي الطيب في كل ماوصل الي من مدائحه

ابن طغج ـ فلتتفضل وتكمل

المتنبي ـ اني ايها الامير ..

ابن طغج ـ واني لأرجوك يا ابا الطيب

العلوي ـ انه فاعل ايها الامير

العلوي ـ لقد اساء الناس اليه بالغ الاساءة ، ايها الامير

ابن طغج ـ بلى والله . ولقد بلغني عن افعال حاسديه ما اشجاني له

المتنبي ـ الحسد والخبث واللؤم

العلوي ـ طبائع غالب الناس . ووالله انك لمعذور في كرهك لهم

المتنبي ـ ومعذور في صدق مودتي لأفاضلهم

ابن طغج ـ قلّة اولئك الافاضل في رأيك !؟

المتنبي ـ اجل واحرقلباه

العلوي ـ اري ان الامير غير بالغ بالخمر مايقصد من الترويح عن نفس بي الطيب المألومة

ابن طغج ـ كيف يا ابا القاسم !؟

العلوي ـ لأبي الطيب قصيدة قدح بها بالمغيث بن العجلي

المتنبي ـ ابا القاسم !!

ابن طغج ـ إلامَ ترمي ياطاهر !؟

العلوي ـ لو طلب الامير الي ابي الطيب اسماعه القصيدة ، لعلم الكثير عن دخيلة نفسه

ابن طغج ـ هل قال الحق يا ابا الطيب

المتنبي ـ ليت ألامير يعفيني من هذا

ابن طغج ـ عجباً !

المتنبي ـ لعل في هذه القصيدة خدشاً لشعور مَن لم أرمه بسهم

العلوي ـ انها من عيون الشعر يامولاي

ابن طغج ـ احب سماعك تلقيها

المتنبي ـ ايها الامير ..

ابن طغج ـ احسنت والله ، واحسن الدهر بدفعك الي

[وعندما يعج المكان بروائح البخور والند] :

المتنبي :

أَنشْرُ الكيباء ووجه الامير
وصوت الغناء وصافي الخمور
فداوِ خماري بشربي لها
فاني سكرت بشرب السرور

ابن طغج ـ لقد فعلتْ بك الخمرة يا ابا الطيب

المتنبي ـ خمرة السرور بلقائك ايها الامير

ابن طغج ـ وقولك داوِ خماري بشربي لها !؟

المتنبي ـ انه مُرتقى بلغتُ به عجز البيت

ابن طغج ـ حسبته كقول ابي نواس

المتنبي ـ والله ايها الامير ، ماتسلّيني الخمرة عما اخفيه في ذاتي

ابن طغج ـ الم تُطلق نفسك من سجنها !؟

العلوي ـ لأبي الطيب ، ايها الامير ، سريرة ظلماء عامرة بالاشباح

المتنبي ـ لكأنك والله في نفسي يا ابا القاسم

العلوي ـ اما تستطيع خلاصاً من تلك الاشباح !؟

المتنبي ـ كيف افعل

ابن طغج ـ مُرّ سريرتك فتلفظ اشباحها

المتنبي ـ خير لي ، ايها الامير ، ان احس الاشباح في الظلام ، من ان اراها مجسّمة امامي في وضح النهار

المتنبي ـ ولعل الامير سامح بارجاء مابقي من القصيدة لحين آخر .

ابن طغج ـ فليكن يا ابا الطيب .. واني لأرغب بان يسمعنا عماد مما عنده

عماد ـ حسناً ايها الامير

ابن طغج ـ [وهو يأخذ الكأس] اليك ، ابا الطيب

المتنبي ـ ايها الامير

ابن طغج ـ إشرب واغتنم فرصة انطلاقك من سجون الفكر

المتنبي ـ [يأخذ ويشرب]

ابن طغج ـ ثم فليُحضَر الند والبخور .. وسوف لا اوفّر وسيلة اظهر بها الاكرام للمتنبي العظيم

المتنبي ـ لقد غمرني الامير بالجميل

ابن طغج ـ هات وأسمعنا ياعماد

[يأخذ عماد بالغناء ويدخل الغلمان بمباخر يفوح منها عبق الند والبخور]

ابن طغج ـ اشرب ، اشرب يا ابا الطيب . فوالله ماداخلني سرور مثل هذا اليوم

المتنبي ـ [بعد ان يشرب]

ووقت وفى بالدهر لي عندواحد
وفيٌّ بأهليه وزاد كثيرا

شربتُ على استحسان ضوءجبينه
وزهر ترى للماء فيه خريرا

وأبهر آيات التهامي انـــه
ابوك واجدى مالكم من مناقب

وانما . . .

العلوي ـ رويـــدك ابا الطيب .. اني استأذن الامـــير بان اناقشك في امر .

ابن طفج ـ إفعل يا طاهر

العلوي ـ لقد احسنتَ والله كل الاحسان فيما قلت .. انما في اروع بيت سمعته حتى الآن ، تركتَ مأخذاً لبعض الظن

المتنبي ـ وابهر ايات التهامي !؟

العلوي ـ بلى والله

المتنبي ـ واحسبك نافراً من قولي التهامي !؟

العلوي ـ والله مارأيت كفطنتك

المتنبي ـ هل رأيت في الكلمة نبوّاً

العلوي ـ لم ارها صفة لائقة بالنبي العظيم

المتنبي ـ ألم يصلك حديث لرسول الله في هذا المعنى !؟

العلوي ـ مافي علمي مثل ذلك

المتنبي ـ هذه الصفة التي تستهجنها كان محمد صلى الله عليه وسلم قد افتخر بها حين قال في حديث له : انا النبي التهامي الامي الابطحي

ابن طفج ـ واني عالم بهذا الحديث الشريف ، وصحة نقله عن نبينا الكريم .

العلوي ـ اذن اعتذر لأبي الطيب وازجيه الشكر

كثير حياة المـــرء مثل قليلها
يزول وباقي عيشه مثـل ذاهب
اليك فاني لست ممن اذا اتقى
عضاض الافاعي نام فوق العقارب
بأي بلاد لم اجرِّد ذؤابـــتي
وأي مكان لم تطأه ركائـــبي
كأن رحيلي كان من كف طاهر
فأثبتُ دوري في ظهور المواهب

ابن طغج ـ انه طاهر السخيُّ !
العلوي ـ ان يكن فخصلة اخذتها عن الامير

المتنبي :

فتى علَّمته نفسه وجـــدوده
قراع الاعادي وابتذال الرغائب
كذا الفاطميون ، الندى في بنانهم
اعزُّ امحاءً من خطوط الرواجب
اناس اذا لاقوا عدى فكأنمـا
سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب
رموا بنواصيها القسيَّ فجئنهـا
دوامي الهوادي سالمات الجوانب

ابن طغج ـ ابطال مغاوير الفاطميون !
المتنبي ـ
نصرتَ عليّاً يا ابنـــه ببوارز
من الفعل لا زالتْ لها في المضارب

المتنبي ـ اني فداء الامير

ابن طغج ـ احب قبل ان تندمـــج في مجلسنا ، ان تسمعنا ما نظمت في ابي القاسم

العلوي ـ ايها الامير !!

ابن طغج ـ لا عليك ابا القاسم

المتنبي ـ لعل في القصيدة مايخدش شعور الامير

ابن طغج ـ لا بأس في ذلك

المتنبي ـ اذن [يخرج ورقاً ويقرأ]

اعيدوا صباحي فهو عند الكواكب
وردّوا رقادي فهو لحظ الحبائب
فان نهاري ليلة مـــدلهمة
على مقلة من بعدكم في غيـاهب
واحسب اني لو هويت فراقكم
لفـارقته والدهر اخبث صاحب
فيالیت ما بيني وبين احبـــتي
من البعد مابيني وبين المصـائب

ابن طغج ـ ياللروعة !

المتنبي ـ

تخوفني دون الذي أمرَتْ به
ولم تدرِ ان العار شر المصـائب
يهون على مثلي اذا رام حاجـة
وقوع العوالي دونها والقواضب

المتنبي ـ ايها الامير ...

ابن طغج ـ [يتناول كأساً ليعطيه] اليك المفتاح ، ولتأت الينا في مجلسنا .

المتنبي ـ لم اشرب قبل الآن ايها الامير

ابن طغج ـ وأطلب اليك ان تفعل

المتنبي ـ اسأل الامير اعفائي ...

ابن طغج ـ بحقي الا شربت

المتنبي ـ [بعد تردد يأخذ الكأس ويشرب اغلب مافيها]

ابن طغج ـ [بين اصوات الاستحسان] الشكر لك يا احمد

المتنبي ـ

سقاني الخمـــر قولك لي بحقي
وُدٌّ لم تَشُبْه لي بمَـــذق

يميناً لو حـــلفتَ وانت نـاءٍ
على قتلي بهـا لضربتُ عنقـي

[اصوات استحسان وسرور من الحاضرين]

العلوي ـ انك والله لمن اكابر الشعراء

ابن طغج ـ بل افضلهم .

المتنبي ـ الشكر لثناء الامير

ابن طغج ـ ماخدعتُك بالثناء

المتنبي ـ وما خدعتك اذ محضتك خالص الود

ابن طغج ـ ... هل تستجيب لطلبه

ابن طغج ـ اذن نُتح لك بعض الراحة ، فيا يسمعنا عماد بعض الغناء

عماد ـ السمع والطاعة

ابن طغج ـ وما احسبنا بعيدين عن ان نكون من بطانتك ياعماد

عماد ـ ألاحظ ايها الامير ان عدد بطانتي قد ازداد

ابن طغج ـ اذن يشترك معك في الانشاد من يشاء

عماد ـ سأسمع الامير ضرباً جديداً

ابن طغج ـ ولمن تغنّي !؟

عماد ـ لو اني سمعت لأبي الطيب في الغزل الصرف لغنّيت به

ابن طغج ـ ألديكَ ماتلقن عماداً يا ابا الطيب !؟

المتنبي ـ والله ، ايها الامير ، لاتميل نفسي الى الغزل

ابن طغج ـ واذا شربت

المتنبي ـ لم اشرب قط ؛ ايها الامير !؟

ابن طغج ـ وان طلبتُ ان تشرب !؟

المتنبي ـ اعتذر الى الامير فيعذر

ابن طغج ـ الحرة تطلق النفس من سجن الفكر القاسي

المتنبي ـ للحق ان نفسي في سجن رهيب

ابن طغج ـ ومَن تراه قد زجّك في هذا السجن

المتنبي ـ جهلي يغلب معرفتي ذلك ايها الامير

ابن طغج ـ اذن نطلقك من سجنك الى حين

المتنبي ـ ماأعسر هذا الامر ، وابواب سجني مصفّحة بالحديد

ابن طغج ـ لا عليك ابا الطيب . اذ ما تجدي مناعة الابواب المغلقة عليك ان كانت مفاتيحها في يديك .

المتنبي :

سرى النوم عني في سراي الى الذي
صنائعه تسري الى كل نائم
كريم نفضتُ الناس لمّا بلغته
كأنهم ماجفَّ من زاد قادم

ابن طغج ـ الله الله . لافض فوك يا ابا الطيب .. ووالله ما كنتُ اراني مستحقاً مثل هذا

المتنبي ـ أيَّد الله الامير .. ان مافهتُ به لايعدل عشر ما يُعرف عنه من كريم الخصال .

ابن طغج ـ لسوف يُجزل عطاؤك

العلوي ـ انه لمستحق ايها الامير

ابن طغج ـ ها ابو القاسم ، يا ابا الطيب .. أفلا تسمعنا ماقلتَ في مدحه ؟

المتنبي ـ أفي حضرة الامير افعل !؟

ابن طغج ـ لقد علمتَ انه خلٌ لي

العلوي ـ لو تفضل الامير وأرجأ هذا الامر

ابن طغج ـ لاتستحيي ابا القاسم ..

العلوي ـ والله ..

ابن طغج ـ غير اني انزل عند رغبتك وارجىء الامر حتى يستردَّ ابو الطيب انفاسه

المتنبي ـ لو واصلتُ مديحك الليل والنهار ماتعبت

ابن طغج ـ كل ماتقول فخم يا ابا الطيب

المتنبي ـ ماقلت الا ما احس في ذاتي للامير

فليس بمرحوم اذا ظفـــروا به
ولا في الردى الجاري عليهم بآثم
اذا صلتُ لم اترك مجالا لصائل
وان قلت لم اترك مجالا لعـــالم
والا فخانتني القوافي وعاقـــني
عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

ابن طغج ـ خلافاً لما تقول اراك شديد العزم يا ابا الطيب
المتنبي ـ ألا اسير نحو الامير !؟
ابن طغج ـ ولعلك بمثل هذا النظم الرفيع قد جئتنا طائراً
العلوي ـ لقد صدق الامير

المتنبي ـ

وإلا فخانتني القوافي وعاقـــني
عن ابن عبيد الله ضعف العزائم
عن المُقتني بَدَلَ التلاد تلاده
ومُجتنب البخْل اجتناب المحارم
وذي لجب لا ذو الجناح امـامه
بنـاج ولا الوحش المثار بسالم
حمته على الاعداء من كل جانب
سيوف بني طغج بن جُفّ القماقم
هم المحسنون الكَرّ في حومة الوغى
واحسن منه كرّهم في المكارم

ابن طغج ـ ابشر ابا الطيب

المتنبي ـ حسبت . . .

ابن طغج ـ ارغب في ان تنشد مانظمت في مديح ابي القاسم في هـــذا المجلس .

العلوي ـ الشكر الجزيل للامير

المتنبي ـ هل يأذن لي الامير بان ابدأ بقصيدة نظمتها في مدحه !؟

ابن طغج ـ افعل ، مادمتَ تريد

المتنبي ـ [يحاول الوقوف]

ابن طغج ـ وانت في مكانك جالس

المتنبي ـ الشكر للامير

ابن طغج ـ انك لتستحق كل اكرام

المتنبي ـ

انا لائمي ان كنتُ وقت اللوائم
عـــلمت مابي بين تلك المعـالم
ولكنني ممـــا شدهت متيَّم
كسال وقلـــبي بائح مثل كاتم
وما لي وللدنيا طـــلابي نجومها
ومسعاي منها في شدوق الاراقم
من الحلم ان تستعمل الجهل دونه
اذا اتسعت في الحلم طرْق المظالم
وان ترد الماء الذي شطْره دم
فيُسقى اذا لم يُسقَ من لايزاحم
ومن عرف الايام معرفتي بهـا
وبالناس روَّى رمحه غير راحم

المتنبي ـ انما الذنب ذنبي ، ايها الامير

ابن طغج ـ أمثلك من يذنب !؟

المتنبي ـ كان في خاطري قصد الامير قبل حضور محمد الي

ابن طغج ـ اشكرك لمروري في خاطرك

المتنبي ـ ولقد كنتُ اعددت قصيدة رأيت فيما بعد انها غير وافية حقك من المديح ، فأرجأت قصدك حتى انظم سواهـا

ابن طغج ـ ما كنت راغباً باكثر من ان اراك وأسمع نطقك ، فان لم تنظم فلا عُتب عليك

الصوفي ـ لم يُعقنا عن العود ، ايها الامير ، الا انشغاله في نظم قصيدة

ابن طغج ـ وتقول انك لم تنظم !؟

المتنبي ـ للحق ، ايها الامير ، اني كنت قد نظمت قصيدة قبل القصيدةالتى نظمتها بحضور ابن القاسم

ابن طغج ـ لديك قصيدتان اذن !؟

الصوفي ـ ثلاث قصائد ايها الامير

ابن طغج ـ ثلاث ؟

الصوفي ـ واحدة منها في مدح ابي القاسم

ابن طغج ـ أحقاً ؟

المتنبي ـ حقاً ايها الامير

الصوفي ـ وقـــد سمعته يقول ان من غير اللائق انشادها في حضرة الامـير .

ابن طغج ـ ولمَ يا ابا الطيب

ابن طغج ـ اهلا بالرجل الخطير والشاعر الكبير

المتنبي ـ [وقد سرّه اللقاء] أبْلَغُ الاحترام يزجى للامير الكريم

ابن طغج ـ والله إلا جلستَ قربي

المتنبي ـ ايها الامير !؟

ابن طغج ـ تقدم ، فانك لجدير بكل احترام

المتنبي ـ [يتقدم بعُجب] والله ايها الامير ...

ابن طُغْج ـ هنا .. إجلس يا ابا الطيب

المتنبي ـ بعد الامير اجلس

[يجلس ابن طغج ويجلس الحاضرون]

المتنبي ـ [يجلس مزهواً] والله ايها الامير ، كل مابلغـــني عن كريم خصالك لايبلغ غيضاً من فيض

ابن طغج ـ وانك بمثل تعبيرك نلتَ من الاكرام

المتنبي ـ الشكر للامير

الغلوي ـ التحية لأبي الطيب

ابن طغج ـ انه ابو القاسم طاهر العلوي

المتنبي ـ كدتُ والله اعرفه ، فان مابلغني عن كريم اصله ، ودمث خلقه، باد في سيمائه

العلوي ـ اقوالك شعر منظوم يا ابا الطيب

الصوفي ـ وما تراك قائلا بشعره اذن !؟

ابن طغج ـ لن نغفر لك اطالتك علينا يا ابن القاسم

الصوفي ـ والله ايها الامير ...

ابن طغج ـ والله ما أحبَّ امرؤ كما احبَّ ابن الملوَّح ، وما ظهر تبريح في حزن رصين صادق ، مثل ظهوره في نفثات قيس .

العلوي ـ بلى والله

ابن طغج ـ هل لك في ان تزيدنا ياعماد

عماد ـ اني طوع امرك

[يدخل ابن الصوفي]

المشهد الثالث

الصوفي ـ جئتك بالمتنبي يامولاي

ابن طغج ـ حياك الله يا ابن القاسم وبياك

الصوفي ـ ولقد استوقفته ريثما استأذن له

ابن طغج ـ ما كان لك ان تفعل

الصوفي ـ هل يأذن الامير ..

ابن طغج ـ فليدخل الرجل العظيم يا ابن القاسم

[يخـــرج ابن الصوفي]

ابن طغج ـ لقد تحقق حلم بلقاء المتنبي

العلوي ـ يقارب الامر ما قال الامير

المتنبي ـ [يدخل] السلام على الامير المقدام وصحبه الكرام

[يقف ابن طغج والحاضرون]

ولما شكوتُ الحب قالت كذبتني
فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق الجلد بالحشى
وتخرسَ حتى لاتجيب المناديا

ابن طغج ـ احسنت احسنت ياعماد ، ولقد اجاد الشاعر والله كل الاجادة .

العلوي ـ لااحسب هذا من شعر المتنبي

ابن طغج ـ ولمَ !؟

العلوي ـ إلا ان تكون وراء هذين البيتين ابيات اخري في المديح او في التعالي والفخر

ابن طغج ـ ما يقول عماد ؟؟

عماد ـ لا احفظ سوى هذين ، ايها الامير

ابن طغج ـ مَن قائلها !؟

عماد ـ مَن غير المجنون ايها الامير

ابن طغج ـ قيس الملوَّح !!.. الا رحم الله هذا الفتى النبيل

العلوي ـ سمعتُ من قول المجنون ماهو متناه في صدق الحب وصفاء الوجدان

ابن طغج ـ هل تقول !؟

العلوي :

براني الهوى بري المدى وأذابني
صدودك حتى صرتُ أنحل من امس
فلستُ أرى حتى اراك وانما
بيين هباء الذَر في أَلق الشمس

هذا النقص

العلوي ـ ولست ادري مايقول الامير في هذا البيت وما يعقبه

ضاق ذرعاً بان اضيق به ذر
عاً زماني واستكرمتني الكرام

ابن طغج ـ بم تراه قد ضاق ذرعاً هذا الزمان !!؟

العلوي ـ ان صح تفسيري ايها الامير ، يكون الزمان قـــد ضاق ذرعاً لاخفاقه بجعل الشاعر ينحني لما يصب عليه من محن

ابن طغج ـ تريد ان الشاعر يقول بانه اقـــوى من الزمن في صموده لأرزائه !!

العلوي ـ هذا ما يلوح لي ، ثم بقصد الا اجرح كبرياء الامير ، اصرف النظر عن ابيات تعقب ذاك البيت ، لأذكر له بيتاً في القصيدة هو ، على ما رأيت ، افضل بل اروع ماقيل في المديح

ابن طغج ـ حسناً !

العلوي ـ يقول للممدوح :

خير اعضائنا الرؤوس ولكن
فضلتها بقصـــدك الاقـــدام

ابن طغج ـ لعمر الحق ، ماجاء مخيَّلة مثلُ هذا المعنى قط ، الا ان على البيت مآخذ لا احب ان اذكرها

العلوي ـ يبدو في خيالي مثل ماتفضل به الامير

ابن طغج ـ فلنشرب ثم يغنينا عماد مايعنُّ له

عماد ـ الطاعة للأمير ـ [ينشد]

ابن طفج ـ افضل قبل ذلك سماع شيء من روائع هـذا الرجل الغريب الاطوار .

العلوي ـ اذن أسمع مولاي من قصيدة مَدَحَ بها ابا الحسن المُرّي في طبريا .

ابن طفج ـ هات يا ابا القاسم العلوى ؟

لا افتخار الا لمن لا يضام
مدرك او محارب لاينام
ليس عزماً مافرّط المرء فيه
ليس هماً ماعق عنه الظلام
واحتمال الاذى ورؤية جانيـ
ـه غذاء تضوى له الاجسام
دلّ من يغبط الذليل بعيش
رب عيش اخف منه الحمام
كل حلم اتى بغير اقتدار
حجة لاجىء اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميّت ايلام

ابن طفج ـ لعمري ان هذا لمن اروع الشعر

العلوي ـ عيب هذا الشاعر ايها الامير ، شدة اعتداده بنفسه وغلوّه في تقديرها

ابن طفج ـ نعم فلقد سمعت بمثل هذا عنه ، بيد ان العاقل يسامح له

ابن طفج ـ هل تسمعنا منه

عماد ـ ان ماهو اكثر رسوخاً في ذهني لا يليق بمجلس الامير العادي

ابن طفج ـ وما تقصد بالعادي !

عماد ـ اقصد خلوّه من الشراب

ابن طفج ـ [يطلب الى الغلمان احضار الشراب ، ثم] لقد كنتُ على وشك طلب الشراب ، بقصد اظهار المزيد من الحفاوة بمقدم هذا المتنبي المعجز .

[يدخل الغلمان بالشراب والفاكهة]

ابن طفج ـ فلتُصلح قيثارتك ياعماد

عماد ـ قيثارتي جاهزة ايها الامير

ابن طفج ـ هل يكفي الحاضر من بطانتك لمعاونتك في الانشاد

عماد ـ يعلم الامير مايفعل الشراب وتفعل الاوتار

ابن طفج ـ [ضاحكاً] لقد احسنت التورية ياعماد

العلوي ـ وادركتُ والله ما رمى اليه

ابن طفج ـ لاتكاد الكأس الثانية تدار ، حتي ينزلق اليها الوقار ويصبح كل الشاربين في البطانة والاوتار .

[ويضحك المجلس او يتضاحك]

ابن طفج ـ هات الآن وأسمعنا مما تحفظ من شعر المتنبي

عماد ـ أيمّا نظم في العراق ؟؟

ابن طفج ـ بلى

عماد ـ هل يرغب الامير بان انشد

عماد ـ وهاتان التماعتان اراهما

وعجاجة ترك الحديد سوادها

زنجاً تبسَّمُ او قذالا شائبا

فكأنما كُسيَ النهار بها دجى

ليل واطلعت الرماح كواكبا

ابن طفج ـ رائع

عماد ـ والى بصيرة الامير النفاذة هذه اللمعات المتلاحقة !

هذا الذي ابصرتُ منه حاضراً

مثل الذي ابصرتُ منه غائبا

كالبدر من حيث التفتَ رأيته

يهدي الى عينيك نوراً ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهراً

جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

ابن طفج ـ لقد اجاد والله

عماد ـ انه مجيد في كل مانظم من شعر ايها الامير ، وقد لاتجد من لا يحفظ من شعره ، حتى من البشر الذي قرضه قبل ارتحاله من العراق .

ابن طفج ـ هل تحفظ مما نظمه في العراق

عماد ـ احفظ ايها الامير ، انما الذي احفظه ، اشك في ان يكون من نظم المتنبي .

ابن طفج ـ لأي سبب تشك

عماد ـ لان في بعض ما احفظ من شعره ضحولة ظاهرة ، وفي بعض اخر بذاءة فاضحة .

الناعمات القاتلات المحييا
تُ المبديات من الدلال غرائبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلّصاً
من بعد ما انشبن فيّ مخالبا
ونصبنني غرض الرماة تُصيبني
محنٌ احدُّ من السيوف مضاربا
اظمتنيَ الدنيـــا فلمـا جئتها
مستسقياً قد امطرتني مصائبا

ابن طغج ـ ما اعظم بؤس هذا الشاعر

العلوي ـ وما اشد شوقي الى ان اسمعه ينشد

ابن طغج ـ سوف اطلب اليه ان ينشد في مدحك

العلوي ـ ايها الامير !

ابن طغج ـ تعلمُ انك خدني يا ابا القاسم

العلوي ـ ما اكرم خلقك

ابن طغج ـ لكن ابطاء ابن القاسم يقلقني
لا احسب الامير لابثاً في انتظاره طويلا

ابن طغج ـ هل لك ان تكمل ياعماد

عماد ـ القصيدة طويلة ايهـــا الامير . فان اذنت لي اكتفيت بذكر اللامع من ابياتها .

ابن طغج ـ افعل

عماد ـ ... ما اشبه هذه القصيدة بحال البرق يامولاي .. يفاجئك بالتماعة خاطفة حيناً ، وتترى عليك لُمع متلاحقة احياناً .

العلوي ـ انه ينطق بالصواب ايها الامير

ابن طغج ـ واحسب ان ابن القاسم غير عائد بدونه ، بعد ان رأى شدة الحافي بطلبه .

العلوي ـ لعل المتنبي في مجلس احد الاعيان ، اذ في علمك ايها الامير ان الرجل اصبح مطلب الامراء والحاكمين .

ابن طغج ـ بلى .. ولولا ان اكون عالماً بذلك ، ما الحفت في طلب احضاره الي .

العلوي ـ هل بلغت مسامع الامير القصيدة التي نظمها في مدح علي بن منصور الحاجب .

ابن طغج ـ للحق انها من غرر الشعر . وتمنيت لو انك حافظ منها .

العلوي ـ احفظ بعض ابياتها

عماد ـ اني احفظ القصيدة برمتها ايها الامير

ابن طغج ـ هذا طالع حسن

عماد ـ ويحفظها كثيرون سواي ايها الامير ، فهي قد اصبحت مدار احاديث المجالس في كل مكان

ابن طغج ـ هل تتلو منها علينا

عماد ـ السمع والطاعة ايها الامير

ابن طغج ـ عسانا نلهو بها عن مضض الانتظار

عماد ـ

بابي الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الحرير جلابيا
المنهبات قلوبنا وعقولنا
وجناتهن الناهباتُ الناهبا

(ويدخل عليه المتنبي وفي يده ورقة منشورة ، قائلا) هي ذي ، لم يجف مدادها بعد .

الصوفي ـ انك خير الملهَمين

المتنبي ـ اعوذ بالله من هذا

الصوفي ـ الا اسمع ما نظمت !؟

المتنبي ـ ليس الآن يا ابن القاسم . أفلستَ على عجل من الامر !؟

الصوفي ـ بلى يا ابا الطيب ..

المتنبي ـ هيا بنا اذن

ويمضي المتنبي الى ابي محمد الحسن بن عبدالله بن طُغج ، فيمضي عنه النحس من هذا الحين ، ويلتمع سعده في الافق القريب .

ذاك ان مديحه بن طغج كان اول مديح أُسنيت عليه جائزته وتحفـــزت للوثوب شهرته . اذ مالبث حتى سار ذكره ونَبُه شأنه فرغب بمدائحـــه الامراء والحاكمون .

ونسبق ابا الطيب الى قصر ابن طغج في الرملة وندخل عليه مجلسه ...

المشهد الثاني

ابن طُغْج ـ [جالس على متكىء] طال والله غياب ابن القاسم

طاهر العلوي ـ أفي ظنك انه لم يلق المتنبي حيث يقيم

العلوي ـ لعل ابن القاسم في انتظار اوبته من رحلة

بالسير هوناً على قدميه .. لقد ملك الارض وهو مُعسر . وها هو فوق السماكين وكأنه يطلب ان يثب وثباً الى المجد او المال او مالست ادريه ... للحق ان لاحدَّ لطموح هذا الشاعر الفذ ... فلنر ما يطلب ايضاً ...

تُحقّر عندي همتي كل مطلب
ويقصر في عيني المدى المتطاول
وما زلت طوداً لاتزول مناكبي
الى ان بدت للضيم فيَّ زلازل
فقلقلتُ بالهم الذي قلقل الحشى
قـــلاقل عيس كلهن قلاقل

قل قل قل ... لم تعجني هذه القلقلة

اذا الليل وارانا ارتنا خفاؤها
بقدح الحصى ما لا ترينا المشاعل
كأني من الوجناء في ظهر موجة
رَمتْ بي بحاراً ما لهن سواحل

تصوير طريف ...

يخيَّل لي ان البلاد مسامعي
وانيَ فيها ما تقول العـــواذل
ومن يبغي مابغي من المجدوالعلى
تساوى المَحايي عنده والمقـاتل

المحايي !!؟... مامعنى محايي :؟... لعلها جمع محيا مصدر من الحياة ...الامر في الحقيقة هو ذلك ... فهذه مقاتل تعقبها . ولا ريب في ان مقاتل مصـــدر من القتل .. فقوله اذن بتساوي الامرين لديه ، يريد به انه في سبيل المجد الذي يبغيه تتساوى عنده الحياة والموت .. لكن ...

الصوفي ـ سوف تراه في مجلس الامير ، فالامير يجّله بالغ الاجلال .

المتنبي ـ تصبر اذن حتى اعد قصيدة للامير

الصوفي ـ اصبر

المتنبي ـ [يتناول عن منضدة قريبة ، وريقة من بين اوراق] ولكي لا تمل انتظاري ، اليك القصيدة التي طلبت .

الصوفي ـ الشكر لك يا ابا الطيب

المتنبي ـ وآمل الا اطيل

الصوفي ـ لاريب في ان مطالعتها ستنسيني الزمن

المتنبي ـ [وهو يخرج] سأعود اليك وشيكاً .

وينفض ابن الصوفي بصره في الوريقة ثم يقرأ :

قِفا تريا وَدقي فهاتا المخايل
ولا تخشيا ظُلفاً لما انا قائل

رماني خساس الناس من صائب استه
وآخرُ قطنٌ من يديه الجنادل

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله
ويجهل علمي انه بي جاهل

ويجهل اني مالك الارض مُعسراً
واني على ظهر السماكين راجل

ويفكر ابن الصوفي في معنى هذا البيت ثم لايلبث حتى يقول وكأنه اهتدى الى ماعناه الشاعر في هذا البيت الذي استوقفه .

الصوفي ـ بلى والله .. هذا ماعناه في قوله فوق السماكين راجل .. انه يقول بعدم قناعته بالسير على قدميه فوق السماكين .. حتى فوق السماكين لايقنع

غثاثة عيشي ان تغثّ كرامتي
وليس بغثٍ ان تغثّ المآكل

الصوفي ـ هذا ختام قصيدة لك

المتنبي ـ كيف علمت

الصوفي ـ ومطلعها : قفا تريا ودقي

المتنبي ـ الامر كما تقول

الصوفي ـ وتمنيت لو تستكتبني هذه القصيدة ، بعد ان نفر من ذهني معظمها .

المتنبي ـ سوف افعل

الصوفي ـ طلاوة حديثك ورقة شمائلك ، انستني ان الامير الحسن ينتظر بصبر فارغ ذهابك اليه

المتنبي ـ لكنك علمت اني ما قلت شيئاً

الصوفي ـ والله يا ابا الطيب ما افترق عنك الا في مجلس الامير

المتنبي ـ هل هذا الاصرار مستوحى من ابن طغج

الصوفي ـ دون اي رب

المتنبي ـ وهل تصبر حتى تُعدّ قصيدة

الصوفي ـ تُعدّ قصيدتين

المتنبي ـ كيف ذلك !؟

الصوفي ـ واحدة تمدح بها ابا القاسم طاهراً العلوي . وهو رجل معطاء .

المتنبي ـ انك تقول الصدق عن عطائه .. وما أكذبك اني كنت عازماً على قصده لما بلغني عن كرمه ، وقد اعددت قصيدة له .

المتنبي ـ انك تبالغ يابن القاسم

الصوفي ـ لا احسبني بالغت

المتنبي ـ لكن ...

الصوفي ـ ان الامير الحسن ما انفك عن تسقط اخبارك مـــذ برحت السجن .. وليتك علمت عظم سخطه على بشر النمام ، وعظـــم سروره لما آل اليه امره .

المتنبي ـ ماسجنني الا الحسد يابن القاسم

الصوفي ـ وما اظهر نبوغك العظيم الا الحسد يابا الطيب

المتنبي ـ لكم اكره الحاسدين وأمقتهم

الصوفي ـ تمقتهم وتزدريهم ايضاً ، ولعلك تزدري الناس طراً

المتنبي ـ ما هذا القول

الصوفي ـ وكل ماقد خلق الله وما لم يخلق محتقر في همتي

المتنبي ـ أوصلك هذا !؟

الصوفي ـ ووصلتنا التماعات معكوسة عن مرآة نفسك

المتنبي ـ ماتقصد بقولك !؟

الصوفي ـ اقصد ان اغلب مانظمتَ ، حتى في المديح ، انعكاس واضح لنفسك المتعالية ، على قلة رزقك ورقة حالك

المتنبي ـ سيبقى هذا الصلّ ناهشاً في كبدي ، حتى يبهر باصريه التماعُ الذهب في يدي .

الصوفي ـ من يسمع شعرك يا احمد ، يحسب انك اغنى الاغنياء لعظـــم تعاليك وشموخك

المتنبي ـ [كأنه يخاطب نفسه]

الفصل الثاني

انطلق ابو الطيب المتنبي من سجنه الواقعي الضيق الى سجن رحيب من الفاقة ومرير الاحاسيس . بيد ان اسمه كان قد اخذ يقـــرع الاسماع بشيء من العنف . وما لبث فترة عقب انطلاقه من السجن حتى غدا مدحه مطمع الامراء ، وشعره على السنة العلية والغوغاء .. ولعل فاتحة عهده باليسر قـد بدأت في الزمن الذي اقام فيه بناحية من الرملة في فلسطين سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . ففي يوم من ايام شعبان لتلك السنة ، ارسل اليه الحسن بن طُغْج رسولاً خاصاً مع ركوبة يركبها ، يدعوه للشخوص اليه .

وها إنا نراه ونسمعه في محاورة مع الموسول محمد بن القاسم الصوفيّ .

المشهد الاول

الصوفي ـ فلا والله مارجعت الا برفقتك

المتنبي ـ الامير يطلب شعراً ، وما قلت شيئاً

الصوفي ـ ان مولاي الامير الحسن بن طُغْج اقسم الاّ اعود اليه الا وانت معي .

المتنبي ـ وما افعل ان كنت لم اقل شيئاً

الصوفي ـ لاتخفى على الامير مقدرتك على ارتجال الشعر

المتنبي ـ ليس الارتجال ميسوراً للشاعر كل حين

الصوفي ـ ما عدا المتنبي

الفصل الثاني

بشر ـ [وهو يقف غاضباً] ارضى الامير لي الهوان ::

لؤلؤ ـ [الى الحاجب] ناد حرس هذا الفتى

بشر ـ ايها الامـير ! !

لؤلؤ ـ [الى المتنبي] اما انت فمطلق السبيل

[يدخل جنديان]

لؤلؤ ـ [مشيراً الى بشر] فليوضع القيد في قدمي هذا النمام

بشر ـ رحماك ايها الامير

[يقيّد الجنديان بشراً]

لؤلؤ ـ ولتذهبا به السجن

(ويسوق الجنديان بشراً بينما يشكره المتنبي ثم ينطلق وكأنه يفر)

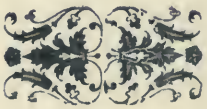

اطالتَ ايها الفتيُّ دمك
بشر ـ بالهذيان الذي ملأت فمك

اقسمتُ لو اقسم الامير على
قتلك قبل العشاء ماظلمك

لؤلؤ ـ هل تردّ

المتنبي ـ لولا مايبدو من رغبة الامير ، ماتدنيت للرد عليه

لؤلؤ ـ إفعل وانت طليق من الاسر

المتنبي ـ وددت قول ما اشكر به الامير

لؤلؤ ـ أفضّل ان ترد عليه بقافيته ان استطعت

بشر ـ مولاي الامير . .

لؤلؤ ـ وبشر الذي افترى عليك لا بدّ حالٌ في السجن محلّك

بشر ـ ما كان همّي ايها الامير ..

لؤلؤ ـ لاتزد

المتنبي ـ يعلم الامير ما كان همك ايها النمام

لؤلؤ ـ أفحمه

المتنبي ـ

همّك في امرد تقلّب في
جرح فناة من عرضه قلمك

وهمتي في انتضاء ذي شطَب
اِقدُّ يوماً بحدّه أدمَك

فاخسَ كلباً واقعد على ذنب
وأظلّ بما بين أليتيك فمك

اعددتُ في خاطري ما تصـــورت اني مجيب به على حالين قد تعرضان لي مع هذا المآثر .

لؤلؤ ـ قل مما اعددت

بشر ـ اقول لهذا الدعي :

إلزم مقـال الشعر تحظى بقربه
وعن النبوَّة لا ابا لك فانتزح

تربح دماً قد كنت توجب سفكه
انَّ الممتع بالحيـاة لمَن ربح

لؤلؤ ـ رصف كرصف اللبن في جدار ، وهيكل خـــلو من الهندسة والفخامة والزخرفة

بشر ـ وددت يامولاي . ..

لؤلؤ ـ [الى المتنبي] هل ترد عليه بعين القافيه ايها الفتى

المتنبي ـ بيت واحد ان اجاز لي مولاي

لؤلؤ ـ افعـل

المتنبي ـ [الى بشر] ليس مثلك من ينهاني ، ولا في يد مثل يدك دمي .

امري الي فان سمحتُ بمهجة
كرُمتَ عليَّ فانمثليمن سمح

بشر ـ هل سمع الامير عجرفة هـــذا القذر واستهانته حتى بالامير ومجلسه .

المتنبي ـ بين حنايا الامير ماليس في عظامك النخرة ايها الطيطبل

المتنبي ـ

فلا تسمعنّ من الكاشحين
ولا تعبأن بمحك اليهـــود

لؤلؤ ـ نهي مقبول

المتنبي ـ

وكن فارقاً بين دعوي اردتُ
ودعوى فعلت بشأو بعيـــد
وفي جود كفّيك ما وُجدتَ لي
بنفسي ولو كنتُ اشقى ثمود

لؤلؤ ـ عوفيت ايها الفتى ، ووالله قد فتحتَ بصيرتي فأبصرتُ ان بشراً مقصّر وانك اجدت

بشر ـ ايها الامير . . .

لؤلؤ ـ [الى بشر] كنتَ تسمعني من شعرك فاتوهّم انه منحدر الي بصوتك من السحاب ، لما كنتُ اتخيّل من سموّه .

بشر ـ مولاي .

لؤلؤ ـ اما وقد سمعتُ لهذا الفتى الذى اتهمته ظلماً

بشر ـ وددت لو اجاز لي مولاي ان اردّ على هـذا الدعي

لؤلؤ ـ وهل في قدرتك ان ترد

بشر ـ [الى المتنبي] ايها الفدم !

المتنبي ـ [يبتسم]

لؤلؤ ـ نعتٌ مردود عليك .. ثم جابهه ان استطعت

بشر ـ اني اعلم بدهائه من أي احد سواي ، ولذلك ، ايها الامـــير ،

فـوّلى بأشياعه الخَرْشَنيّ
كشاء احست بزأر الاسود

أمالِكَ رقّيَ وَمن شأنه
هبـات اللجين وعتـق العبيد

دعوتك عنـد انقطـاع الرجا
ء والموت مني كحبل الوريد

دعوتك لمـا براني البـــلاء
وأوهن رجليَّ ثقل الحديد

وقد كان مشيهما في النّعال
فصـار مشيهما في القيـــود

لؤلؤ ـ اطلقوا قيده
المتنبي ـ الشكر للامـير
لؤلؤ ـ اكمل
المتنبي ـ بلى ايها الامير
وقيد عـدوتَ على العـاليـ
ـنَ بين ولادي وبين القعود

فمـا لك تقبل زور الكلام
وقدر الشهادة قـــدر الشهود

لؤلؤ ـ هل سمعت يا بشر
بشر ـ والله ايها الامير ...
لؤلؤ ـ اكمل ايها الفـتى

بشر ـ هذا المنافق ايها الامير ...

لؤلؤ ـ هات مما عندك ، وقد والله بت مشوقاً اليه

المتنبي ـ [يخرج من عبه ورقاً ويأخذ بالانشاد]

ايا خـدَّ الله ورد الخـــدود
وقدَّ قُدودَ الحسان القدود

فهن ارسلن دماً مقلـــتي
وعذبن قلبي بطول الصدود

وكم للهوى من فـــتى مدنف
وكم للنوى من قتيل شهيد

فواحسرتا مـا امر الفـراق
وأعلـــق نيرانه بالكبود

وأغـري الصبـابة بالعـاشقين
وأقتـلهـا للمحب العميـــد

وأُلهَـجَ نفسي لغـير الخنـا
بحب ذوات اللمى والنهـــود

فكانت وكنا فداء الامير
ولا زال من نعمة في مزيد

لقد حال بالسيف دون الوعيد
وحالت عطـاياه دون الوعـود

رمى حلباً بنواصي الخيـــول
وسمر يُرقن دماً في الصعيد

يقدن الفَنَـاء غداة اللقـاء
الى كل جيش كثير العديد

لؤلؤ ـ من ارسلك نبياً !؟

المتنبي ـ تتعاظم ثقتي بعفو الامير ، مادام يعلم ان الله وحده يرسل الانبياء .

لؤلؤ ـ وهل انت مرسل

المتنبي ـ اصرار الامير يدفعني الى الرد بالايجاب

لؤلؤ ـ تريد انك مرسل !؟

المتنبي ـ اجل مرسل ايها الامير

بشر ـ لقد شهد على نفسه يا مولاي

المتنبي ـ لكني مرسل من قبل بشر هذا ايها الامير

بشر ـ يا للدهاء

لؤلؤ ـ اراك تود الايقاع بشر

بشر ـ ايها الامير ...

المتنبي ـ اجل ايها الامير لانه هو الذي ارسلني

بشر ـ مولاي ...

المتنبي ـ لكنه ارسلني الى السجن والهوان

لؤلؤ ـ وكيف فعل

المتنبي ـ دفعه الحسد الى الوشاية بي ولولا ان يبلغ امري مسامع الامير لصرت الى الفناء في غيهب السجن .

بشر ـ ان يأذن الامير ...

لؤلؤ ـ وما الذي تطمع فيه لدينا

المتنبي ـ ان يؤذن لي باعلان ما أكنه من الاجلال والامتثال للامير الاريب لؤلؤ الكريم ، وللسلطان المهيب الاخشيد العظيم .

[ويدخل المتنبي وفي قدميه قيد من حديد]

المشهد الخامس

المتنبي ـ السلام على الامير العظيم ، منصف الكريم من اللئيم

لؤلؤ ـ عجباً ، عجباً ! !

المتنبي ـ في عجب الامير لقيود قيدني بها العسف ، امـلٌ بحريتي عظيم .

لؤلؤ ـ والله ماخلت ان القى وراء هذا الاهاب ، مثل ما يلوح من دهاء

بشر ـ لقد حذّرت الامير من خبثه

المتنبي ـ بِشْر ـ هذا ايها الامير ..

لؤلؤ ـ ماذا تدعى

المتنبي ـ انا احمد بن الحسين الجعفي الكندي

لؤلؤ ـ هل انت نبي

المتنبي ـ حاشا ...

لؤلؤ ـ [متابعاً] ومتى أُرسلت ، وما بلغ عدد من اتّبعك !؟

المتنبي ـ لم اقل ...

لؤلؤ ـ قل من ارسلك

المتنبي ـ في سؤال الامير مطمع لي بعطفه ، وامل بتحوّله عن الاخذ لوشاية .

لؤلؤ ـ افأن كان من الكوفة تحتّم وضعه في مصاف علمائها

بشر ـ لقد اوشك هذا الداهيـــة ان يتخطى بخبثه مصاف العلمـاء الاجلاء

لؤلؤ ـ لم يطرق مسمعي ذكر لهذا الخامل قبل ان تأتيني بخبره

بشر ـ لسوف يلمس الامير شدة عجبه وكبريائه ، فيرى ايـــة نفس خبيثة تختفي وراءها

لؤلؤ ـ [الى الحاجب] فليؤت بالسجين

حاجب ـ الطاعة لمولاي

لؤلؤ ـ لقد بلغني ممن شفع له عندي ان الرجل قد ظُلم وذهب ضحيـــة وشاية كاذبة .. فان كنتَ غير واثق مما قلت ..

بشر ـ والله ايها الامير ...

لؤلؤ ـ لكن رأيتني اشفق عليه فابعث استحضره الي .

بشر ـ والله ..

حاجب [يدخل] المتنبي بامولاي

لؤلؤ ـ إخسأ ، لا ام لك .. ارسلك في طـــلب السجين فتأتيـــني بمتنبّ .

حاجب ـ اجرؤ يامولاي وأقول ان السجين والمتنبي واحد

بشر ـ حتى الى قصر مولاي امتدت غواية الافاك

لؤلؤ ـ [الى الحاجب] ادخل الرجل

حاجب ـ [يخرج]

لؤلؤ ـ والله ما رأيت اعجب من امره

حاجب ـ [يدخل] السجين بامولاي

لقد مضى ابو دلف بن كنداج يستصرخ المتنفذين لدى امير حمص ويستدعي مروءتهم ، وما زال في سعيه حتى عاد الى ابن الهاشمي في كوتكين وفي يده كتاب من لؤلؤ يوعز بدفع المتنبي الى حمص .. وبعد ايام تلي يمثُل المتنبي بين يدي لؤلؤ وقد استُبدل قيد الصفصاف بقيد من حديد ، فكان لهذا التبديل اثر في نفسه كبير ، بدّل اليأس بالامل وبالبأس الملل .. ثم لعل استنشاقه نفحة من نسيم الحرية في انتقاله من كوتكين الى حمص ، قد ردّ الى كبريائه المحتضرة، حياتها وقوّتها ..

وندخل مجلس لؤلؤ في حمص لنشهد نهاية ابي الطيب السجين ....

المشهد الرابع

لؤلؤ ـ [متربعاً على دكة] .. لسوف نرى هذا الدعي الافّاك ونحكم على اعماله من مظهره

بِشْر ـ ان اجازني مولاي الامير لؤلؤ ، قلت ان إفك ذاك الدعي قد تعدى كل حد . ولم يقتصر خبثه على اغواء الكثرة من الناس في بني عدّي ، بل تعداه الى التحريض على الامير والى تطلعه الى السلطان

لؤلؤ ـ أحفظ مما ذكرتَ لي يا بشر ان الافاك ما زال فتى

بشر ـ يبدو ايها الامير انه لم يتجاوز العشرين

لؤلؤ ـ يخامرني اشد الريب في ان يأتي فتى بدوي مثل الاعمال التي ذكرت

بشر ـ ليس الرجل بدوياً ايها الامير ، انه من الكوفة

المتنبي ـ لعلك مصيب

ابو دلف ـ وعندي ان تنظم قصيدة تمدح فيها الامير وتشير الى انتصار الاخشيدية على بدر الخرشني عامل العباسيين على حلب وطرده منها .. ثم تسأله فيها ان ينصفك .

المتنبي ـ صواباً رأيت

ابو دلف ـ ولن اعود اليك الا وفي يدي امر نقلك الى حمص

المتنبي ـ جوزيت عني خيراً

ابو دلف ـ اشرع في نظم قصيدة عصماء .. ثم اني ادعوك الى تحمّل ما قد تلقاه من سوء معاملة ممن يخلفني في حراستك

المتنبي ـ اعدك

ابو دلف ـ وداعاً يا احمد

المتنبي ـ وداعاً ياصديقي الوفي

[وينطلق ابو دلف ولا يلبث ابو الطيب حتى يشرع في النظم]

• • •

فياللفتى المسكين ، ويالالظلم والحيف . . وما اعظم مأساة تطعن فيها الكبرياء نفسها بيدها ... أفبعد المغالاة بالكبر والبلوغ به حدّ ادعاء النبوّة ، إسفاف وهوان !؟.. ماأعجب احوال النفس ، وما اصدق الاعتقاد بان الظروف شبيهة بالموت ؛ هذا يلتهم الاجساد وتلك تلتهم الانفس .. الموت قد يلهو بطريدة ضيّقت عليها كلاب الامراض التى ارسلها وراءها ، والظروف قد تلهو بنفوس اثقلت لها قيود الاحاسيس التي كبلتها بها ... ومن ينظر الى سلوك الانسان في اعماله ، ينقاد الى تمثّل عنقه في الطوق ، فيرى الظروف قابضة على السلسلة تجر الانسان انى شاءت صعوداً وهبوطاً في معاني الحياة ...

ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ
تُ فاني على يـــديك اتـوب
عـائب عابـــني لديك ومنـــه
خُلِقَتْ في ذوي العيوب العيوب

ابو دلف ـ ما اقرب هذا الى الصدق في القول

المتنبي ـ لقد والله براني السقم والسأم ، وما كنتُ لأطعن كبريائي بيدي لولا تصوري اهلي محشورين في سجن الاهمال مع الحاجـة وسفلة الناس ، كما اني محشور في هذا السجن بين السفلة واللصوص .

ابو دلف ـ لكم انا راث لحالك

المتنبي ـ ولكم تمنيت الا اكون موضع رثاء

ابو دلف ـ غير اني في قطعتك هذه ما سمعت الا خرير جدول فتصورت الساقية .

المتنبي ـ ما تقصد يا ابا دلف

ابو دلف ـ لو اني سمعت هديراً لتمثلت البحر الصخاب

المتنبي ـ تريد ان لا فائدة من استعطاف ابن الهاشمي ؟

ابو دلف ـ سأمضي من اجلك الى الامير في حمص

المتنبي ـ ألؤلؤ تعني !؟

ابو دلف ـ اجل ... وسوف ابذل الجهد في سبيل ان يستدعيك اليه .

المتنبي ـ ألم تبلغني ان اناساً قد وشوا بي لديه وادعوا اني احاول اغتصاب سلطانه .

ابو دلف ـ بلى . غير ان في التجائك الى ابن الهاشمي مجازفة ومذلة ، ولا يتبدل الحال في التجائك الى لؤلؤ .

رجل قلتَ فيه :

زعم المقـــيم بكوتكين بانـه
من آل هـاشم بن عبد منـاف
فأجبتهم مذ صرتَ من ابنـائهم
صارت قيـــودهم من الصفصاف

المتنبي ـ الا ترى ان الواقع هو ما قلت

ابو دلف ـ انه والله لقول يثير السخط

المتنبي ـ وانه لعمل جائر ، عملُ السفيه ابن الهاشمي

ابو دلف ـ يدعوني الواجب الي ايذائك على قولك هذا

المتنبي ـ ابا دلف !!

ابو دلف ـ غير ان صداقتي القديمة لك ترُدني عن اذيتك

المتنبي ـ ألمثلي يقال هذا يا ابا دلف !؟

ابو دلف ـ ... ان رغبتَ بأن انقل رسالتك الى ابن الهاشمي فعلت

المتنبي ـ لا رغبة لي بذلك رغبة مطلقة . انما الحاجة ترغمني عليها .

ابو دلف ـ ولكي انقل رسالتك اشترط تلاوتها عـلي

المتنبي ـ لك ذلك ابا دلف ، ووالله ماقلتها رهبة من شدة او جـــزعاً من حيف .

المتنبي ـ [يقرأ ما في الوريقة]

بيـدي ايهـا الامـــير الاريب
لا لشيء الا لأني غـــريب
او لأُم لهـا اذا ذكرتـني
دم قلب بدمـــع عين بذوب

قرمتان من الصفصاف .. وبشاء القدر ان يكلف بحراسته رجل اسمه ابو دُلَف ، يُستَدلّ من الحوار الذي جرى بينهما ان معرفة على شيء من المتانة كانت قائمة بين الاثنين في زمن مضى ...

وندخل على المتنبي السجن فنسمع ابا دلف يتابع حديثاً له ..

المشهد الثالث

ابو دُلَف ـ ... ولقد سمعتُ ان ابن الهاشمي قد اقام الدنيا وأقعدها حين بلغه قولك فيه :

المتنبي ـ لكني قُصرتُ على كتابة ما في هذه الوريقة ، واني لمستحلفك على ايصالها اليه .

ابو دُلَف ـ لو اني مكانك لقصدت البحر دون الساقية

المتنبي ـ الامَ ترمي يا ابا دلف ! ؟

ابو دُلَف ـ ما الذي ترجوه من رجل قصير الباع في مجال النفوذ

المتنبي ـ ما حيلتي وهذا القيد يقف بي حتى عن بلوغ الساقية ، لكن اعود فأقول :

كن ايها السجن كيف شئت فقد
وطّنتُ للموت نفس معترف
لو كان سكناي فيك منقصة
لم يكن الدر ساكن الصدف

ابو دُلَف ـ دعك من هذا .. ثم فلتقدّر مبلغ ما تأمل من عطف

معاذ ـ ايها الجندي ...

جندي ـ [الى المتنبي] انهض ايها الدعي الاشر

المتنبي ـ خلِ السباب ولا تزد

بشر ـ [للجندي] هل سمعتَ ورأيت

جندي ـ [يشد بالمتنبي] هيا ايها الاّفاك

المتنبي ـ والله لو ان سيفي في يدي ...

جندي ـ اخرس ايها الجبان [يرفع يده ليصفعه]

المتنبي ـ [وهو يحاول المغالبة] خسئتم ايها اللئام

[ويتألب الجند عليه ويسوقونه وبشر يقهقه]

• • •

الا قاتل الله الحسد ما اشنعه ، فلولاه ما اخطهد هذا العبقري واهين ... لكنها الدنيا ، واناسها الذين طبعوا على الشر ، لم يجدِ حتى سعي الرسل في تطبيعهم على الخير ... لم يذكر التاريخ منذ مطلعه ، ان مرسلا قد سلم من اذى الافراط في الانانية ، ولا عبقرية سلمت من شرور الحسد والشعور بالعجز والنقص .

لكن هل كان للمتنبي ان يبلغ الاوج الادبي الذي بلغ ، لو تيسر له خفض العيش وتحقيق ماصبا اليه !؟.. من يدري ! ومن يدري ايضاً ان كان الابداع في غير العلوم الطبيعية ليس في الواقع الا عبقرية غير منزّهة عن الاغراض الدنيا ، بل لعل الابداع في غير تلك العلوم ليس الا وسيلة ماكرة لبلوغ مآرب فردية تتطلع النفس اليها .. فلو ان المتنبي اصاب من دنياه ما ابتغاه منها لقعد به ذلك عن توقل مراقي الخلود الادبي ...

يساق المتنبي الى قرية كوتكين في ناحية السلمية من اعمال حمص ، ويوعز ابن الهاشمي صاحب الامر في القرية بأن تربط الى عنق المتنبي ورجليه

المتنبي :

اين الاكاسرة الجبابرة الألى
كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق

والموت آت والنفوس نفائس
والمستغِرُّ بما لديه الاحمق

والمرء يأمل والحياة شهيَّة
والشيب اوقر والشبيبة أنزق

حريث ـ بالله يا ابا الطيب ، لو قفزت بنا الى المديح لكان اروح لنفوسنا .

[تسمع حركة اقدام ويدخل بشر يتبعه حنود]

المشهد الثاني

بشر ـ هو ذا رجلكم

جندي ـ افهذا الامرد من يطلب الامير !؟

بشر ـ بعينه

حندي عرفته والله ، وهذه الغطرسة الوقحة تدل عليه

معاذ ـ لقد فعلتَها يابشر ؟ !

جندي ـ [الى المتنبي] انهض لانهض لك سعد

معاذ ـ ما ارق شمائلك يا احمد

المتنبي ـ

أرقُّ على أرق ومثـــلي يأرق
وهـــوى يزيد وعـبرة تترقرق

جهد الصبابة ان تكون كما ارى
عين مسهدة وقـلب يخفـــق

ما لاح برق او ترنّم طـــائر
الا انثنيتُ ولي فـــؤاد شيّق

جرّبت من نار الهوى مـا تنطفي
نـار الغضى وتكلّ عمـا تحرق

وعذلتُ اهل العشق حـــتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لايعشق

وعذرتهم وعرفت ذنبي انـــني
عيّرتهم فلقيت فيـــه مـالقوا

حريث ـ والوعتـاه !

خداس ـ اواه ياحريث

معاذ ـ بالله يا ابا الطيب ...

المتنبي :

أبني ابينا نحن اهـل منازل ابداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفـرقوا

حريث ـ والوعتاه !

معاذ ـ زدنا يا احمـد

احجب به عن نفسي مذلتها .

معاذ ـ لا ارى مذلة في الشكوى من ضيم

المتنبي ـ واني لا ارى النفوس متشابهة في بني الانسان

معاذ ـ الحق تقول

المتنبي ـ لذلك كانت لا تلبث الزفرة ان تنطلق من صدري ، حتى ألحقها بزئير ، لعله ، اذا ما اخضع للتمحيص ، كان متكشفاً عن مواء او ثغاء .

معاذ ـ لله من صراحتك

المتنبي ـ وفي هذه القصيدة التي سمعتم منها ، قلت :

عش عزيزا او مت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيـ
ـظ وأشفى لغل صدر الحسود
فاطلب العز في لظى وذر الذ
ل ولو كان في جنان الخلود

معاذ ـ بأبي انت يا ابا الطيب . فوالله ماسمعت بمن هو اعظم منك حكمة وأبعد منك شجاعة وأبرع منك في قرض القريض .

المتنبي ـ اقبل ثناءك باعتزاز يا معاذ

معاذ ـ لن يأتي الدهر بمن يبلغ مابلغتَ من الروعة في القصيدة التي مدحت بها ابا المنتصر شجاعاً .

المتنبي ـ تلك غيض من فيض

ذؤيب ـ هل تمنَّ باسماعنا اياها

المتنبي ـ اسمعكم من مطلعها

ان ابا الطيب قد ملك مئة الف دينار

معاذ ـ انها والله لقصة بالغة الاثارة

المتنبي ـ اجل . وهي قصة دفعتني الى ان اضرب في الارض وراء الابهة والاثراء .

معاذ ـ حقق الله آمالك يا ابا الطيب

المتنبي ـ واني لذاكر لك مما اتاني في اعقاب هذه القصة من حديث نفسي .

معاذ ـ ان حالك تشجيني يا احمد

حريث ـ وما نحن بأدنى أسى منك

ذؤيب ـ نعم . ولقد رأيتَ يا ابا الطيب كيف عقد ألسنتنا اهتمامنا بقصتك ورثاؤنا لك

المتنبي ـ ولكم كانت تضيق دائرة تصبُّري حتى تعتصر مني اقوالاً ما وددت ان يُلمَّ بها احد .

ضاق صدري وطال في طلب الرز
ق قيامي وقلَّ عنه قعودي
ابداً اقطع البلاد ونجمي
في نحوس وهمتي في سعود
اين فضلي اذا قنعت من الدهـ
ـر بعيش معجل التنكيد

معاذ ـ اني والله لراث لك

المتنبي ـ الا اني إثر كل شكوى كنت اسارع الى اثارة غبار من التمويه

المتنبي ـ ولقد سمعت الشيخ يقول لصاحب الدكان . ويحك بكم هـذا ؟! فقال بخمسة دراهم

معاذ ـ يا للعجب !

المتنبي ـ وقال الشيخ بدرهمين

معاذ ـ لاريب في ان البائع شتمه

المتنبي ـ الامر بعيد عن المنطق كل البعد . فلقد باعه الخمسة بدرهمين

معاذ ـ الوغد !

المتنبي ـ وزاد بأن حملها الى داره ودعا له

معاذ ـ ماأغرب امر هذا الفَدْم

المتنبي ـ وحين عاد مسروراً بما فعل ، قلت له مارأيت اعجب من جهلك.. لقد نمتَّ علي في هذا البطيخ وبعد ان اعطيتك خمسة دراهم بعتَه بدرهمين محمولاً .

معاذ ـ ما سمعتُ بصاحب دكان اكثر غباوة منه

المتنبي ـ واليك الختام المثير .. لقد ردَّ علي الرجل بقول لا احسبه بارحاً ذهني ماحييت

معاذ ـ عجباً !

المتنبي ـ لقد قال رداً علي .. اسكت . ان هـذا الشيخ يملك مائة الف دينار

معاذ ـ لكن ...

المتنبي ـ واني لم افارق احبتي الا مخافة ان يشمّتوني وانا في رقة حال ..

معاذ ـ يا للعجب

المتنبي ـ ولسوف ابقى مجدّاً في طلب المال حتى اسمع الناس يقولون ،

المتنبي ـ لقد رأيتُ ان المال قوام الحياة وقناة تجـــري فيها العواطف الى القلوب

معاذ ـ هل توضح يا احمد

المتنبي ـ اقصُّ عليك حكاية وتحكيّم بعدها المنطق

معاذ ـ هات حكايتك

المتنبي ـ ... وردتُ ذات يوم من الكوفة إلى بغداد ، متخـــذاً خمسة دراهم في جانب منديل .، وخرجت امشي في أسواق بغداد حتى مررت بصـاحب دكان يبيع الفاكهة ،فرأيت خمس بطيخات باكورة فاستحسنتها ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي . فتقدمت وقلت : بكم هذه الخمس بطاطيخ ؟ فقال صاحب الدكان بغير اكتراث ، إذهب فليس هذا من اكللك .فتماسكت معه وقلت ، دع ما يغيظ واقصد الثمن . فقال ثمنها عشرة دراهم .. ولشدة ماجبهـــني به مااستطعت ان اخاطبه في المساومة . فوقفت حائراً ثم دفعت له خمسة دراهم فلم يقبل

معاذ ـ قاتل الله الشره

المتنبي ـ ماالعبرة في انه صدَّني عما رأيتَ اني شرهتُ له

معاذ ـ لا والله ماقصدت ملامك

المتنبي ـ وفيما انا جالس في حيرتي واذا بشيخ من التجار قد خـــرج من الدكان ذاهباً الى داره . فرأيت صاحب البطيخ قد وثب اليه من دكانـه ثم دعا له وقال وكأنه يتذلل اليه : يامولاي ، ها بطيخ باكورة . باجازتك احمـــله الى منزلك .

معاذ ـ خسَّة متناهية

المتنبي ـ وما انت قائل في الختام اذن !؟

مفاذ ـ يالها من قصة

معاذ ـ فكانت الابيات القليلة ابلغ ماسمعت في التفاخر

ذؤيب ـ هل لأبي الطيب اسماعنا ما قال

المتنبي ـ ... اسمعكم

معاذ ـ هات يا احمد

المتنبي :

قضاعة تعلم اني الفتى الـــــــذي ادخرت لصروف الزمان

وعجدي يدلُّ بني خندف على ان كل كريم يماني

انا ابن اللقا انا ابن السخا انا ابن الضراب انا ابن الطعان

انا ابن الفيافي انا ابن القوافي انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان

حديد اللحاظ حديد الحفاظ حديد الحسام حديد الجنان

يسابق سيفي منايا العباد اليهم كأنهما في رهان

يَرى حدُّه غامضات القلوب اذا كنتُ في هبوة لا اراني

سأجعله حكما في النفوس ولو ناب عنه لساني كفاني

[اصوات استحسان]

معاذ ـ بأبي انت يا احمد ، ولكم اتمنى على الله ان يجمعك باحبتك

المتنبي ـ علم الله اني غير راج هذا

معاذ ـ عجباً لرغبتك عن لقاء احبتك

المتنبي ـ اقسمت الا الوذ بالكوفة حتى أتخم ثراءً

معاذ ـ هل لأحبتك نهي عليك في هذا العزم

المتنبي ـ بعض النهي

معاذ ـ كيف ذلك يا ابا الطيب !؟

المتنبي ـ

بأبي من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً فلما التقينا ... كان تسليمه عليّ وداعا

ذؤيب ـ الله الله

المتنبي ـ وما دمتم قد هيجتم في اشجاني ، اقول متذكراً :

شوقي اليك نفى لذيذ هجوعي ... فارقتني فاقام بين ضلوعي
او ما وجدتم في الفرات ملوحة ... مما ارقرق في الفرات دموعي
مازلت احذر من وداعك جاهداً ... حتى اغتدى اسفي على التوديع
رحل العزاء برحلتي فكأنما ... اتبعته الانفاس للتشييع

حريث ـ يا للوعة الصادقة !

المتنبي ـ اما الحبيب الهاجر فقد شكوت له ولم يستجب لقولي :

ابلى الهوى اسفاً يوم النوى بدني
وفرّق الهجر بين الجفن والوسن
روح تردّدُ في مثل الخلال اذا
اطارت الريح عنه الثوب لم يبن
كفى بجسمي نحولاً انني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني

ذؤيب ـ لله ما اعظمك حكيما واصدقك عاشقاً شاكياً !

المتنبي ـ ليت حباً ولج قلبي رسخ فيه

معاد ـ امّا ما نظمتَ في الفخر فانك قد بلغت به الاوج ؛ وكنتَ مع ذاك تتكلم بلسان التنوخيّ

المتنبي ـ لم ينفك الرجل عن ملاحقتي حتى انتزع مني ابياتاً قليلة

معاذ — يبقى ان تستحضر الاحبة في خاطرك

المتنبي — الاحبة وذوي الجحود ، وثورات النفس

حريث — ويكفي ان تنطق لتمتع

المتنبي — [بعد شرود]

ضيف ألم برأسي غير محتشم ... والسيف احسن فعلا منه بالالم
أبعد بعدت بياضاً لا بياض له ... لأنت اسود في عيني من الظلم
بحب قاتلتي والشيب تغذيتي ... هواي طفلا وشيبي بالغ الحلم
فما امر برسم إلا اسائله ... ولا بذات خمار لا تريق دمي
رويد حكمك فينا غير منصفة ... بالناس كلهم افديك من حكم

معاذ — لو علمنا من هذه التي تناديها !

المتنبي —

ليس التعلل بالآمال من ارببي ... ولا القناعة بالاقلال من شيمي
ولا اظن بذات الدهر تتركني ... حتى تسد عليها طرقها همم
لم الليالي التي أخنت على جدتي ... برقة الحال واعذرني ولا تلم
ارى اناساً ومحصولي على غنم ... وذكر جودو محصولي على الكلم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالان اقحم حتى لات مقتحم

ردي حياض الردى يانفس واتركي
حياض خوف الردى للشاء والنعم
ان لم اذرك على الارماح سائلة
فلا دعيتُ ابن ام المجد والكرم

حريث ـ [بين اصوات الاستحسان] عوفيت ، عوفيت

معاذ ـ حياك الله وبياك يا ابا الطيب ، ووالله تمنيت لك وصلا باحبتك غير منقطع

[اصوات استحسان من الحضور]

معاذ ـ لا فُضَّ فوك يا احمد ولا كان من يشنوك

حريث ـ بالله يا ابا الطيب الا زدتنا من درر غوال

معاذ ـ فوالله لو جلسنا الدهر اليك ، لظلت تسد علينا مذاهب الارتواء من فيض خاطرك

ذؤيب ـ واني لأحسد مكاناً انشأك وكل خدن عاشرك

المتنبي ـ تذكرني اقوالك يا ذؤيب بقوم غمطوني حقي الصريح ، واحبة تنكروا لقلبي الجريح

معاذ ـ لأحبتك وافر الشكر يا احمد

المتنبي ـ ألأنهم تنكروا لي ؟ !

معاذ ـ لولا ان يتنكروا لك ، لما ازدريت حالاً كنت فيه ولما طلبت لرفعة وتعشقت الشجاعة ، فقرضت الشعر وأجدت ، وتحديت البلاغة فأخضعت .

المتنبي ـ لعمري مابعد قولك عن الحق

معاذ ـ وأحبتك !!.. اما خاطبهم شعرك في يوم !؟

المتنبي ـ بودي لو تحاشيت ايقاظ لوعتي .

معاذ ـ لا يظن بمن ضم مثلك اطراف البلاغة ، ان يجهل مثلا سائراً

المتنبي ـ اي مثل تريد !؟

معاذ ـ ذاك الذي يقول : تحترق الشمعة لتضيء لسواها

المتنبي ـ إلام ترمي يامعاذ!؟

معاذ ـ في ايقاظنا لوعتك ، متعة لنا وأية متعة

المتنبي ـ الشمعة لاتحترق يا معاذ ، بل تحرق

معاذ ـ وكذا المحبة تحرق الشموع

المتنبي ـ لقد اصبت

المتنبي ـ لقد ذكرت لك

معاذ ـ وانت مرسل الى من ! ؟

المتنبي ـ مرسل الى هذه الامة الضالة المضلة

معاذ ـ وماذا تفعل !؟

المتنبي ـ املاء الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً

معاذ ـ وبماذا ؟!

المتنبي ـ بادرار الارزاق والثواب العاجل والآجل ، لمن اطاع

معاذ ـ وماذا لمن عصى !

المتنبي ـ لمن عصى وأبى ، ضرب الاعناق

معاذ ـ مثل هذا الامر العظيم اخاف عليك منه ان يظهر

المتنبي ـ [يشرد خاطره]

معاذ ـ ... اراك كمن اخذته رهبة

المتنبي ـ [وهو شارد الذهن] أمثلي تأخذ النكبات منه ...

معاذ ـ ما احسب بشراً الا فاعلا امراً ، ولعلك مخاطر بحياتك يا احمد .

المتنبي ـ

ابا عبد الاله معاذ اني ... خفي عنك في الهيجا مقامي

ذكرت جسيم ما طلبي وإنا ... نخاطر فيه بالمهج الجسام

أمثلي تأخذ النكبات منه ... ويجزع من ملاقاة الحمام

فلو برز الزمان الي شخصاً ... لخضب شعر مفرقه حسامي

حريث ـ الله الله

المتنبي ـ

وما بلغت مشيئتها الليالي ... ولا سارت وفي يدها زمامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني ... فويل في التيقظ والمنام

مايحرمنا اغتنام مشاهدتك واقتباساً من فيض ادبك .

المتنبي ـ تسوقني يامعاذ الى اسماعك ماقلت وانا اشد الرحال من الكوفة فراراً من الاجحاف والخمول

حريث ـ كل قول لأبي الطيب در نظيم

المتنبي ـ لن استكين للخمول بعد اليوم ، ولن ترهبني الخطوب في سبيل الوصول الى مبتغاي من الدنيا

معاذ ـ كفاك الله شر الخطوب وشر بشر

المتنبي ـ ولعلي كنت مترقباً ان تعثر قدمي بمثل بشر هـــذا ، حين قلت استدعي همتي للثورة على الخمول

ذؤيب ـ وما تراك قلت يا ابا الطيب

المتنبي ـ قلت وكأني ادفع نفسي الى الارتماء في معـــركة الدنيا المستعر اوارها ابداً

الى اي يوم انت في زي محرم ... وحتى متى في شقوة والى كم
والا تمت تحت السيوف مكرماً ... تمت وتقاس الذل غير مكرم

معاذ ـ والله انك لرجل خطير تصلح لمنادمة ملك كبير

المتنبي ـ هل تدري ماتقول يا معاذ ؟!

معاذ ـ لا احسبني مبالغاً فيما قلت

المتنبي ـ بل لعلك مقصر يا ابا عبدالله

معاذ ـ عجباً ! !

المتنبي ـ ان كنت لم تع خبري ينقله هؤلاء الفتيان النجباء فاسمعـــه من فمي . . ما انا يا معاذ الا نبي مرسل

معاذ ـ احسبك هازلاً يا احمد

المتنبي ـ ليس مثلي من يطيب له الهزل

معاذ ـ انت اذن نبي مرسل ! ؟

معاذ ـ .... الا تراك قد افرطت في اهانته !؟

المتنبي ـ بل قصرت في عقاب كلب حاول ان يلغ في صحفتي

خداس ـ ان بشراً مشهود له بقـــرض الشعر يا ابا الطيب . ومشهود له بالحظوة عند ابن الهاشمي وعند امير حمص .

المتنبي ـ هب ماقلت واقعاً . أفتراني قاعداً عن الذود عن عرضي !؟

معاذ ـ والله يا ابا الطيب ، لقد بت اخشى ان ينالك شره .

المتنبي ـ ليس مثلي من يخشى اذية عابرة . ووالله ماردني عن قتـــله الا ماخشيت على اعزاء لي في الكوفة ينالهم ضيم

معاذ ـ انه الحسد يا ابا الطيب . والحسد يعمي البصيرة ويذهب بالمروءة .

المتنبي ـ بلى والله . ما غشي قلباً حسد الا افسده

معاذ ـ ولقد بلغني عن اتصال بشر بلؤلؤ امير حمص وايغاره صـــدره عليك . وكان بودي الا اخبرك بان ابن الهاشمي عامل لؤلؤ قد بث جنده في الناحية للبحث عنك

المتنبي ـ وما تحسبه فاعلا

معاذ ـ كان ينبغي ان تتقي شر الامير حتى ترتقي المكان الذي تصبو اليه .

المتنبي ـ اي محـــل ارتقي ... اي عظـــيم اتقي
وكل ماقد خلق الـ ... ـله وما لم يخلـق
محتقر في همـــتي ... كشعرة في مفرقي

معاذ ـ والله يا ابا الطيب ، لقد تمكن الانس بيننا واصبحت لا اطيق ان يلم بك اذى

المتنبي ـ مشكور قولك يا ابا عبدالله ، بيد ان استكاني الى القناعة بخامل العيش قد آن له الزوال ، وما عدت لأصبر على الشقوة ورقة الحال .

معاذ ـ وددت لو تنكبت اثارة بشر عليك ، لأن هذا الشرير قـد يفعل

بشر ـ لقد نفحتك بديوان عنترة العبسي

المتنبي ـ الديوان لدي لا انكره

بشر ـ ان لم تشرف بقـــومك اذن ، ايها المتبجح ، فقد سرقت لعنترة من قوله .

وبذابلي ومهندي نلت العلا لا بالقرابة والعديد الاجزل

المتنبي ـ شُلَّ سليط يفتري

ذؤيب ـ بودي لو قطعت لسانه .

بشر ـ لكنك لم تقف عند سرقة الاقوال ، بل مضيت تسطو على الطبع الاصيل ، تتطبع على الفصاحة والفروسية ، حـــتى توهمتهما في نفسك فصلفت الصلف القبيح .

المتنبي ـ يعرف الصحاب الصادقون من انا .

معاذ ـ لاينكر عاقل ما انت عليه من شاعرية وشجاعة يا ابا الطيب .

حريث ـ ولقد سبقتك الينا في حمص والسلمية وحتى في قرية كوتكين هذه ، اخبار علو كعبك في اللغة والشعر على حداثة سنك .

المتنبي ـ ويأبى هذا المكابر الا ان يصم اذنيه عن دوي الرعد والمـــلأ يعلم اني :

انا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود

بشر ـ ماانت الا ابن عبدان السقاء ، ايها المغرور

المتنبي ـ ايها الرقيع . والله مابلغ تطاولك سير نعلي . ولأنت بعد احقر من ان ارد عليك .

معاذ ـ مهلا مهلا يا احمد

بشر ـ انك لنادم على عجرفتك ورب الكعبة [يخرج حانقاً]

معاذ ـ رويدك يا بشر

المتنبي ـ زره وغيّه يامعاذ ، فلست والله بآبه له . . . ثم . .

ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

بشر ـ بخ بخ . الا رحم الله عقيل بن علفة

المتنبي ـ ايها المكابر .. جئني بالبرهان على صدق ماتعنيه او اخمد انفاسك .

معاذ ـ رويدك يا احمد . فما سمعنا بشراً إلا مترحمـــاً على ابن علفة ؛ وما نرى في ذلك اساءة اليك .

المتنبي ـ في قوله اساءة بالغة لو علمت

معاذ ـ لا احسب الامر كما ترى .. ثم اني تجشمت عناء السفر من اللاذقية لأراك وامتع السمع والبصر بمرآك فلا احسبك بعد ذاك خارجاً عن رصانة وأناة .

المتنبي ـ يغمز من قناتي هذا الاثر السفيه

بشر ـ البرهان الذي في يدي يرد عليك سفهك

ذؤيب ـ اراك تتطاول يا بشر

المتنبي ـ ترحم هذا الاثر على ابن عُلّفة القائل

اعلمـــه الرماية كل يوم فلمـا استد ساعده رماني

بشر ـ اي والله هذا ماعنيت ، وان نباهتك لتكاد تميتني غيظاً .

المتنبي ـ ولكأنه يقول اني اسرق مما علمني فاهجوه .

معاذ ـ عجباً !!

المتنبي ـ بيد اني مهادنك حتى تبرز البرهان

بشر ـ برهاني قائم لديك . فان تصـــدق القول يصدعك وان تكذبه يردعك .

المتنبي ـ اوضح لحاك الله

خداس ـ بالله ألا تلوت علينا من قرآنك

المتنبي ـ [بعد ان يجيل بصره فيهم].. فلتخشعوا ايها الصحاب وتنصتوا.. « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ، ان الكافر لفي إخطار . . . امض على سنتك واليقين ، واقف اثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قامع يك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله ويقينه » .

ذؤيب ـ ان من البيان لسحرا . الا زدتنا بالله من هذا البيان .

المتنبي ـ « ياايها الأبي ، امض في الطريق السوي ، لاتغضب ولا تزجر بل ادع وكبر ، وللناس فأصحر ، فان العاقبة للصابرين ، وانك لفي صراط قويم »

خداس ـ ياللسحر الحلال

المتنبي ـ هذا ليس سحراً

خداس ـ تالله انه ليأخذ بمجامع القلوب ويدعو الى تنكب الذنوب

بشر ـ والله ياأحمد مابلغ بالغ شأوك ، ولا داني امرؤ قدرك ، لو كان ابوك غير ابيك ، ولولا صباحة في وجهك تؤذيك

المتنبي ـ لاحسبك تعرض بي يابشر !

حريث ـ حاشى لأحمد ان يكون هدفاً لتعريض او ملام .

بشر ـ قصدت ان اقتران البلاغة بالمجتد الكريم ، أمر ادعى للفخار .

المتنبي ـ اما وقد صارحت فجهلت وقسوت ، فاني منبئك يا هذا بسوء المصير .

بشر ـ وما ادراني بصدق المتنبي !

ذؤيب ـ المتنبي ! ؟

حريث ـ انها والله صفة أنطق الله بشراً بها .

المتنبي ـ لقد صدقت ياحريث . بيد اني قائل لبشر هذا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

بشر ـ زه زه !! لعمري انك تمضي في العجب حتى لتكاد تحتيق به .

وفي مطلع هذا الكتاب نراه في بلاد الشام ، في قرية كوتكين ـ ناحية السلمية ـ من اعمال حمص . ونقترب منه وهو يتصدر مجلساً ضم بضعة شبان من بني عدي ، برز بينهم رجل من اللاذقية معروف ، هو ابو عبدالله معاذ بن اسماعيل اللاذقي .

وندخل المجلس فنسمع القوم يتحدثون في امر اخضاع المتنبي ناقة شرسة لم يكن يجرؤ احد على الدنو منها لشدة شراستها . ولعل المتنبي قد اتخذ من امر اخضاع الناقة تلك ، آية يعزز بها ادعاءه النبوة .

المشهد الاول

حريث ـ .. ووالله ما اذل عنتها سواك .. وليس من تذل له الصعاب الا من المكرمين عند الله

خداش ـ لذلك نحن مبايعوك على دعوتك ، متبعوك في جادتك .

ذؤيب ـ بلى والله . فان البكرة التي اذللت ، ماجرؤ امرؤ على مداناتها قط .

حريث ـ وتلك الآيات البينات ! انها والحق لمن امارات الكرامة وادلة الاولياء .

المتنبي ـ على رسلكم ايها الصحاب الكرام ، اذ ماينبغي لكم الاغراق في التحزب ان كنتم في اقوالكم صادقين .

ذؤيب ـ إنا لانذهب في اتباعك مذهب التحزب يا ابا الطيب . فلأنت والله قد جئتنا بما يخلب الالباب ويسحر القلوب .

حريث ـ وما قرآن جئتنا به الا سبباً يجتذبنا اليك ويجعل محط آمالنا عليك .

الفصل الاول

ابو الطيب المتنبي :

هو احمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي ، ولد في الكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة ، في محلة كندة فنسب اليها . اما ابوه الذي كان يعمل سقاء في الكوفة فقد طغى اسم مهنته على كنيته حتى اصبح لا يعرف الا باسم عبدان السقاء .

ولعل مايدعو الى الظن بان المتنبي كان في حداثته يؤدي لأبيه نوعاً من المساعدة في اعمال مهنته ، هو ان حساده قد اتخذوا من ذلك ، فيما بعد ، مادة لهجائه وللتعريض به ، وها هو احد هؤلاء الحساد يهجوه في قوله :

اي فضل لشاعر يطلب الفضـ ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما ء وحيناً يبيـــع ماء المحيا

ثم لعل الغائص في بحر نفسية المتنبي ، والمتفهم خلقه تفهما صحيحاً يرى بكل وضوح اثر استحيائه بمهنة ابيه تلك ، فيدرك انها قد انشأت في نفسه مركب نقص كان من اقوى الاسباب التي دفعت به الى الطموح والكبر . كما كان مادة وفيرة يستمد منها معاني التعالي والكبرياء التي قل ان خلت منها قصيدة من قصائده .

ثم لاريب في ان ذاك الاستحياء كان يتعاظم في نفسه يوماً بعد يوم حتى اذا مابلغ فيه مبلغه ، دفعه ، وهو لما يكد يتخطى الرابعة عشرة ، الى هجر البيت العائلي ليمضي متخبطاً دون ما هدف ، فيقيم في بغداد حيناً كان خلاله يختلف الى دكاكين الوراقين ، ويقيم حيناً آخر بين الاعراب في البادية .

من مراجعات في كتب التاريخ تبين لي ان الاقوال متضاربة والاسناد معدومة فيما يتعلق بنشأة المتنبي وحياته قبل اتصاله بسيف الدولة في حلب .

فلذلك ، واذ كان القصد من هذه المسرحية لايعدو الرغبة في ايراد بضع مئات من آلاف الابيات الشعرية التي نظمها المتنبي في حياته ، ولا يتعدى محاولة لتكوين فكرة عن شخصيته ونفسيته ، فقد اخذت من الاقوال في نشأة المتنبي ، اقربها الى الفن المسرحي وايسرها عرضاً ، مجيزاً لنفسي فوارق طفيفةفي تسلسل الحوادث التاريخية التي هي في حد ذاتها مأخذ للريب والغموض كبير .

واني لآمل ان اكون قد بلغت بعض القصد ، وحسبي مكافأة على الجهد الاغضاء عن كل قصور .

المؤلف

مصادر المسرحية

١ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه — للقاضي الجرجاني

٢ - ذكرى ابي الطيب بعد الف عام — لعبدالوهاب عزام

٣ - شرح ديوان المتنبي — لعبد الرحمن البرقوقي

٤ ـ خاتمة المطاف — لعلي الجارم

كثارُ الحسنات حتى لم تعد تبدو . بل ان تأليف مسرحية امينة تضم حياة المتنبي وعصره لا يُنجي من مثل هذه الهنات ، فضلا عن انه يستدعي اكثر منها .

ولأن هذه المسرحية تدور حول المتنبي وتضم عدداً من عظام التاريخ الادبي العربي ، كسيف الدولة وكافور وأبي فراس وابن جنيّ وابن خالويه وعضد الدولة والخالديين وأبي علي الفارسي .... ولأن حوادثها تنتقل بالقارىء مابين العراق والشام ومصر وبلاد فارس ، ولأن فيها من مُترف الشعر وعاليه الكثير المنتقى . ولأنها مَسَتْها يدُ صناعٍ مَرَنَتْ على التأنق والبراعة ، ولأنها تتعلق اولاً واخيراً بتاريخنا الامجد الذي مابعده تاريخ ، وحضارتنا العالية التي لا تدانيها ـ على الايام ـ حضارة ... لأجل كل دلك تأخذ هذه المسرحية طريقها الى الطرافة الفكرية والمتاع الادبي والى ان تكون ثمينة يُغليها الناسُ ألا يقتنوها ، ويُغليها الحكومة ان تتسرب اليها يد الضياع .

ذلك مبلغُ ماعلمتُ من فؤادٍ ومسرحيته . والقارىء الحصيفُ حقيقٌ إن قرأ المسرحية ان يعلم احسن مما علمت ، مع اعتراف مني بأن صاحب هذه المسرحية محتاجٌ الى ان يُطيل النظر في كتب القدماء ، فلعله بالغٌ من ذلك الى ما يريد من التأليف في المسرحية التاريخية؛ مسرحية ماأحوج العرب امة وأدباً وفناً مسرحياً اليها ...

منذر شعار
ليسانس في الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

صحبتُ السيد مؤلفَ هذا الكتاب اثنتيْ عشْرَةَ سنة ما قرأتُ لأحد من كتاب المسرح السوريين خيراً مما يكتب . وقد قرأتُ لهمسرحيات قلَّ ان يوازيها كتابة كاتب مسرحي في بلاد العـــرب . ذلك لأنه ـ في اغلب ظني أقْدَرُ الناس على « حبْك الرواية » في مُتَّسقِ الفن ، وأبْرَعُهُمْ في إجراء حوار المسرحية بين شخوصها ، وأحرصُهم على ان تكون لمسرحياته عبرة خلقية ؛ فمسرحيـــاته هـادفة ليست كلاماً مَحْضَ الكلام ولا حـــوادث تتوالى جُزافاً .

أما انا فما يُرضيني منه شيء كما تُرضيني لغته العربية السليمة ، وحرصُه على ان يُصَفِّيَها تجويداً . ويلبسها من غلائل الادب الاصفر والاخضر ، وهـو إما ان ينجح فيأتي بالمعجب ، وإما ان يخفق فيكون كسائر الكتاب . فأما ان ينزل عنهم فما اعرف انه نزل عنهم يوماً ؛ إنْ هو إلا الشوط يتعاورونه ضَبْحاً .

وهذه المسرحية جديرةٌ ان يتعشقها الناسُ لسببين : الاول تَعَلُّقُها بهذه العبقرية العربية التي ذهبت في الشهرة والمجد الفكري مذهباً بعيداً . والثاني ان المؤلف كان في كتابتها اميناً حق الامانة على وقائع التاريخ ، بارعاً حق البراعة في وصل اجزائها ، اديباً حق الادب في عرض روائع المتنبي حيث تقع من الجمهـــور كأنه يسمعها اول مرة .

ألا وإن هذه المسرحية مكتوبة لطائفة من الناس دون طائفـة ، وليس لأحد صبرٌ على قراءتها او مشاهدتها إلا أولي الادب واصحاب اللغة واهل الفكر بعامة . على ان هؤلاء إن نظروا فيها وقعوا منها ، لاشك ، على هَنات . منهـــا قفَزاتٌ مابين الفصول ، ومنها ان عرض شعر المتنبي لايتعدى مشهد معجب يقرأ وسامع يعيب ، ومنها تصوير المتنبي مغروراً فقط ... إلا ان هذه هناتٌ طَمَسَتْها

ابو نصر الفارابي عالم ولغوي	علي بن حمزة راوية المتنبي
ابو اسحق النُجيّرمي 〃 〃	ابو الفتح عثمان بن جني من تلامذة المتنبي
ابو علي الفارسي 〃 〃	ابو علي الحاتمي اكبر علماء بغداد
الدارقطني 〃 〃	الحسن العلوي من اشراف الكوفة
الآمدي 〃 〃	مُعزّ الدولة بن بويه
ابو عبدالله الناشيء 〃 〃	المهلّبي [الحسن بن محمد بن هارون]
ابن نباته 〃 〃	وزير معز الدولة
ابو الفضل بن العباس 〃 〃	

عمّار الكلابي شاعر امي	ذؤيب من معارف المتنبي
اعرابي شويعر	حريث 〃 〃 〃
عماد مغنّ	خدّاس 〃 〃 〃
معاذ اللاذقي من اشراف اللاذقية	بشر 〃 〃 〃
ابو دلف بن كنداج سجّان	
فاتك الاسدي قاتل المتنبي	

وردان غلام سيف الدولة
صبيح غلام كافور
مفلح غلام المتنبي

اشخاص المسرحية

المتنبي : ابو الطيب احمد بن الحسين
سيف الدولة : علي بن حمدان
الحسن بن طُغْج : والي الرملة من قبل محمد بن طغج
ابو العشائر : الحسن بن حمدان والي انطاكية من قبل سيف الدولة
كافور : تولى ملك مصر في عهد الخليفة المطيع لله
لؤلؤ : امير حمص من قبل الاخشيدية
ابن خالويه : مؤدب سيف الدولة [عبدالله الحسين بن محمد]
ابو ذر : شيخ سيف الدولة [سهل بن محمد الكاتب]
ابو فراس الحمداني
سيبويه : عالم لغوي [محمد بن موسى الكندي] غير سيبويه الاشهر ، ابي بشر عمرو بن عباد
ابو الفرج السامري : كبير كتاب سيف الدولة
ابو القاسم العلوي : من ابرز اشراف الدولة
محمد بن القاسم الصوفي : من اتباع الحسن بن طغج
ابو شجاع فاتك الرومي : اكبر قادة كافور
جعفر بن الفرات : وزير كافور
عائشة بنت رشدين : اديبة وشاعرة مصرية
رشدين : والد عائشة

شعراء

صالح بن مؤنس — ابن الحجاج
كشاجم — ابن البقال
السري الرفاء — ابن سكرة
ابو العباس النامي

PJ
7862
H2T3

Sha''ār, Mundhir
Tayf al-Mutanabī

طيف

المتنبي

مَسرَحِيَة ثقافِيَة تارِيخِيَة

عرض موجز لحياة المتنبي
منذ نشأته حتى مقتله

BINDING SECT. DEC 4 - 1968

PJ
7862
H2T3

Sha''ār, Mundhir
Ṭayf al-Mutanabbī

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY